كتب سياسية



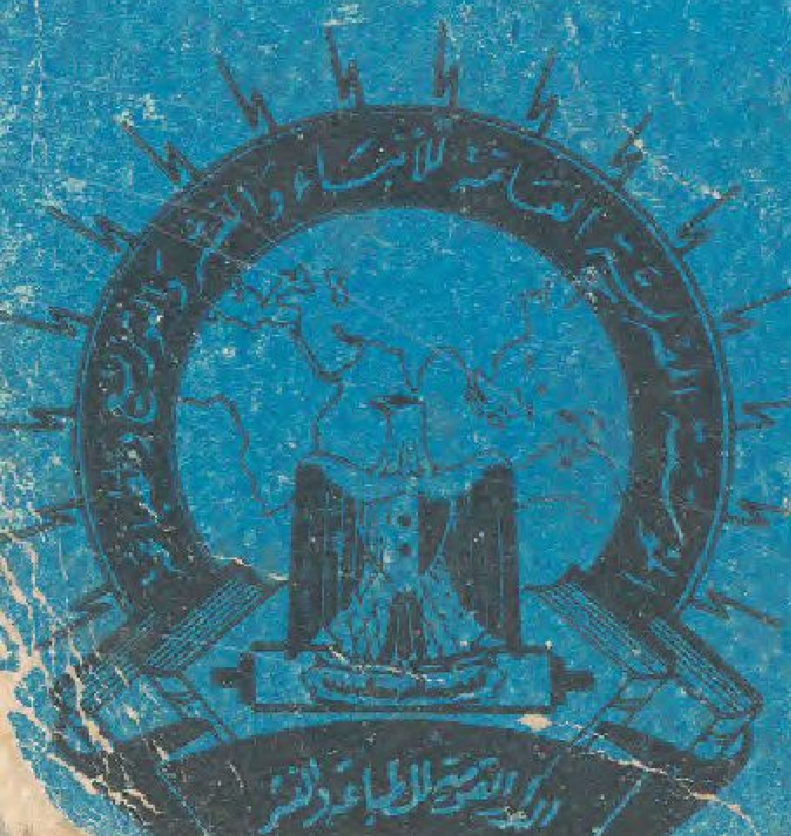
مجموعة عربية ١٠٠٪

الحلف الأطلنطي

في ساعة الانحلال

ترجمة: عبد العليم السيـ

راجعه: عبد المنعم شكـ



الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر

كتب سياسية

الحلف الأطلنطي
فى
ساعة الانحلال

بقلم

أندريه فونتان

مقدمة المترجم

الكتاب « حلف الأطلنطي فى ساعة الانحلال » يعرض أمامنا أهم المشاكل العالمية التى شغلت بال العالم أجمع خلال الخمسين سنة الأخيرة ، فعرض أمامنا مشكلة الحروب العالمية الأولى والثانية وماتمخض عنها من نتائج ، ومشكلة تقسيم ألمانيا ومشكلة عدم الاعتراف بالصين الشعبية ، وكيموى والجزائر ومشكلة السويس وأخيرا وهى أهم المشاكل التى عرضها ، مشكلة الحرب الباردة ، ومايحوطها من أقنعة وما يتخللها من خيوط وتعقيدات .

أما اسم الكتاب نفسه فله صلة كبيرة بمحتويات الكتاب لأنه رأى أن حلف الأطلنطى عبارة عن محور عجلة تلف حوله الأحداث ، فيحس ويشعر بها ساعة فيتخذ موقفا موجبا ويشعر بها ساعة أخرى ويتخذ موقفا سالبا ولكن فى كلا الحالتين فالموقف واحد فهو هو الحلف الأطلنطى ، والآن فلنرجع الى الكتاب ونستعرض أهم ماورد فيه .

بالرغم من أن عنوان الكتاب « الحلف الأطلنطى فى ساعة الانحلال » الا أنه يبتدىء بالكلام عن المستر خروشوف .

واذا ماتساءلنا عن السبب فقد نصل الى هـذه النتجة ، وهى أن المستر خروشوف هو أحـد خطوات البرهان على صـحة هذا العنوان لأن المستر خروشوف أصبح شخصية طغت على الشخصيات المشتركة فى هذا الحلف مجتمعة ، فحينما يتحدث عن مشكلة نزع السلاح فانما يتحدث بينما صـواريخ الاتحاد السوفييتي تشق الفضاء وتسير فيه ، انه حديث القوى القادر الذي يتحدث وفى يده زمام الأمور ويدل ذلك على أن الانسانية قد أصيبت بمرض متوطن يسمى مرض الحرب . ففى الساعة التى تكون فيها أبعد ماتكون عن الحرب ، تقع الحرب وتودى بالملايين من النفوس البشرية .

وينتقل الكتاب بعد الحديث عن الحرب الى الحـديث عن الحلف فهو يقول أن الحلف الاطلنطى « هو حجر الزاوية الذى تقوم عليه سياستنا الخارجية » على حد قول الرئيس ايزنهاور ولقد ثبت هـذا القول عند توجيه الانذار النهـائى فى آخر نوفمبر سنة ١٩٥٨ الخاص بمشكلة برلين ، اذ اتحدت الدول الغربية فى ذلك الوقت بطريقة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ .

ولكن لـكل حادث مايقابله فبينمـا نرى هذا الاصرار فى مشكلة برلين نرى الانقسام يحـدث فى مشكلة السـويس ، فبالرغم من أننا وجدناهم فى أول الأمر يدافعون فى هيئة الأمم المتحدة عن موقف فرنسا وبريطانيا الا أن الولايات المتحـدة سرعان ماتخلت عنهما وأعلنت رغبتها فى الانسحاب .

وهنـــاك كذلك حـــوادث تـــدل على الجبن الذى حل بالحلف بأكمله اذ أنهم لم يستطيعوا أن يتدخلوا عنـــدما رأوا الاعتداء السوفييتى المسلح يقضى على الثورة المجرية وحينمـــا رأوا ثورة العمال تندلع فى ألمانيا الشرقية ، انه حلف لم يستطع استغلال ضعف المعسكر المناوىء له .

ولكن بالرغم من هذا الا أن الحلف يعتبر العمود الفقرى الذى يحافظ على الاوضـــاع فى أوروبا والذى لولاه لـــكانت تغيرت كلية ، هل سيستطيع هذا الحلف المحافظة على الســـلم الحقيقى ، أم أنه سيقود أعضاء الحلف رويدا رويدا الى الهلاك أم أنه سيضعهم فى مأزق لامخرج منه ؟ وعلى أى فالاحـــداث كفيلة بأن تجيب على هذه الأسئلة .

ويرجع الكتاب ويتحدث ثانية عن الفراغ الحزبى الذى شمل أوروبا بعد سنة ١٩٤٤ ففى هـــذا الوقت كان فى امكان الاتحاد السوفييتى اقامة اطار حديدى حول أوربا جميعها لأنه كان القوة الوحيدة التى تمسك بيدها الورقة الرابحة فى أوروبا بما لها من قوة وعدة ، بينما كانت الدول الأوروبية تعانى الضعف الشديد ، وكان لزاما عليهـــا أن تؤلف الحلف الأطلنطى حتى يكون سدا فى وجه التوسع السوفييتى .

ونجد فى الحقيقة أن جميع الدول الأعضـــاء الداخلة فى الحلف لاتملك القوة اللازمة للدفاع عن نفسهـــا بنفســـها أو

حتى بعقدها معاهدات ثنائية فيما بينها ، فالعمود الأول الذى يقوم عليه الحلف هو الولايات المتحدة الأمريكية اذ أنها فقط هى التى فى يدها القوى السيكولوجية الضرورية لتكوين حلف دفاعى غربى ذى قوى فعالة ، فهى التى أرغمت ستالين من قبل على الانزواء بعد الانتصار على هتلر ، ذلك لأنه كان يخاف من أن تقوم الولايات المتحدة بهجوم وقائى .

فالحلف الأطلنطى يعتبر أول خطوة خطتها الولايات المتحدة فى تحطيم تقاليدها وذلك بعقدها معاهدات دفاعية مع الدول الواقعة على الشاطىء الآخر من المحيط وغرضها الأول والأخير هو اقامة جدار سميك ضد التوسع الشيوعى .

وأهم النصوص التى وردت فى معاهدة الحلف هى « أى اعتداء على عضو فيه سواء كان ذلك فى أوربا أو فى أمريكا الشمالية .. يعتبر اعتداء موجها ضد جميع الدول الاعضاء وبالتالى فانه لو حدث مثل هذا الهجوم فلكل عضو الحق فى الدفاع الفردى أو المشترك الذى نصت عليه المادة الواحدة والخمسون من ميثاق هيئة الامم المتحدة » .

وبعد التوقيع على هذا الحلف دعيت الدول الأعضاء لاتخاذ تدابير سريعة نحو اعادة تسليحها لأن الموقف الاستراتيجى فى ذلك الوقت كان يتميز بعدم وجود قوات فى غرب أوروبا . ولكن فى نفس الوقت احتفظت الولايات المتحدة باحتكاره

لاستعمال الأسلحة الذرية ولكن مع ضمانها حماية الدول الغربية . وبعد ذلك بعدة سنوات اجتمعت لجنة من «العقلاء» ونادت بعقد مؤتمر لشبونة الذى قضى بتكوين خمسين فرقة عسكرية للحلف فى سنة ١٩٥٤ .

وفى نفس الوقت قامت مشكلة أخرى هى اعادة تسليح ألمانيا فكانت الآراء منقسمة فى هذا الصدد فبعضهم يقف بجانب تسليحها والبعض الآخر يعارضون هذا الاتجاه .. وهذه المشكلة مازالت قائمة حتى الآن .

وبعد أن قويت شكيمة الحلف ظهرت فى المجال الدولى مشكلة أخرى وهى مشكلة وضع رقابة على القوات المسلحة فى كل من المعسكر الغربى والشرقى لمنع وقوع أى هجوم مفاجىء ، واقامة نظام للرقابة فى كلا الجانبين وقد أخذت هذه المشكلة من وقت ومجهودات الحلف الكثير الا أنها لم تصل الى نتيجة .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى تعديد النفقات العسكرية التى انفقت على الحلف ومدى فداحة تلك النفقات ، ولقد أفادت هذه النفقات خاصة فى الميدانين الجوى والاليكترونى حتى أصبحت انطلاقة عجلة التسلح أقوى وأسرع بكثير من عجلة التقدم التجارى . ولكن ذلك الحلف وجدناه يفقد قوته فى عملياته الحربية التى قادها فى الهند الصينية وقناة السويس وأماكن كثيرة أخرى .

ويقول الكاتب انه كان من الممكن تقليل تلك النفقات بالقضاء على حلقات المنافسة فى انتاج الأسلحة والاستفادة من الأبحاث العلمية فى الميدان الحربى التى تصل اليها أى دولة من دول الحلف فنجد مثلا حلفاء فرنسا يمتنعون عن تزويدها بأسرار الأسلحة النووية والأوتوماتيكية مما يجعلها تنفق الكثير على هذه الأبحاث .

ولكن هناك أشياء يمكن أن تحدث وأشياء لايمكن أن تكون ، فالتنافس فى ميدان الأسلحة هذا أمر مفروغ منه أما وقوع الحرب فهذه مسألة تستحق التفكير ، لأن انطلاق أى شرارة تؤدى الى اندلاع الحرب ستكون نتائجها وخيمة على الجنس البشرى أجمع لأنها ستقضى على الملايين من الناس فى عدة لحظات .

ويتحدث الكاتب بعد ذلك عن التضامن الأطلنطى والتضحية بالذات لأنه ليس من الضرورى أن تشترك دولة فيه فى حرب ما وتكون هى طرفا مباشرا فيها ، ولذلك فاننا نجد المعنى الحقيقى لهذا الحلف فى هذا التماسك والترابط .

ويتحدث بعد ذلك عن النظامين الشيوعى والرأسمالى فهو يقول ان النظام الرأسمالى يؤدى الى تكوين دول ديمقراطية يتمتع فيها الأفراد بالحريات فى حين أن النظام الشيوعى يؤمن بالعبودية . ولكن عاد الكاتب وقال أن النظام الرأسمالى يؤدى الى صراع بين الطبقات ، فمن أى طبقة

تتكون الحكومات الغربية ؟ انها تتكون من طبقة الأغنياء واللوردات . وقد كانت بعض الخطب التى ألقيت فى أوروبا عن هذا الوضع مؤذنة بقيام صراع بين الطبقة العاملة فىأوروبا والثوار الوطنيين فى آسيا وافريقيا .

وحينما يذكر الكاتب الجزائر فهو يقول أن فرنسا قد رفضت تدخل أى دولة من دول الحلف فى سياستها فى شمال افريقيا . ولكن لايخفى على دول الحلف اتجاه دول شمال افريقيا الى الحصول على استقلالها خصوصا بعد حصول تونس ومراكش على هذا الاستقلال .

وانتقل الكاتب بعد ذلك وتحدث عن قيام مجتمع أطلنطى يقوم على أساس الوحدة الاقتصادية والتعاونية بين دول الحلف لأن الغرض الأساسى من قيام الحلف لم يكن مجرد غرض عسكرى بل كان غرضا يرمى الى التعاون بكافة أنواعه — وهو يأمل أن يمتد ذلك الحلف ويشمل دول العالم أجمع ويعمل على نشر السلم والأمن ورفع مستويات المعيشة فى الدول المتخلفة ...

والاتجاه الذى يرمى اليه هذا الكتاب هو قيام وحدة عالمية شاملة بين جميع دول الأرض تقوم على الصداقة والتعاون داخل نطاق ميثاق هيئة الأمم المتحدة وهو يناشد العالم أجمع العمل على انقاذ البشر من الأخطار التى تتهددهم مثل الحرب

والعبودية والجوع والمرض والفقر على أن تبدأ حملة الانقاذ في داخل دول الحلف وتمتد الى الدول الاشتراكية وبذلك يعطى للأمم المتحدة فرصة لوضع نهاية للصراع الحالى ، والسير بها نحو الأمن الجماعى ، ونزع السلاح نزعا كليا خاضعا للرقابة ، وتكوين مجلس للأمن جديد بهذا الاسم ، يقوم بفض المنازعات التى تنشأ بين الدول المختلفة . ويظهر من الكتاب أن الكاتب محايد موضوعى تحدث بصراحة عن حلقات الصراع المختلفة القائمة في العالم وأعطى كل ذى حق حقه .

وحينما تناول مشكلة السويس تحدث عنها بصراحة وقال ان بريطانيا وفرنسا قد ارتكبتا خطأ في شن الهجوم على مصر ولكنه قال ان الدافع الذى دفعها الى ذلك هو اعتقادها أن عبد الناصر كان عندئذ مؤيدا للشيوعية ولكن أثبتت الحوادث العكس . وكانت مشكلة السويس هى البرهان الأول على مدى قصور الحلف وعدم تماسكه .

وتحدث بعد ذلك عن المساعدات غير المشروطة ووقعها في نفوس الدول التى تحصل عليها فقال أن الدول تميل الى عدم التقيد بارتباطات سياسية لتشككها في جميع المحاولات التى تبذلها الدول الكبرى فيما يتعلق بما تقدمه من مساعدات وتتهمها بالاستعمار والانتهازية والدليل على ذلك توقف الولايات المتحدة الأمريكية عن مساعدة مصر اقتصاديا بعد

تأميم القناة مما برهن على أن معظم الدول لاتقدم المساعدات الا لأنها ترمى الى شىء من ورائها .

والمبدأ الأخير الذى ينادى به الكاتب هو نشر مبــادىء الحرية والديمقراطية التى تؤدى الى حياة أفضل وذلك بالغاء الامتيازات الكبيرة التى يتمتع بها الأغنياء ويحرم منها الفقراء ، وذلك باعادة تقسيم الثروات واعطاء جزء منها للفقراء لأن لهم حقا فى امتلاكها .

فالتفوق ليس هو التفوق فى المعارك ولكنه فى شق طريقنا فى الحياة وفى توفير حريتنا الفكرية والعملية وفى مقدرتنا على تغيير وجه البسيطة دون أن نحوله الى معســكرات لابادة الجنس البشرى .

الحلف الأطلنطى فى ساعة الانحلال

مقـــدمة

لقد بدأ شبح الحرب الباردة فى الانقشاع . وأمام صورة ستالين المفكر ســقط الطاغية البيزنطى خلف أسوار الكرملين العظيمة التى كان يبدو عليها وكأنها على وشك الانصهار على رأس الجنس البشرى كله ويحــل محلها فنــان يؤمن بالذرة الأخضر وبشراب الفودكا وهو يقف بين نظامين أحدهما قديم والآخر حــديث وهو الذى يدعو له والذى يؤمن بالتعــايش السلمى والتنافس العلمى والاقتصادى والفنى والفكرى على أساس العقل والفكر السليم . وتلك المســافات الشاسعة التى تقطعها الصــواريخ كل يوم خلال ســاعات الصــمت الرهيبة أصبحت هى الميدان الذى يعاير فيه مقــدرات الدول ومدى تفوقها على بعضــها . انهم يتحــدثون عن « الانحلال » وعن « الاســتكانة » وعن التغيرات التى اكتشــفت جميــع النظم السياسية وعن التعاون العالمى بين الدول فحتى رئيس الوزراء الألمانى أديناور نفســه قال ، مثنيا على المستر خروشوف بأنه مخلص حينما يتحدث فى نزع السلاح .

فلايوجد شخص فى مشارق الأرض ومغاربها يكره ذلك الرجل لأنه يعتقد بكل ماأوتى من وجود بأن كل شخص فى العالم لايقل عنه عظمة . ولكنه يقضى حياته فى مخبأ الخوف محاولا أن يبعد عن سلالته أقسى مرض أصيبت به الانسانية ذلك المرض لن ينجح أبدا فى التخلص منه : انه الحرب .

وهناك علامات أخرى ، ولا تقل أهمية عن تلك العلامات التى تنذرنا بالخطر انها علامات تبشر بالأمل والتفاؤل . لأنه فى الحقيقة يظهر الآن أمامنا واضحا جليا أن أى تلاق بين الجيوش المسلحة سيؤدى الى عمليات انتحارية جماعية . ذلك لأن ثمن ذلك التفاؤل سيثقل ظهر كل عضو مشترك فيه بحمل لن يستطيع تحمله .

ولكن هناك علامات أخرى ، ذات معان مختلفة تدفعنا الى التريث والتعقل فأسباب الصراع لم تختف بعد . فما زالت كثير من الافكار العظيمة منقسمة الى نصفين فما زال الصراع دائرا فى الجزائر وأندونيسيا ولاوس ـ فلم يخف الستار الحديدى اليوم عنه بالأمس ذلك الستار الذى يفصل بين الآراء سواء فى الجرائد أو الكتب ، فزعيم الحزب الشيوعى الاشتراكى نيكيتا خروشوف لا يملأ رأسه الا بشىء واحد فقط ، انه شىء لا يبشر بالتوافق والسلم العالمى ، ألا وهو انتصار معسكر واحد ، معسكره هو .

وهذا هو ماجعل زعماء ورؤساء المعسكر الآخر يقتنعون

بأنه لم يحن الوقت بعد لتخفيض قواتهم العسكرية . فلقد أعلن بيان مشترك بعد اجتماع الرئيس ايزنهاور برئيس الحكومة الايطالية بعد بضعة أيام من رحيل واشنجتون من المستر خروشوف ، وقال هذا البيان « ان الحلف الاطلنطي هو حجر الزاوية التي تقوم عليها سياستنا الخارجية » .

وتظهر معاهدة حلف الاطلنطي ، تلك المعاهدة التي سيقام ذكراها الثانية بعد أيام قلائل هي احدى الجدران الأساسية التي تقوم عليها الحياة العالمية ويجب أن تقول أنه هو البناء الصلب الذي تكون من اثنى عشر دولة هي (الولايات المتحدة ، كندا ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، بلجيكا ، الأرضى الواطئة ، لوكسمبورج ، ايطاليا ، البرتغال ، النرويج الدانمرك) كما انضمت الى تلك الدول ثلاث دول أخرى هي اليونان ، تركيا ، ألمانيا الفيدرالية — ولقد استمر هذا الحلف بالرغم من كل الاضطرابات والأمواج التي تلاطمت حوله ، وبالرغم من كل التجارب العصيبة التي مر بها .

وكان هذا الحلف هو السبب في تهديدات ستالين ، وتركته ضحكات ستالين جامدا كالمرمر وجاء خروشوف واستخدم بدوره تهديدات سلفه . ولكن أزمة برلين الثانية الذي أحدثها الانذار النهائي الصادر في السابع والعشرين من نوفمبر ١٩٥٨ ولقد نسي اليوم تماما . كان له نفس مفعول

الانذار الأول ـ وابتدأ هذا الانذار بمحاصرة المدينة : فأعاد التضامن الغربى الذى كانوا أهملوه ـ وهـو الشىء الذى كانوا يشتهونه من كل نفوسهم . وسيقول التاريخ ان ذلك الحلف سيقاوم ويبقى طويلا بالرغم من تعارضه للسلام ، كما أنه يبشر بقدرة أعظم من أى حلف انعقد من قبل .

وعلى أى حال فاننا نرى فى الوقت الحاضر فى ذلك القرن الذى يمتلىء بخطب الاحتقار ، وبقصاصات الأوراق ، نرى سجل حياة طويلة تربو على العشرين عاما ، ونجد فى منتصف هذا السجل أزمة السويس ، التى رأينا أعضاء ذلك الحلف يعارضونها بكل ما أوتوا من قوة فى هيئة الأمم المتحدة بالرغم من أنهم لم يكونوا على حق .

ولكن لماذا اتخذوا ذلك الموقف ؟ فالدول الموقعة على هذا الحلف تطرى دائما على كل من يتجاوب مع مطالبهم الأساسية ، ألم يحافظ على الحدود والنظم السياسية للدول الموقعة على هذا الميثاق محافظة تامة ، وهل هم أقل من دول العالم التى تختلط فيها مصالحها الداخلية وتتشابك تشابكا عظيما ؟ ألا يبحثون ولو عبثا عن أى معنى يبرر الكلمة « اعتداء » التى ألصقتها الدعاية السوفيتية منذ زمن طويل باسمهم ، واذا بعدنا الآن عن رماحهم وحرابهم وماذا يجب عليهم أن يفعلوه فى العمليات الحربية العدائية فاننا يجب أن نقول أن الحلف الأطلنطى وما عنده من مقدرات ظهرت ضعيفة وغير

قادرة على استغلال مشكلات المعسكر المناوىء له ، الامر الذى يدفع هنا المعسكر الى اتخاذ قرارات معينة وضرب حدودهم بل واعتبارهم جبناء ... ذلك لأنهم لم يحركوا ساكنا فى اسكات ثورة العمال فى برلين الشرقية والقضاء عليها تماما فى يونيو سنة ١٩٥٣ وكذلك فى سحق الثورة المجرية . هذا دون أن يتذكروا انتصار يوغوسلافيا فى الحصول على استقلالها ، وفنلندا فى المحافظة هى الاخرى على استقلالها وأن بولونيا استعادت جزءا من حريتها .

مرت عشر سنوات على معاهدة حلف شمال الاطلنطى ولكن خط الحدود الذى يفصل بين المعسكرين لم يتحرك ملليمترا واحدا فى أوروبا الا باستثناء واحدا : ففى النمسا حيث اتخذ الاتحاد السوفيتى قرارا مفاجئا سنة ١٩٥٥ بالتوقيع على معاهدة الدولة التى كانت تهدف بدون شك الى اغراء ألمانيا ، بغرض خلق « سويسرا » أخرى ولذلك منتها بالحياد الدائم .

وعند اعتبارنا لذلك الاستقرار الغريب ، فستتجه بنا بعض الظنون الى الاعتقاد بأنه ليس فى مقدرة أحد أن يضع تلك الأمور على بساط البحث والجدال والحقيقة ان هذا الحلف يعتبر العمود الراسخ الذى يحافظ على الوضع القائم فى أوروبا الى الأبد .

ولكن بالرغم من هذا العمود الراسخ الذى لا يتزحزح

تحدث بعض التغيرات الحاسمة سواء أمامه أو خلفه . فالموقف الاستراتيجي ، والسياسي والاجتماعي الذى تضمنه الحلف الأطلنطي تسبب فى مقاساته من انقلابات ذات نتائج جسيمة .

والسؤال الذى يواجهنا الآن هو عما اذا كان هو أنسب حلف وأنسب شيء بالرغم من شكله الحالى ، لمواجهة التهديدات الكثيرة الموجهة ضده . وهل سيستطيع على الأقل ـ المحافظة على السلم الحقيقي . أو أنه سيضعنا فى مأزق أو أنه سيحطمنا رويدا رويدا فى انتظار اليوم الذى نستطيع فيه أن نبلغ الى مستر خروشوف ـ هذا تبعا لارادته هو التى يعمل من أجلها ، وهى خلق موقف انعكاسى لذلك الذى كان سائدا منذ عشرين عاما ، واقامة سد حول الرأسمالية بحيث تبقى فى بلد واحد فقط .

الحرب الدائمة لحفظ ميزان الرعب :

عندما اجتمع اثنا عشر سيدا يلبسون لباسا أسود حول الرئيس ترومان ... ووضعوا توقيعاتهم على معاهدة حلف شمال الأطلنطي التى عقدت فى الرابع من ابريل سنة ١٩٤٩ فى واشنجتون . وكان الغرض من هذه المعاهدة هو بدون شك حفظ مستقبل الأجيال القادمة . هل اعتقدوا حقا أن مايفعلوا بوضعهم هذه الخطة ما هو الا « دعامة ثانية للسلام » بجانب تلك الدعامة الأولى التى أقامها المارشال ؟ وهل كان

أرنست بيفين صادقا حينما أكد أن « أسس السلم ستتأثر فى مدة تقرب من سنة » وفى الحقيقة فقد كتب الجنرال نورستاد « لأشخاص معينين » قائلا : ان المسألة ليست عبارة عن معرفة ما اذا كان السوفييت سيخاطرون بالقيام بحرب فى غرب أوروبا ولكن المسألة هى ما اذا كان فى نيتهم فصلها عن بعضها . وأظن ان بعض من حنكتهم التجربة قادرون على تحديد اللحظة الأكثر مناسبة لنشر تفسيراتهم العظيمة عن عمليات التموية التى حدثت سنة ١٩٥٤ .

وفى الحقيقة فقد كان ذلك الوقت هو عصر السيطرة السوفيتية ذلك بعد أن وضعت يدها على تشيكوسلوفاكيا وأغلقت حدود « برلين » وساعدت الفدائيين اليونانيين وطالبت باستعادة حقها المسلوب فى الدردنيل . وكل دولة أخذت تتساءل من هى تلك الدولة التى ستكون الضحية القادمة هل ستكون يوغوسلافيا أم اليونان أم فنلندا أم ألمانيا أم ايطاليا . ولايشك أحد فيما سيحدث فى أوروبا وفى الولايات المتحدة اذا ماقاس الخطر الذى سيحل بهم اذا استمر السوفيت فى اقتطاع أجزاء عن القارة الاوربية أو اعلانهم الاستيلاء عليها فجأة .

الفراغ الحربى

وكانت الديمقراطية تنادى بنزع السلاح دون بصيرة أو تفكير . ذلك لأنه لم يواجه الاتحاد السوفيتى قوة مسلحة ذات

أهمية تذكر فى القارة الأوروبية . فأى هجوم مفاجىء من جانب روسيا فى امكانه أن يقيم سدا حديديا على حـدود المحيط فى مدة لا تتجاوز ٤٨ ساعة . فالحزب الشيوعى بماله من قوة وعدد ونظام معين قد تكون بشكل يجعله على أهبة الاستعداد للعمل كطابور خامس . ولقد أعلن المسيو ثوريه فى أحد خطاباته قائلا :

ان الشعب الفرنسى لن يبدأ باعلان الحرب ضد الاتحـاد السوفيتى » ويجب أن نقول صراحة وبكل وضوح للسادة الذين يقيمون بالكريملين بأن مسألة «بيلتزكريج» لن تستغرق طويلا وأنه لن ينقذهم حق الفيتو الذى يوقفون به قـرارات مجلس الأمن من الثأر المباشر الذى سيتبعه هزيمة تقودها أعظم القوى الصناعية فى العالم .

هل افتتنت جمهورية الاتحـاد السوفيتى بسيطرتها على أوروبا ؟ وهل دفعها هذا الفراغ الحربى الى القيام بعمل ما ؟ وهل أصبح الحلف الاطلنطى هو السد الوحيد الذى سيحد من توسعه ؟ .

ويجب أن نلاحظ أن روسيا لم تتقدم خطوة واحـدة فى تاريخها نحو تحسين موقفها . ولكنهـا كانت تنتظر حتى تقسم بولونيا أو أن تهجم على فنلندا أو أن تضع يـدها على ولايات بحر البلطيق أو استعادتها لولاية بيسارابيا عن طريق الانقضاض مثل القط ولكن ليس عن طريق استخدام القوة المباشرة . وبعد

أن وجه الرايخ الألمانى الثالث جيوشه ضد روسيا حاول ستالين أن يهدىء من روعه قبل أن يستخدم قوة الحديد والنار . ولقد كانت حرب كوريا كذلك هى نتيجة لحدوث خطـأ فى تقـدير الأوضاع ذلك لأن المستر اتشيسون أعلن علانية بأن جمهورية « سيجمان رى » ليست موجودة فى داخل المحيط الذى يعتبر جزءا أساسيا فى الدفاع عن الولايات المتحدة .

ومن جهة أخرى فان ستالين الذى قال للسير انتونى ايدن أثناء الحرب « لاتخف شيئا ، فأنا لست مثل هتلر ، وأنا أعـرف متى أقف فى الوقت المناسب » والذى بدا عليه فى «يالتا» أنه راغب فى تعاون سلمى دائم بينه وبين الدول العظمى ، رجـع رويدا رويدا الى نظرية ماركس التقليدية عن حتمية قيام الحرب فهؤلاء الذين تقدموا تقدما ملحوظا فى سنة ١٩٢٧ فى مؤتمـر الحـزب الشيوعى الروسى السـادس عشر قـد وضعوا صيغة مشهورة أعطت معنى رهيبا للمصطلحات التى كثيرا ما استخدمت للتعبير عن التعايش السلمى ، وهذه الصيغة هى « أننا لايمكن أن ننسى خطب لينين التى تعتمد عليها مجهوداتنا البناءة الى حد كبير فى مدى كفاءتنا فى استعدادتنا الصراع مع الدول الرأسمالية فى وقت الحرب ، ولم يكن من الممكن تجاهل تلك الخطب ولكن كان من الممكن أن تتأخر فى فهمها حتى يشـتعل أوار الثورة العمالية فى أوروبا أو حتى تتحطم الثورات الاسـتعمارية على

نفسها : أو حتى تتصارع الدول الرأسمالية فيما بينها على اقتسام المستعمرات » .

ولقد وجه الدكتاتور المعنى عن قصد نحو الاستعداد للحرب وتوجيه كل المجهودات العظيمة للامبراطورية التى كانت فى يد الرايخ هتلر قبل سقوط الامبراطورية التى كانت تمتد من برلين الى فلاديفوستوك . ابتدأت الاقطار الواقعة فى شرق أوروبا الداخلة ضمن نطاق الاحتلال السوفيتى فى التحرك رويدا رويدا فيما عدا « يالتا » وانتهى بذلك كل اشكال المعارضة وتحركت عمليات الجاسوسية بمالها من قوة لتحطيم الخطوط الأخيرة للتأثير والنفوذ الغربيين . وحدثت عشرات من التقسيمات تحت حكم الدولة الحمراء . وتقدمت الصناعات الحربية وأعطيت لها الأولوية عن أى صناعة أخرى فى تلك الدولة التى لم تعش بعد عبودية النازى حتى تقع تحت السلطان الستالينى .

وهل كان ذلك التهديد العسكرى حقيقة أم أنه لم يكن كذلك ؟ وكان من الممكن كذلك أن السبب الذى أسكت ستالين هو خوفه من هجوم الولايات المتحدة هجوما تحفظيا ، لأنه رأى بعينى رأسه أنها تنظم هجوما مسلحا ، ولاعتقاده على أنه يجب أن يعد نفسه لتلك اللحظة التى سيجد فيها انقساما خطيرا بين الدول الغربية بما يصاحب تلك الاختلافات من متناقضات .

ضغط الكومينفورم المزدوج

كانت الدول الغربية تجد نفسها خاضعة ـــ فى جميع الأحوال التى وجدت نفسها فيها جزءا من الكومينفورم ـــ الى ضغط مزدوج من الداخل والخارج . وهذا .. بالضبط نظرية توينبى الشهيرة الذى اعتقد فى مقدرتها فى رفعها مايقرب من عشرين مرة على مر الزمن أو فى مقدرتها على تحطيم الحضارة . فاذا كانت ضمانات الحلف لا أهمية لها من الناحية العسكرية فانها لن تكون كذلك من الناحية السياسية ـــ ذلك اذا ما قسنا قيادتهـا المتواصلة فى المستقبل .

وهذه الضمانات حاولوا أن يطبقوها على أوروبا أولا ، أما اليوم فانهم يتساءلون عما اذا كان تكوين « قوة ثالثة » التى يتحدثون عنها الآن لها على الأقل نفس الدوى الذى يحدث لو أن التحالف مع الولايات المتحدة أحـــدث بالضرورة انقساما فى القارة الأوربية وبالتالى فى المجال الســـياسى . وفى الحقيقة فان تلك الحكومات التى تقيم تحالفا بينها على شكل معاهـــدة مثل معاهدة « دنكرك » المنعقدة بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٤٧ ـــ فان تلك الحكومات ليس عندها القوات الكافية ، أو حتى الثقة فى نفسها أو فى شعبها حتى تتحدث جديا عن حمـــاية نفسها دون الالتجاء الى مساعدة خارجية .

ان الولايات المتحدة هى فقط التى تمتلك المواد اللازمة والمركز السيكولوجي الضرورى الذى يعطيها القدرة على تكوين حلف دفاعي غربي ذى تأثير فعال . للمرة الأولى فى تاريخها تقبل الولايات المتحدة أن تحطم تقاليدها التى كانت تمنعها من التحالف بينها وبين تلك الدول الواقعة فيما وراء المحيط فى وقت السلم . والادارة الأمريكية التى يديرها الرئيس ترومان بينت لنا منذ زمن قريب مدى مساهمتها فى مساعدة اليونانيين والأتراك ووضعها لخطة رئيسية غرضها اقامة جدار ضد التوسع الشيوعى وقد قضت فى سبيل ذلك على كل العوائق القانونية التى كانت تقف حيال ذلك .

ولقد حصلت بعثة الشئون الخارجية التى أرسلها مجلس الشيوخ فى التاسع عشر من مايو سنة ١٩٤٨ على اتفاق جماعي على حل افترضه السناتور فاندنبرج يعطى للحكومة الحق فى تكوين « أحلاف عسكرية أو اتحادات اقليمية بحيث لاتخرج عن نطاق ميثاق هيئة الأمم المتحدة » وفى الحادى عشر من يونية وافق مجلس الشيوخ بأغلبية ٦٤ صوتا ضد ٤ على الديباجة التاريخية التالية التى زادت من قيمته وقوته وهى تنص على « أن معرفة نوايا الولايات المتحدة مقدما هو عامل هام وحيوى فى احباط عمليات الاعتداء » وهذا يعنى أنه لو كان يعلم هتلر فى

سنة ١٩٣٩ بأن (أمريكا) نوت دخول الحـــرب أخيرا لما ترك مكانه وأعلن الحرب .

ومنذ ذلك الوقت لم تعارض الولايات المتحدة فى امضائها على معاهــدة الحلف الذى كانت تطــالب به الدول الأوربيــة الديمقراطية بكل عزم وتصميم ، وفى هــذه الاثنــاء لم يوافق مجلس شيوخ الولايات المتحــدة الا بعد مضى اسبــوعين من المشاورات .

وان كانت تلك المعاهدة قد وجدت مدافعا مخلصا لها فى شخص جــون فوستر دالاس الذى كان حينذاك ســـيناتور نيويورك الجمهورى ، والذى كان يعقــد مناقشاته فى ســاحة المحكمة ، الا أنها لاقت معارضة شديدة مما يقرب من ثلاثة عشر من الأعضاء الانفصاليين . وتنص المعاهدة على « أن أى اعتداء على عضو فيها أو أعضاء سواء كان ذلك فى أوروبا أو أمريــكا الشمالية فانه يعتبر اعتداء موجها ضد جميع الاعضاء وبالتالى فانه من المفهوم أنه لو حدث مثل هذا الهجوم فان لكل عضو الحق فى الدفاع الفــردى أو المشترك الذى تعترف به المــادة الواحــدة والخمسون من ميثاق هيئــة الأمم المتحدة ، والحق كذلك فى مساعدة العضو أو الأعضاء التى هوجمت فى الحــال سواء أكان ذلك بمفرده أو بالاتفاق مع جميع الأعضاء الأخرى وباتخاذ كل عضو كافة الاجراءات التى قد يراها ضرورية ، ويفهم

من هذا استخدام القوة المسلحة لاعادة وتأكيد السلام فى منطقة شمال الاطلنطى » .

وكان البروفسور جيلسون هو الشخص الوحيد فى أوروبا الذى تساءل لحظة التوقيع على المعاهدة عن القصد الحقيقى الذى يرمى اليه هذا النص والذى بموجبه يصبح للادارة الأمريكية ومجلس الشيوخ الأمريكى الحق فى تصميم طبيعة هذا التدخل ولقد قيل حقا ، انه اليوم لم يترك مجالا فى الشك فى ارادة الولايات المتحدة فى مساعدة حليفاتها بكل مالديها من قوة اذا مانكبت احداها بهجوم من جانب الاتحاد السوفيتى. ولكنه ليس من المستحيل أن يدفع تطور النظرية العلمية والعسكرية ... والسيكلوجية الناتجة عن الصراع الدائم ، بعض دول الاطلنطى الأخرى الى تعديل وجهة نظرها ان آجلا أو عاجلا ، ذلك لأن المعاهدة تفتح الباب النظرى والقانونى أمامها. وقد آن لنا أن نعرض بعض المشاكل التى حلت أخيرا أمام حلف شمال الاطلنطى .

حرب كوريا

ان ذلك الحلف الذى كان ومازال على وشك النفاذ كان فى الأصل عبارة عن حلف سياسى ذى طابع تقليدى ، ووسيلة نحو ضمان الأمن الجماعى وبعد ذلك بقليل اشتعلت الحرب الكورية. وكانت هذه الحرب برهانا على مدى توسع الاتحاد السوفيتى

وخطورة تهديداته ومن ثم دفعت بالأعضاء فى السير نحو خطوة حاسمة هى خلق منظمة سياسية دائمة • (وهى منظمة حلف شمال الاطلنطى) . وقد عين لهذه المنظمة سكرتير اداري عام ، وجهاز عسكرى تحت أمرتها كما أنها شملت ادارة التخطيط الاستراتيجي التى وضعت تحت الادارة الفرنسية الانجليزية الأمريكية المشتركة ، ويلى ذلك مباشرة هرم من الادارات التى تضم جميع القوى المتحالفة تعتمد على ادارتين عاليتين احداهما على خشبة مسرح القارة الأوروبية والأخرى فى مياه المحيط الاطلنطى . وعملت الادارة الأولى تحت أمرة الجنرال ايزنهاور رأسا .

ودعيت الدول الأعضاء الى الانعقاد لاتخاذ التدابير اللازمة لاعادة التسليح السريع . ولقد تميز الموقف الاستراتيجي حينذاك بعدم وجود قوات فى غرب أوروبا تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم ونجد من جهة أخرى شيئا أشبه بالاحتكار الأمريكى لما توصلت اليه من مخترعات ذرية . وتلك الحماية التى ضمنتها للغرب ، كانت نظريا على الأقل حماية مطلقة ، ولكنه بالرغم من ذلك فقد كان من الواضح جدا أن تلك الحماية لاتعدو أن تكون حماية وقتية . وجعل حلف شمال الاطلنطى من نفسه هدفا فى اللحاق بقطار الأسلحة الكلاسيكية ــ ذلك لتأخره الشديد فى هذا المضمار ــ قبل أن تلحق به القوات السوفيتية ، تلك

القوات التى كانت تعادله فى انتاج الأسلحة الحديثة .

فبينما كان تحت امرة الكريملين ما يقرب من مائتى فرقة عسكرية فى شرق أوروبا وكانت كل فرقة من هذه الفرق مايقرب من نصف أى فرقة أمريكية فى القوة العسكرية وكان هناك مايقرب من ١٠٠ فرقة عسكرية من الولايات المتحدة تقف فى غرب القارة القديمة والآن ألم يكن من الواجب على هذا الحلف أن يقضى كلية على التهديد السوفيتى المسلح تحت ستار الادعاء بالتوازن الحربى ، وكذلك القضاء على أى احتمال للتقدم الاقتصادى والاجتماعى فى كل دولة من الدول الأعضاء التى كانت تعطى للدعاية الشيوعية كل المبررات التى تتمناها . ولكنهم لم يستطيعوا أن يقاوموا اعتداء أخيرا ولكن ليس مؤكد وأن يرفعوا من فوق بساط بحثهم ضرورة الاحتفاظ بحاضرهم.. ومستقبلهم اللذين يستحقان الموت من أجلهما — وتداخل حكم عرفى بين الضرورة والاحتمال . وكان هذا هو عمل أول لجنة « الحكماء » التى كونها مستر جان مونيه وافيريل هاريمان والسيرايريك بلودوين . وبعد أن أصدرت هذه اللجنة توصياتها اجتمع مؤتمر لشبونة سنة ١٩٥٢ وحدد هدفا متواضعا وهو تكوين خمسين فرقة لسنة ١٩٥٤ وهو التاريخ الذى حدده المؤتمر للبرهان على مدى قوة الحلف .

الصراع حول اعادة تسليح المانيا

وفى هذه الأثناء بدا أنه من المستحيل السير فى هذه

الأمور دون الالتجاء الى البقية الباقية من ألمانيا . ولم تكن كذلك مجرد عملية تقابل الآراء فى بوتسدام مع تلك التى تنادى بنزع السلاح الدائم فى أراضى الريخ هى الهدف الرئيسى فى قيام الحلفاء بالحرب بل كانت كذلك عملية اذاعة القرارات الشهيرة التى اتخذها الموقعون على معاهدة الحلف . فقال المستر روبرت شومان فى السادس والعشرين من يوليه سنة ١٩٤٩ « أن ألمانيا لاتملك السلاح ، ولا يجب أن تملكه أبدا » ورد عليه المستر لويس جورد أن سكرتير الدفاع الأمريكى فى الثامن والعشرين من نوفمبر مؤكدا حديثه بقوله « أيا كانت قرارات الآخرين فاننى أقول أنه لن يكون هناك تسليحا ألمانيا » .

وفى سنة ١٩٥٠ حينما انعقد مؤتمر حلف الاطلنطى فى بروكسل ، قدم ممثل الولايات المتحدة لأول مرة تحت تأثير الانفعال الذى أثارته حرب كوريا ، مسألة اعادة تسليح ألمانيا ، ولكن مضى بعد ذلك خمس سنوات حتى وضع أول جندى ألمانى قبعة عسكرية فوق رأسه .

والآن ان ذلك الأمل الذى يرمى الى الالتجاء لمعونة عدو الأمس قبله جميع الاعضاء دون أى اعتراض تحت صورة الحاجة ولكن ذلك أثار فى فرنسا اضطرابات كثيرة أكثر مما يتصورها العقل ، محاولة البرهان على أن ذلك العمل له مساوئه ومميزاته معتقدين أنه من الممكن نحو الاتحاد الاوروبى تحريف فكرة

اعادة تسليح ألمانيا . وفجأة اتحد المحاربون القدماء وأنصار ديجول والوطنيون ضد القرارات التى اتخذها هذ المؤتمر واقفين بجانب الشيوعيين أضف الى ذلك اليساريين الذين كانوا يرون أن هذه القرارات ماهى الا غش وخداع لأنها اقترحت أن تطلى حبات المرمر بالذهب ـ وماهذه الحبات الا اعادة تسليح الدولة الهزومة . ولم ينته هذا الصراع الذى كان ذا خطر شديد على الوحدة الأوروبية الا فى ربيع سنة ١٩٥٥ ويبدو أن هذا الصراع قد طفا اليوم على وجه تيار الفيضان ، وبدلا من أن تترك ألمانيا عدوها المعروف رضيت أن تلبس بدلته العسكرية . وبدلا من أن ترتضى ألمانيا لنفسها أن تقبع تحت السقف الذى أقامته باريس لها فقد بقى تأثيرها قويا كدولة داخلة ضمن الحلفاء وأخذت بعد ذلك كثير من الدول الخطوات الحاسمة نحو تقليل مدة الخدمة العسكرية وفرنسا التى كان يجب عليها أن تمد الحلف بأربعة عشر فرقة لاعتبارها أكبر نواة للدفاع عن قارة أوروبا لم يعد لها فى حرب الجزائر سوى فرقتين ونصف . أما انجلترا فقد قررت من جهتها اعادة مايقرب من ربع قواتها فى ألمانيا الى الوطن الأصلى ، مفسرة ذلك بطريقة تفهمها هى تجاه وعدها الذى وقعت عليه فى مؤتمر باريس الذى ينص على وجود أربع فرق انجليزية فى ألمانيا .

ازدياد القوة العسكرية

لقد قيل حقا ، أن تغير النظريات الاستراتيجية بعد صراع

دام طويلا أحدثت بالتالى تغييرا عظيما فى أهمية هـذه المشكلة وتأثيراتها . فادخـال الأسلحة الأوتوماتيـكية فى التكتيكات العسكرية للمعسـكر المناوىء أفادت بدورها القوة العسكرية فى المعسكر الأول بشكل عظيم . فقد أعطى ذلك الفرصة للقوات الاطلنطية فى اوروبـا وللفنيين المعسـكريين الى السـير خلف السوفيت بعد مرور أيام قلائل . وتركت قوات الاطلنطى الفرصة لسادة الكرملين حتى يختاروا أما الباحثات واما السحق التـام الذى أصبح أمرا لايمـكن تحاشيه اذا ماطال الصراع نتيجـة لدخول الأسلحة النووية فى ميدان الحرب .

واذا مانظرنا الى الموقف الحالى فاننا سنجده يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الموقف الذى كان موجودا ساعة التوقيع على الحلف الاطلنطى وكذلك عن النظريات التى بنى عليها حـكماء الحلف برنامجهم فى مؤتمر لشبونة . ومن الآن فصاعدا نشـأ موقف من التوازن فى الرعب « بين المعسكرين » ، ولكن لم يعتمد هـذا الموقف كثيرا على الطرق التى يستغلونها بل يعتمد على مدى الرعب الذى يحدثه أى من الجـانبين . ولذلك لم يصبح الازدياد فى المقدرة على التدمير ذا قوة فعالة لها أثر رجعى .

الشك المعقول

منذ تلك اللحظة التى أصبحت فيها الضحية المرموقة على

حذر كما أصبح لها وزنها بفضل أسلحتها التى جهزتها للاخذ بالثأر ، ولتوقع هجومها فجأة على أى مقاطعة وتفنى فيها فى مدة لاتعدو دقيقة واحدة مايقرب من عشرة أو عشرين مليونا من البشر ولن يهمهم كذلك أن يفنوا عشرة مقاطعات ويبيدوا مائة مليون من البشر ، .. فالحرب كما يقول مستر سلوين لويد أصبحت « طريقة قديمة بالية فى تنظيم الصراع » .

ومن ثم فلم يعد بعد الصراع المسلح هو النهاية الحتمية للمعركة ولكنه هو بداية المعركة للتسابق على التسلح فى المستقبل . وأن من يبتدىء به لن يكون الا معتوها أحمق أخطأ فى تقديره للاوضاع . والطريقة المثلى التى يجب أن تتبعها هى مفاجأة ذلك الذى يتسابق على التسلح نبين له بوضوح الثمن الذى سيدفعه نتيجة لأعماله . ذلك لأن المشكلة لم تعد فقط عبارة عن مشكلة التسلح فلا يكفى فقط امتلاك الأسلحة ولكن يجب أيضا ألا يكون هناك حاجزا يمنع المعتدى عن اتخاذ خطوات جريئة فى المستقبل وكذلك يجب أن يكون متأكدا كل التأكد من عقيدته ومبدئه اللتان سيستغلهما اذا دعت الظروف الى ذلك أو على الأقل متأكدا من عواطف الشعب الذى لم يحصل عليها بعد والتى لم يستخدمها ساعة ابتدائه بالهجوم .

وهذه هى النظرية التى تسمى « بالشك المعقول » ولو اختفى ذلك الشك كلية فان العالم الغربى سيواجه أخطارا

عظيمة ـــ كما أنه قد تسول للاتحاد السوفيتى أو الصين نفسها الى السير الى الحد الأقصى فى عمليات الارهاب من نفس ذلك النوع الذى استعملاه فى السنوات الاخيرة فى الشرق الادنى وفى كيموى وفى برلين ـــ ولكنهما علما تمام العلم أنه أمكن وقف هـــذه العمليات فى وقتها وأن هـــذا هو نفس النوع من الانسانية الذى سيجدان بنفسهما أنه قد حاق به الخطر لو أن الحلفاء اتخذوا قرارا بالحرب دون الوصول الى اقناع السلطات السوفيتية بفهم عكس ذلك .

واذا أما ايدنا ذلك الشك المعقول ، واتخذنا كذلك قرارا بوضع رقابة عامة علي التسلح أو علي الأقـل بمنع أى هجوم مفاجيء ـــ فاننا بذلك نضرب على النقطة الحساسة التى يسعى اليها حلف شمال الاطلنطى . ولكن هل هو فى حـالة تسمح له بمواجهة ذلك الموقف ؟ أن هذا هو مايجب علينا أن نفحصه أولا .

الفصل الثـــانى

٢٥٠٠٠٠ مليار

٢٥٠٠٠٠ مليار من الفرنكات هو اجمالى ما أنفق تقريبا على المعدات العسكرية منذ اللحظة التى تم فيهـا التوقيع على معاهدة حلف شمال الاطلنطى مشتركا فى هـذا الخمس عشرة دولة من الأعضاء . ولقد كان ذلك الوقت من أحرج الأوقات التى مرت به دولتنا لأنه كان أمامها اما أن تغير عملتها واما أن تذهب الى الأبد فى وسط ساعة الصفر .

واذا ماقسم ذلك المبلغ على عـــدد المقيمين فى الأراضى المحمية ، فانه سيمثل مبلغا وقدره ٥٠٠٠٠٠ فرنك عن كل منطقة وأن هذه الضخامة تتركنا فى حيرة لامخرج منها . وبالرغم من هذا فان قيمة ذلك الحلف لاتوجـد فقط فى مقـدار ماسيخففه من مآس أو فيما سيبنيه من منازل ، أو فيما سـينقذه من أرواح ولكن أيضا فى قيمته ... الخارجية الفعلية بالنسبة لنفسه .

أن اجمـالى القوات البرية لحلف شمال الاطلنطى التى قد وكل اليها أن تصد أى هجوم من جهة الشرق تبلغ فى مجموعها

فى الوقت الحالى مايقرب من ثلاثين فرقة يدخل ضـمنها أربع فرق أمريكية وثلاث انجليزية .

وفى الحقيقة فان الاحصـائية المعلنة فى سراى شـيلوت الخاصـة بالمجهودات العسكرية للدول الأعضـاء لا تختص فقط بمساعدتهم للحلف . فكل واحدة من هذه الدول أدخلت ضمن اجمالى حسابها مجموع ماأنفقته على النواحى الدفاعيـة الخاصـة بها هى وذلك خوفا من أن تدفع ماضن به الآخرون وبذلك تدفع أكثر مما دفعت فعلا . وهذا يعنى مثلا أن الولايات المتحـدة ادخلت ضمن حسـابها ميزانيتها الأوتوماتيـكية ومحلولاتها الصاروخيـة وتكاليف أسطولها فى البحر الأبيض المتوسط وفى المحيط الباسفيكى .. وكل ما لايمت بصلة الى منظمة حلف الاطلنطى . وبنفس الطريقـة فعلت فرنسـا فهى تضيف نفقاتها فى الحـرب الجزائرية ، وكذلك بريطانيـا فى دفاعهـا الاستعمارى ، وأدخلوا كل ذلك ضمن دفتر أستاذ منظمة حلف شمال الاطلنطى .

أساس البناء :

ويجب أن تلاحظ أيضا ، حتى نكون عادلين ، أن هـذه النفقات لم تكن غير مثمرة كلية ، فلقـد خصص مبلغ ١٥٠٠ مليار فرانك لوضع الأساس فقط ، وبذلك أعطى لدول أوروبا الغربية مايقرب من ١٤٠ مطارا حربيا فى مقابل ١٥ مطارا فى سنة

١٩٤٩ كما أنه أعطـاها كذلك حـوالى ٨٠٠٠ كم من أنابيب البترول وشبكة للاتصالات اللاسلكية والسلكية ليس لها مثيل وهي تحتوى على مايقـرب ٢٤٠٠٠ كم من الخطوط التليفونية الأرضية ، وما يقـرب من ١٥٠٠٠ كم من الاسـلاك الموصلة لمحطات الراديو وحوالى ٣٠٠٠ كم من الكابلات البحرية التى تستخدم حاليا فى الخدمات المدنية . وتقول القيادة الأمريكية أن النفقات التى أنفقها الجيش الامريكى خارج بلاده أمدت البلدان الأوربية بملايين الساعات من العمل المتواصل ومن الشعارات المقيدة ... وأخيرا فانه من المعترف به أن الأبحاث العلمية وخاصة فى الميدانين الجوى والاليكترونى جعلا انطـلاق اعادة التسلح أسرع بكثير من عجلة التقدم التجارى التى ثبت عدم مقدرتهـا فى تدعيم هذين الميدانين . ولولاهما لما استطاع الحلف أن يبنى جزءا من تجربته فقده بسهولة وبساطة جدا ، فقده فى عملياته الحربية العديمة الفائدة التى قام بها فى الهند الصينية وقناة السـويس وأماكن كثيرة أخرى . فقـدها فى اسراف الجيش المتزايـد فى تظاهره باقامة الاسـتقرار بين المدنيين ، فقـدها فى التسلح والمقدرات الانتاجية اللذين سارا فى طريق سريع جدا ، ولايحدث الحدث الثانى الا اذا جذب الحدث الأول اليـه . وفقـدها ـ أخيرا ـ لأن المجهودات التى افتقـدت فى اقامة المعايير للحلف الاطلنطى لم تعط حتى الآن الا نتائج محدودة للغاية . كمـا أن الصناعات القومية تتبع فيما بينها منافسة تكلفها الكثير ومنهـا

النزاع حول مسألة الأسلحة الاطلنطية وحول المعدات المستخدمة في الصراع الألماني وأسوأ من هذا وذاك امتناع حلفاء فرنسا عن تزويدها بالاسلحة والمعدات الحديثة وعن اعطائها أسرار الأسلحة النووية .. الاتوماتيكية التي يستخدمها المعسكر المناوىء منذ زمن بعيد .

وان فقد الدول المشتركة في الحلف لوقتها ومجهوداتها ونفوذها شيء لايمكن تحاشيه بالمرة . وأن الكتلة السوفيتية لتعرف مدى الغيظ الذي تحدثه في دول هذا الحلف باتباعها لنظام جماعي . وهي تنتج سلسلة عظيمة من الأسلحة التي كثيرا ما يبطل استخدامها عند العمل — أي بمعنى آخر في اللحظة التي تصبح فيها على استعداد للدخول في الخدمة . ولكن تلك الأسلحة التي بطل استخدامها لايعني أنها أصبحت عديمة الفائدة بل يوزعونها على دول الثالث الثالث من العالم التي يجعلون منها أصدقاء يحسب لها حسابها وذلك بتغييرهم للمواد الأولية التي أدخلوها في هذا الانتاج .

وعلى كل حال فقد سمح بالاولوية في النفقات على الأسلحة للمعسكر الشرقي على أن يحصل المعسكر الغربي على هذه الأولوية في مدة لاتتجاوز عشر سنوات على أساس الخطة الكلاسيكية أو التقليدية وبذلك تلحق به ثم تتفوق على المعسكر الشرقي في الخطة الأوتوماتيكية وفي قذف الصواريخ وأول مايفعلونه هو السباع الى الخدع الواهية التي تدل عليها

الاعلانات المتتالية التى يصدرها السادة من الكرملين عن القنبلة الذرية والهيدروجينية والصواريخ العابرة للقارات . وتسجل « السيزموجرافيات » الاميركية يوما بعد يوم جميع الانفجارات التى يقوم بها الاتحاد السوفيتى والتى برهنت على أن عدم حرية الفكر العلمى لم يكن عقبة أمام البراعة الذهنية العلمية أو سرعة تقدم الصناعة الحربية ذلك لأن « السبنوتنيك » الروسى برهن على التفوق السوفيتى فى ميدان الصواريخ ، وقد علل الحلفاء ذلك بأنه يوجد ماكينات قديرة للقذف فى مكان ما على الكرة الأرضية تبعث بهذه الصواريخ الى الفضاء . وكان آخر حدث قضى على الشك الذى كان يساور الحلفاء فى مدى مقدرة الاتحاد السوفيتى فى هذا المجال هو وصول القمر الروسى الى الهدف المعين له على القمر الطبيعى فى سبتمبر عام ١٩٥٩ .

ميزان استراتيجى جديد :

ان دخول موسكو فى ميدان الصراع الجوى بث فى قلب الولايات المتحدة حالة من الفزع والرعب والتيقظ المستمر . واستمرت فى استمالة جميع العقول العسكرية الغربية الى جانبها وذلك منذ أن أعلن مستر دالاس غاضبا أن القيادة أصبحت « ممزقة » فأمريكا التى كانت من زمن قريب مجرد هدف محتمل لقاذفات القنابل الروسية لم تعد الآن المرسى الأمين الذى كانت تنصب عليه راية الأمان . وأصبح لزاما عليها أن

تستعد اذا اقتضــت الضرورة الى اعادة غزو أوروبا لو احتلها الروسيون . انها الآن فى الخطوط الأمامية وماعليها الا أن تبنى ميزانا استراتيجيا حديثا بمساعدة حلفائها وهذا هو العمل الذى كرست حلف الأطلنطى لهمنذ انعقاد مؤتمر الأقطاب فى باريس فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ .

ومهما يكن من أمر المجهودات التى يبذلها حلف الأطلنطى فليس غرضها هو الانتصار فى الحرب ، ولكن فقط هو اخافة المعتدى الذى يحاول مثل هذا النصر الذى سيعتبر مراوفا لكلمة «انتحار» فالامكانيات التى يحتفظ بها كل من المعسكرين تكفى جدا لســحق وابادة المعســكر الآخر من الوجـود بكل بساطة . ونجد أن واشنجتون وموسكو أصبح لديهما مايكفيهما من الأسلحة النووية ، كما أن لندن أصبح عندها عدد وفير من الأسلحة الهيدروجينية والنووية ويتراوح وزنها مابين ١٢، ١٥ طنا (وهذا يعنى أنها ذات قدرة على تحطيم مايقرب من ١٢ الى ١٥ مليون طن من الترتنلارولين) أى أن قذيفة واحدة فقط لها نفس قوة تحطيم جميع القنابل التى أسقطت على ألمانيا خــلال الحرب الأخيرة . اذ يمكنها ابادة كل وجه من أوجه الحياة فى مساحة قدرها ١٥ كم ٢ ، أما تأثير الاشعاع فانه يمتد فى ربوع منطقة تبلغ ١٥٠٠٠ كم ٢ ويقول المستر خروشوف ان قنبلةهيدروجينية سوفيتية واحدة تكفى فى محو قطر مثــل الدانمرك من الوجود . وفى خلال حديثه له مع مستر هاريمان فى ربيع سنة١٩٥٩ أضاف

قائلا أنه يعتقد اعتقادا تاما فيما قاله جوزيف السوب من أن ستة قنابل تكفى لمحو فرنسا وسبعة لمحو ألمانيا الغربية واليوم نجده يتكلم عن قنبلة وزنها ٥٠ طنا أى انها تساوى ٢٠٠٠ أمثال قنبلة هيروشيما .

الشرط الأساسى للاعتداء :

ان المعتدى الذى تسول له نفسه استخدام مثل تلك الأدوات الفتاكة لن يفعل ذلك الا بعد أن يتأكد من أن هذه الدولة المعتدى عليها لن تأخذ بالثأر فلن يكون عندها قوة أو شجاعة تقدمها أولا على خشية التضحية لأنه سيقضى على حياة الملايين على مدن بأكملها وعشرات السنوات التى ضاعت فى البناء .

ومن الواضح جدا أن الشكل النووى لحرب عالمية سيجعل عمرها قصيرا جدا ذلك لأن كمية الاشعاع القاتل سيكون كافيا جدا لقتل المعتدى عليهم . وبعد التجارب السوفيتية التى تمت فى سنة ١٩٥٨ تزايدت الاشعاعات الذرية فى المحيط الجوى ولكن بالرغم من هذا كان من الممكن أن تبقى الانسانية فى أمان .

ويقول بعض المتخصصين انه فى الظروف الفنية الحالية سيمكن لأى هجوم على نطاق واسع أن يقضى تماما على القواعد المضادة ولكن بما أنها ستلقى باشعاعات ذرية كافية فلن يمضى عليها وقت طويل حتى يعانى المعتدى شر عمل يده .

وهذا هو ما دعا مستر يكسون الى أن يعلن وهو فى رحلته فى موسكو اننا اليوم وصلنا الى مرحلة من التاريخ ينطبق عليها هذا القول «من يلعب بالسيف يمت بالسيف» فالدولة التى ستشن حربا فى هذه الظروف الحالية فانها ستعمل على تحطيم نفسها . فحتى لو لم تقم الدولة المعتدى عليها بالأخذ بالثأر فان الاشعاعات الذرية المستخدمة فى الاعتداء ستنقلها الرياح الى أراضى المعتدى نفسه واليوم تعمل الولايات المتحدة على انتاج الأسلحة المناسبة . ويبدو أنه من المحتمل ان روسيا قد أنتجت كثيرا منها ، ولكن مع ذلك فان توقف التجارب الذرية منذ أول نوفمبر سنة ١٩٥٨ قد عاقت كلا الجانبين عن التقدم فى البحث .

وبجانب هذه الاعتبارات الفنية الأساسية يجب أن نأخذ فى حسباننا الاعتبارات الفسيولوجية ، فان مناقشة عملية القتل الجماعى النووى قد أثرت تأثيرا عميقا فى جميع البناءات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى كلا المعسكرين ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بما يحدث .

وقد أعلن المستر خروشوف على أحد الصحفيين الامريكيين قائلا له « كن متأكدا اننا سنخسر خسارة عظيمة في وقت الحرب ، ولكننا اذا ماقارنا مدى اتساع أرضنا بأرض فرنسا وألمانيا أو انجلترا فاننا سنجد أنه ليس من اللازم أن نهتم بالاستراتيجية أو بالناحية العسكرية الى حد كبير . فحتى أمريكا نفسها ليس عندها أرض بمثل اتساع أرضنا ، وعلى ذلك فاننا يجب أن نحذر أمريكا من أنها

تركز صناعتها فى مدينتين أوثلاث وهى نيويورك وشيكاغووسان فرانسيسكو أما صناعاتنا فهى أقل تركيزا • ولقد أعلن رئيس الاتحاد السوفيتى من قبل أن هناك من الأسباب ما يدعوه الى أن يقرر فى سنة ١٩٥٧ تحسين المركز الاستراتيجى لجمهوريات الاتحاد السوفيتى ، ومن الجائز أنهم كانوا يفكرون فى ذلك الوقت فى الاحتفاظ بالقوة المعنوية للشعب وجيشه وفى الوقت يؤثرون على المعسكر المعادى •

الدفاع أكثر سهولة من الهجوم :

اننا نجد لحسن الحظ أن الدفاع أكثر سهولة من الهجوم • وماذا يجب أن يكون الهدف الأول للمعتدى ؟

هو القضاء التام فى ساعة الصفر على جميع القواعد الخاصة بالمعسكر المعادى ، وهذا اذا ما افترضنا معرفته للأماكن الحقيقية وبذلك يوجه اليها ضرباته الصائبة • ولكن قد يحدث عكس ذلك بأن يوجه المعسكر المعتدى عليه ضرباته الى أماكن مختلفة من أرض المعسكر المعادى دون اصابة الهدف الصحيح •

ولذلك فان المعتدى اليوم أمامه أن يختار طريقه حتى يحصل على هدفه وهو : اطلاق الصواريخ بدون قائدين على أن يكون لها ميزة الضبط والأحكام ولكن يجب أن نعرف أن كلا المعسكرين عندهما اليوم قنابل وصواريخ ذات رءوس ذرية فى استطاعة أى منهما القضاء التام على أسطول جوى بأكمله •

وانه من المؤكد أن الدخول في أى حرب يستخدم فيهاأسلحة التدميرسيحتاج الى تغيير تكتيكية القذف . فبلامن احرازنا للطائرات القاذفة للقنابل التى تعودنا عليها في الحرب العالمية الثانية فاننا سنجد قواعد قاذفة للصواريخ التى تتعدى سرعتها سرعة الصــوت بحيث انها تصيب الهدف باختراقها الشبكة الجوية للمعسكر المعــادى اذن مافائدة شبكات قاذفات القنابل الموضوعة في أوروبا اذا كانت قد قررت الحكومة الفرنسية تزويد جيشها «بالميراج٤» واذا كان لابد من اختراق الطائرات لمسافات طويلة فانه يجب أن تحمل معها بعض الكربون حتى تقلل من سرعتها عند تنزيل حمولتها ذلك حتى تصيب الهدف المقدر لها تقريبا . وهل .. سيخضعون رويدا رويدا للقذائف العابرة للمحيط الجوى دون أن يلمحها أحد حتى تصل الى هدفها بسرعة هائلة دون أن يستطيع أحدا اعتراض طريقها ؟

انه في الظروف الفنية الحاضرة لو أصبح في امكان القذيفة أن تصل الى هدفها دون أن يعترضها أحد فانها ستبقى بدون شك سواء في الوقت الحاضر أو المستقبل ـ هي أداة التدمير التى تصيب هدفا على بعد شاسع وذا مساحة ضئيلة لاتتعدى مساحة خشبة المسرح ، وبذلك سيكون في استطاعته خرق القاعدة التى تقذف منها الهــدف المناوىء . ولكننا نجد أن العقبة الوحيدة التى تقابلنا هي عــدم دقة هذه القذائف ، فاذا أراد الاتحاد السوفيتى تدمير جميع القواعــد الأمريكية وقواعد الحلفاء في العالم فانه يكفيه عشر قذائف من هذا

النوع وذلك يقذفها على مسافة أقل من مائة كيلو متر من هدفها على أن يكون تأثيرها ممتدا لهذه المسافة •

ونرى أن المشكلة الاستراتيجية للدول الغربية تنصب في ثلاث نقاط هامة وهى : ـ

١ ـ اعداد الآلات والمعدات اللازمة لارغام القوى المدافعة نفرعيها على التسليم •

٢ ـ أن تحمى قواعدها بكل ما أوتيت من قوة بغض النظر عن ميناء بيرل هاربر المزود بالأسلحة الذرية ـ وبذلك تحميها من الفناء التام •

٣ ـ بناء نظام من الحذر التام الفعال الذى يجعل هذه الدول على أهبة الاستعداد بحيث أنها توجه قذائفها للثأر والانتقام في أقل وقت ممكن قبل أن يقضى عليها العدو ولكن الى أى مدى يمكن تحقيق ذلك ؟

عجلة الصراع :

ان النتائج الباهرة التى حققها الكرملين فى غزو الفضاء كانت عائقا كبيرا للمحاولات والتجارب الامريكية التى قامت بها فى «رأس كانافيرال» والتى برهنت على تأخر الامريكيين ولكن يعوض أميركا عن ذلك انها هدف بعيد جدا بالنسبة للاتحاد السوفيتى أكثر من الاتحاد السوفيتى بالنسبة لها • ففى الحقيقة تجد القيادة الروسية

نفسها مضطرة الى القاء قذائفها على بعد يبلغ مساحة المحيط المتجمد الشمالى على الأقل ، وفى هذا المحيط توجد قاعدة « بتاجون » التى تعد قواعد صاروخية للانقضاض على جميع حدود الاتحاد السوفيتى . والفضل فى هذا يرجع الى حلف شمال الاطلنطى والى الأنظمة الغربية الأخرى . أضف الى ذلك أن أحد المسائل التى أثيرت أمام حلف شمال الاطلنطى هى مسألة قذف (الاسبوتنيك) وعما اذا كان موجها نحو القارة القديمة ، ويقول أحد علماء القذائف أنه يمكن أن يصل الى بعد ٢٤٠٠ كم وبذلك يصبح من السهل على هذا الصاروخ العابر القارات أن يصيب بسهولة لينجراد وموسكو وكييت عن طريق أوروبا الغربية والأورال وتركستان عن طريق تركيا الآسيوية .

ولكن قانون ماكماهون يمنع الولايات المتحدة من أن تضع فى البلدان المتحالفة معها أسلحة أوتوماتيكية أو نووية كما أنه يتحكم فى توصيل معلوماتها عن الموضوعات الخاصة بالتقدم المطرد الذى حققته فى هذا الميدان . أما لو أنها أعطت صواريخها عابرة القارات لأصدقائها فانها فى هذه الحالة يجب أن تبقى على سياستها وتحكمها فى هذه الصواريخ . أضف الى ذلك أن المفاوضات الخاصة بالآراء الضرورية تحتاج الى وقت طويل . ولم تصل بنا حتى هذا الوقت الا الى حالتين وهما حالة انجلترا وايطاليا . وفى هذه الأثناء قررت تركيا أن تقوم بأعمال عظيمة كما ان واشنجتون قد أكدت لها وضع

مجموعة كافية من الصواريخ تعطيها القدرة على قذفها في ساعة الضرورة للانتقام المركز من الاتحاد السوفيتي .

وفي كل الاحوال فان الادارة الرئيسية «لتثبيط الهمم» هي اختراع قاذفات القنابل ، وتعمل القيادة الجوية الاستراتيجية في أوماها على اعداد مايقرب من ٢٠٠٠ جهاز من طراز توربيد ٤٧ ب ذات السرعة ٩٩٠ كم في الساعة ذات الاشعاع المنتشر في نطاق ٥٠٠٠ كم ، وكذلك من طراز ب ٥٢ ذات اشعاع منعكس في حالة الطيران وهذا الاخير يستخدم أساسا في قذفه في المحيط المتجمد الشمالي . أما قيادة القاذفات البريطانية فيعمل تحت ادارتها مايقرب من مائتي جهاز للاشعاع من طراز «ف» أما قواعد قاذفات القنابل للحلف الاطلنطي الموضوعة في انجلترا والمانيا وتلك الموجودة على على الاسطول السادس الامريكي في البحر المتوسط فهي الآن على استعداد لقذف قنابلها على الاهداف المقصودة ، ونرى من التفاصيل الاخيرة عن الصواريخ العابرة للقارات أنها تتقدم تقدما ملحوظا عما كان منتظرا لها ، وما زال ... للصاروخ أطلس نفس المفعول . اذ أن في استطاعته أن يصيب هدفا على بعد يقرب من ٨٠٠٠ و ١٠٠٠٠ كم بسرعة قدرها ٢٠٠٠٠ كم في الساعة .

حماية قواعد الاخذ بالثأر :

٢ ــ منذ زمن طويل واستخدام قاذفات القنابل والصواريخ الموجهة لها قوة عظيمة جدا ولكن زادت تلك القوة والفاعلية بعد

الحرب العالمية الاخيرة . ولم تثبت أي قوة .. مضادة للصـــواريخ قدرتها على الوقوف ضدها . وعلى ذلك فان قوة قاعدة بنتاجون تعتمد على النقاط الآتية :

ـــ دفن الآلات القاذفة للصاروخين أطلس ونيتان عابرى القارات عشرات الامتار تحت الارض ، أضف الى ذلك التسع قواعد الرئيسية فى منطقة السهول العظمى الواقعة فى غرب الميسورى ، وهى تبلغ فى تكاليفها ١٢٥ مليارا من الفرنكات الخفيفة .

ـ وتوزيع قواعد القذف والمخزون من الاسلحة الاوتوماتيكية . ففى شهر ديسمبر من سنة ١٩٥٧ وافقت دول حلف الاطلنطى عـلى المبدأ القائل بأنه لن تكون دول الأطلنطى هى فقط المشتركة فى الحرب .

ـ تحرك القوات العسكرية . فبعد أن رأت الولايات المتحدة بعد قذف الصاروخ سبوتيك انه من المحتمل أن الاتحاد السوفيتى يمتلك آلات قاذفة للصواريخ عابرة القارات ، قررت أن تمتلك سرا أجهزة استراتيجية جوية ذلك حتى تتحاشى التدمير المخيف للطبقة الارضية حتى أنك تجد فى القواعد الملحقة فى الجو مكانا للأسلحة الحديثة .

ولكن يجب أن تعرف أنهم يعتمدون اعتمادا على الأسلحة الموجودة فى داخل الغواصات ويستطيعون استخدام قاذف القنـابل (الطبقى) فى أى وقت يريدون . ولقد أثبت استخدام الصاروخين «ناتيلوس» و «سكاتى» على أنه فى الامكان استخدام أسلحة

أوتوماتيكية ففى مقدرتها الانسياب تحت ثليج القطب المتجمـــد الشمالى حتى تصل الى هدفها دون أن يراها أحد •

ضروريات الحذر :

أصبح الحذر شيئا أساسيا منذوقت طويل ذلك أن وجد الاتحاد السوفيتى نفسه مضطراً الى الاتجاه الى قاذفات القنـابل • ولحسن الحظ أنه وجد بسبب بعد المسافات بينه وبين الولايات المتحدة أنه غير قادر على اصابة أهدافه فيها، وتقول الانباء الاخيرة أن البحرية الأمريكية أنها قد توصلت الى صنع صاروخ يوضع على فوهة رادار عنده القدرة على قذف صاروخ موجه الى هدف يبعد ٨٠٠٠ كم ويسير بسرعة عظيمة بالقرب من أنحاء الأرض •

ولا تعتبر الميزانية المكتوبة على الورق فى غير صالح الغرب فلقد استطاعت أن توقف كل اعتداء بسرعة وفى الحال • ولكن لم يخسر أحد خســـــارة كبيرة ، وبذلك استطاع حلف الأطلنطى القضاء على الدعاية الشيوعية •

وسيؤدى هذا الموقف اذا ماطال لمدة طويلة الى اختراع نظام شيوعى أوتوماتيكى كامل من شأنه القضاء التام المفاجىء على قواعد الحلفاء • ومهما يكن الامر من التقدم السريع فى الناحية التكتيكية فانهم يجب أن يفهموا أن هذا العمل ليس من أجل الغد •

أخطاء المدرعات الحربية :

وفى هذه الاحوال الراهنة لايمكن أن نقول أن الموقف يدعو الى التفاؤل ، لأن هذه المدرعات الحربية تمثل أمامنا أخطاء جسيمة وأول هذه الاخطاء هو عدم الكفاية ذلك اذا ماقارناها بالقوة الحرارية النووية ، وتسمى هذه القدرة : بمجموعة القوات والاسلحة الفعالة الموجودة فعلا تحت أمرة القيادة الأطلنطية على مسرح الحرب الاوربية ، ولقد حدد الجنرال نوستاد بنفسه المهمـــة التى قام من أجلها الحلف الأطلنطى وهى ارغام الأعداء على التوقف والعمل على تحطيم جميع عمليات التقدم فى شن أى غارة حربية وكل عملية غرضها جس العدو ومنع أى توقف يستطيع فيه العدو أن ينظر بامعان الى النتائج التى ترتبت عن أعماله .

٢ ــ يجب أن تكون الاستراتيجية فى مثل ذلك التوقف هو اجبار العــدو على أخذ قراره عمدا وقسرا بحيث اما أن يستمر فى الحرب الى النهاية واما لايسير فيها بالمرة .

٣ ــ وعند اجبارنا لهم على إختيار الموقف يجب أن ندفعهم الى النظر فيما سيكلفهم ذلك ، كما أننا لايجب أن نجعله يتخذ قرارا أقل تكلفة بالنسبة له لان ذلك سيبقى عند نجاحه فى رصيده

ولكى تقيم القيادة العليا وزنا لهذه الأوجه الثلاثة فسرت قرارا اتخذ فى مؤتمر باريس فى ابريل ســـنة ١٩٥٧ على أيدى وزراء دفاع حلف شمال الاطلنطى ، مايسمونه بالحاجة ذات الحد

الأدنى : ثلاثون فرقة «حديثة» وكانوا يعلمون حينذاك أنهم لم يصلوا الى هذا العدد . ولكن لما رأوا أن الاتحاد السوفيتي هو الذى يقرر حالة السلم ، بعد أن قاموا بعمل تقديراتهم السريعة وبعمليات التقليل من قواتهم الحربية التى قوبلت بترحيب كبير ، رأوا أن جيشهم يجب أن يبلغ فى عدده ١٤٠ فرقة منها ٨٢ فى أوربا يشترك فيهم ٣٫٩٠٠٫٠٠٠ شخص ، كما يجب أن تضيف الى ذلك الجيش الصينى العظيم والقوات الاوربية المتقلة .

ولا ترى الدول الغربية أنه لا يمكن أن تقوم قائمة الحرب الا بالاستخدام المباشر السريع للاسلحة الأوتوماتيكية (المدفعيه الأسلحة المشعة والقنابل الموجهة بصواريخ مثبتة على الأرض) واذا ماقارنا ماأنتجناه من الاسلحة الاوتوماتيكية اليوم بما أنتجناه بالأمس واستخدمناه فى الحرب الاخيرة فسنجد أننا قد أحرزنا تقدما ملموسا فيها بل وعظيما فقد أجرت الولايات المتحدة تجاربها على القنبلة ٤٠ت التى تعادل قنبلة ترينيتر وتلين وكانت أعظم من القنبلة الذرية ١١ ت التى استخدمتها فرنسا سنة ١٩٤٤ ، ولقد أصبحت التركيزات العظيمة فى القوات العسكرية التى اتسمت بها نهاية الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية أشبه بالاستحالة فى هذه الايام . ففى حالة الاعتداء المتعمد على الجبهة الاوربية ، فان قصف المدافع الاوتوماتيكية سيرد على الهجمات الروسية بحيث يمنع تقدمها .

وبالرغم من هذا فاننى أرى أن مثل تلك العمليات غير محتملة

الوقوع ،ذلك لان القادة الروس سيفضلون ـ اذا ماضربوا ضربة حمقاء ـ أن يفقدوا الكل فى سبيل الكل ، وسيوجهون ضربتهم الذرية آملين أن يشلوا كل قدرةللعدوعلىالمقاومة أوقديقومون بعمل محدود جدا حتى لا يظهروا فى شكل المعتدى . وفى هذه الحالةفاندول الغرب ستتحمل مسئولية تحويل عملية محليةالى مذبحة عالمية ، كما سيجعل الامم المتحدة ، وحزب العمـــال والكومنولث يدفعونهم الى الوقوف فى التو واللحظة .

فلو أنهم كانوايعرفون كم من عواطف سيثيرونهامن الغضب بالتدخل الانجليزى الفرسى السافر فى بورسعيد لما كانوا تقدموا خطوة واحدة ولكانوا اتخذوا حذرهم كما لم يفعلوا من قبل

المخاطرة

لقد تركت أزمة برلين هؤلاء الذين تسببوا فيها والذين خاطروا بخلقها فى التفكير العميق . فبعد ان أعلن المستر خروشوف انذاره الاخير فى السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٨ بمدة لا تتجاوز ستة أشهر ، لم يعرف أحد ماذا كان يكنه فى رأسه بالضبط فقد يكون من المحتمل أنه أراد منذ الدقيقة الأولى دفع دول الحلفاء الى التأثير على «واشنجـتون» حتى تدعو الى عقد مؤتمر القمة . ولكنهم أقاموا قانونا فى عدةأسابيع من شأنه أن يسأل عما اذا كان الغرب لم يقرر بعد بعده عن

ـــــد الطـــرق الثـــــلاثة المـؤدية الى برلين بالرغم من مظاهر الضـــعف والاختـــلاف البـــادية عليه • كما أنه ترك لهم الحـــرية فى عمـــا اذا كانوا يريدون تحمـــل مسئولية طلقات النيران الاولى ، وعما اذا اخذوا فى حسبانهـــم ماستثيره هذه المسألة من مشاكل توقظ مشكلة كوريا ثانية ولكنه من الواضح جدا أنه توجد مثل تلك المخاطرة لو أن الغرب وضع جميع قواته الكلاسيكية الكافية للقيام بعمليات حربية موحـــدة تقليدية •

ولكنهم يقولون أن مثل هذا الافتراض يزداد يوما بعد يوم مبدأ عن التحقيق وانه لم يبق على الحرب شىء الآن يتخذ مستر خروشوف خطـوة واحدة بقشاط طاولته ولكن مسألة كيمـــوى التى لم يقدم عهدها بعد قد برهنت على أن سيد الكرملين وحلفاءه فى بكين لم ينكروا بعد تعاليم لينين تلميذ ماركس المخلص الذى يؤمن بأن العنف هو المسيطر الوحيد على جميع الافعال الانسانية وانه من القانونى الالتجاء اليه ما دام لن تتمخض عنه مخاطرة كبيرة وفى أحوال كتلك التى مرت ببرلين كان من الممكن أن يكون موقف الحلفاء أكثر قوة لو انهم استطاعوا الرد على مثل هـــذا التهديد بأسلحة محدودة من النوع الكلاسيكى وبتهديد من نفس النوع ، ذلك لانهم يعتقدون أن حجم التحطيم العظيم الذى ستسببه الأسلحة الحديثة هو الذى يجعلهم يترددون فى استخدامه •

وان تلك الحقيقة التى تقال عن الاســلحة الاوتوماتيكيـــة

وتكتيكها ذي الاشعاع المحطم المحدود وذي الانطلاق المحدود يمكن أن يقال أكثر منها عن الأسلحة النووية . أما تلك النظرية الغربية الرسمية التي تبرزها حالة التسلح التي ستتحدث عنها وعن استعمالها في الرد على أي اعتداء روسي ، فقد شغلت بال السادة في الكرملين لمدة قصيرة حتى يفهموا أن الغرب لن يقبل الخداع لأنه صمم رأيه على الدفاع . وكثيرا ما أصر مجلس حلف الاطلنطي على تأييد هذه النظرية وخصوصا بعد جلسته المنعقدة في ديسمبر سنة ١٩٥٤ وكثيرا ماردد الرئيس ايزنهاور على الأذهان ان الاتحاد السوفيتي يجب أن يتخذ في حسابه أن أي اعتداء مسلح على برلين يجب أن يكون محدودا على استخدام الاسلحة التقليدية وان صح هذا الاصرار أم لم يصح فانه لو اتبع في أي مغامرة حربية فانه سيؤدي الى نتائج مخربة مزدوجة .

١ ــ سيوضع الغرب موضع المذنب أمام الرأي العالمي الذي ستبينه الدعاية السوفيتية كما أنه سيعتبره هو المعتدي المسئول ليس فقط عن العدوان الحقيقي ولكن أيضا اعتباره الملتجيء الأول الى استخدام الاسلحة القاتلة .

٢ ــ أضف لي ذلك أنه سيضعه موضع المعتدي الاول المستخدم للأسلحة الاوتوماتيكية وهذا هو مارأينا ضعفنا أمامه من قبل لان المشكلة التي أمامنا هي: عملية المحو التام لجميع القوات الانتقامية المناوئة في ضربة واحدة لامقام لها من بعدها .

لا يمكن استخدام السيف محل الدرع :

ان النتائج المنطقية التى ستترتب على هذه الاحوال هـو ان السيف أى المقدرة الدفاعية لايمكن أن تقول أنه هو الدرع نفسه ولا يمكن أن يتخذ مكانه الدرع ، ولنا أن نتأكد أن صمت الاتحاد السوفيتى تحت علم هذه القوى الكلاسيكية الكثيرة العدد وماذلك الا لأنه يرتكز على أسلحة نووية يعتمد عليها فى تفوقه العسكرى والتى سيستخدمها لصالحه . ولكنها ليست عبارة عن برهان على القوة فقط مثلما يفعل الجرب بقدر ماهى وسيلة لا تزال الرعب مثلما حدث فى كيموى وبرلين اللذين من الممكن أن تثأر مشكلتهما ثانية لانه من المحتمل أن تخفق زيارات خروشـوف وايزنهاور التى يعقدانها فى مكان ما من العالم لا يهمنا موقعه .

وقد كتب الخبير الروسى سكوبين فى أحد كتبه عن «الحربية» يقول : «ان هؤلاء الذين يعضدون هذا الرأى (وهو ان دخــول الاسلحة الذرية فى الحرب سيخلق سدا حربيا) قد نسوا أن الحرب الحديثة تعتمد على عوامل فكرية وفنية كثيرة • فلو حصلنا على حالة من التوازن من جراء الهجمات الاوتوماتيكية فان تلك الحالة قد تحطمها انواع أخرى من الاسلحة» •

وفى مثل تلك الظروف فانه لن يهم أى نوع من النوايا الطيبة هى التى ستعم فمنذ زمن طويل وهم لايسيرون فى طريق التقليل المطرد للأسلحة أو لوضع رقابة عليها ويؤكد الجنرال نوســتاد «أن القوة المدافعة أصبحت ضرورية جدا ونافعة وخصوصا فى

الخمس سنوات القادمة وان لم تكن كذلك فى الخمس سنوات الماضية ، ولذلك فاننا سندخل فى فترة من الرخاء فى أسلحة الحرب الاوتوماتيكية وآلاتها ، وبذلك سندعم قوة الاقناع بالعدول عن انتاج هذا النوع من الأسلحة وفعل شيء آخر أكثر فائدة .

اذن فيما ستستخدم تلك الأسلحة التى ستستعمل فى الحقيقة فى القضاء التام على المعتدى نفسه والتى ستمنع كنواة وجودها من الالتجاء اليها ، ولكن اذا كان من المحتم السير فى الطرق التقليدية القديمة ، فانها ستؤدى الى اضعاف الجانب المعتدى ، فان الجانب الآخر سينتهى حتما بالانتصار .

وليست تلك فقط هى المشكلات التى تثير التناقض بين الخطوات الخيالية التى تسير عليها الاسلحة الاعتدائية والخطوات المتباطئة التى تسير عليها الاسلحة الدفاعية .

الفصل الثالث

التضامن الأطلنطى ام التضحية بالذات ؟

ان أعداء حلف الاطلنطى يخافون دائما البلدان المشتركةفيه لان هـــذا الحلف سيدفع تلك البلدان الى الدخـــول فى صراع لايعنيهم مباشرة ، واننا اذا ماأمعنا النظر الى احداث المستقبل وفكرنا فى الغزو المحتم الذى قد يقع بعد بضع سنوات والذى سيتبعه عرض للزعماء المحررين أمام أطلال « شانزيليزيه » فاننا سنجد لزاما علينا أن نقول أن هذا شيء لا يبعث السرور بالمرة . واننى أرى أن الهواء الذى يتحدث به بعض الساسة الامريكيين عن الحرب الوقائية لايختلف فى شـــاكله عن مآرب الجنرال ماك آرثر فى الصين ، لأن كليهما يسبب لنا خوفا له نفس القوة والتأثير .

ولكن بالرغم من هذا فقد برهن حلف الاطلنطى فى العشر سنوات اللاحقة لتكوينه أنه لم يكن مزيدا من حدة التوتر الدولى بل كان عبارة عن الفرملة التى أوقفت هذا التوتر ، ويرجع الفضل لتضامن الحلفاء واتحادهم وكذلك للتدخل القوى من جانب مستر آتلى ، فى تضحية الرئيس ترومان بحاكمه المستبد فى كوريا سنة

١٩٥١ ولقد وجدت الولايات المتحدة راحة عظيمة فى رفض الانجليز سنة ١٩٥٤ على الموافقة على تدخلها فى الصراع الدائر بالهند الصينية مما أدى الى هدنة لابد منها كانت تعتبر نصرا عظيما ضد المعسكر الشيوعى ، وبعد مرور عامين على ذلك كان الحلف الاطلنطى مازال يتمتع بتأثيره وعلى وجه الاخص على فرنسا وانجلترا اللتين يقال عنهما أنهما كفا عن مواصلة تدخلهما فى السويس تحت تأثير الضغط الامريكى وهذا الامر يختلف تماما عن تلك المنظمة التى أدخلت المجر تحت ستار الحديد والنار .

مشكلة برلين

ولكن هل فكر الحلف فى الاحداث الخارجية والمواقع الجغرافية التى يجد الحلف أن دفاعه عنهما شيء لابد منه ، وكيف سيتمتع بهذا الموقف الدفاعى اذا كان هو نفسه تحت التهديد المباشر .

ومهما يكن الحال فانه مادام هذا التهديد لم يقع بعد فانى أرى ان هذا السؤال لافائدة له الآن ، ولكن مشكلة برلين تبدو وكأنها تتطلب ميزانا متعادلا دائما من الناحية الاوربية منذ اللحظة التى ولد فيها حلف الاطلنطى . فاللحظة التى وجه فيها المستر خروشوف انذاره النهائى لم يثر فى قلب الدول الأعضاء البالغ عددها خمسة عشر دولة أى ذعر أو خوف ؛ وبدلا من أن يذعنوا أو يستسلموا لهذا التهديد أعربوا عن رأيهم الصريح وموافقتهم

على موقف الولايات المتحدة كما وقفت انجلترا وفرنسا جنبا الى جنب للمطالبة بحقوقهما فى برلين ، وبدلا من أن يشعل هذا التهديد نار الحقد والانقسام بين الحلفاء ــ وهذا هو ماكان يرجوه سيد الكرملين ــ فقد أدى فى الحقيقة الى تضيق هذا الخلاف بينهم ، فأصبحت الخلافات الشخصية فى المرتبة الثانية والتف شملهم لمقابلة هذه المصيبة واثبات مقدرتهم فى مثل تلك الظروف العصيبة على اتخاذ قرار جماعى .

وهناك أسباب كثيرة دعتهم الى اتخاذ هذا القرار ، وأولها هو اختيار موسكو لنقطة الهجوم فلقد كانت برلين سنة ١٩٤٩ رمزا يفخر به ، وكان انتصار الاطلنطى فى ذلك الوقت قريبا جدا وكان يتطلع اليه كما كانت تتطلع كل الدول فى ذلك الوقت ، وان أى ضرورة أخرى فى أى بقعة من الارض لن تصل بهم الى مثل هذا الاتحاد .

ولم يقلق الرأى العام فى أى لحظة من تلك اللحظات ، ولم تؤثر لغة المستر خروشوف المرعبة بالمرة على أعصابهم ، وقد يرجع ذلك لاستخدامه نفس اللهجة الباردة والحارة التى كان يستخدمها هتلر فى تهديداته أضف الى ذلك أنه أعطى لنفسه وأعطاهم مهلة تقترب من الستة أشهر لتفكير كل من الجانبين فى تحاشى ماهو أكثر سواء ، ولا يعرف أى من الجانبين ماذا سيتمخض عن الحرب وعن هذا الرهان البسيط الا هؤلاء الذين يوصلون الاوراق الى العاصمة الالمانية القديمة .

من الحياد الاوربى انقديم الى الحياد الامريكى الحديث

ان رد الفعل الذى احدثه خروشوف لايكفى أبدا كضمان بماهو سيحدث فى المستقبل بعد اذاعةهذا التهديد ، فتقدم الأسلحة الحديثة وقدرتها على التدمير وعدم التأكد من رد فعلها على الدولة نفسها التى ستستخدمها ومدى قدرة الاسلحة المناوئة لها كل هذا يعتبر دافعا كبيرا لان يجعل كل فرد يتردد مئات المرات قبـــــل استخدام القنبلة الحديثة ، وان الاسباب التى دفعت بالاقطار الاوربية بالامس الى الوقوف موقف المحايد هى : اتساع الهوة بين جسامة الأخطار التى قدتحدث وبين مميزات الحماية المتفق عليها على مر الزمن والتى قد تتغير وتسبب هى الاخرى حيادا أمريكيا حديثا .

وان الدخول فى حرب تستخدم فيها الاسلحة العابرة للقارات سيشجعهم أكثر وأكثر اذا ماكانوا معتقدين تمام الاعتقـــــاد فى حصانتهم التامة ، ولكنهم سيفكرون أكثر وأكثر عند دخولهم مثل تلك الحروب اذا مااعتقدوا تمام الاعتقاد بما ستجره الحرب عليهم من ويلات فى اللحظات الأولى من اندلاعها والتى قدتأتى على آلاف المساكن وملايين الأرواح . أما اذا كانوا ينظرون الى الأشياء نظرةسطحية فانهم يجب أن يعلموا أنه سيأتى يوم بلاشك وسيكون الدافع الأوحد لقيام تلك الحرب هو وصول الشعوب نفسهـــا الى درجة الكمال بفضل نظمها السياسية وان هذا لن يطـول ، بـل سيكون عن قريب .

وان عدم الكفاية التى بيناها فى قوة الدفاع الاطلنطى تجعل هذه الخطورة أكثر جسامة بشكل ملحوظ يظهر فى حالة الاعتداء أو التهديد بالاعتداء على حلفائها (وخصوصا اذا كانت تلك الدولة المعتدى عليها غير مستعدة تماما للدفاع) فانه لن يترك أمام الولايات المتحدة سوى طريق واحد وهو اما الاختيار بين السلبية واما الدخول فى حرب عارمة تؤدى الى قتل جزء عظيم من شعبها .

ولقد رأوا حزب المعارضة الديمقراطى قد أدى الى تأثير خطير فى ادارة ايزنهاور اذ أنه أنقص القوات التقليدية بشكل ملحوظ وفى نفس الوقت زاد من الاسلحة الاتوماتيكية لان هذه الأسلحة تعطيهم القدرة على التحرك بسهولة فى ساعة الخطر ولكنها فى نفس الوقت ترغمهم فى كل مرة على اللعب بالنار على حافة الهاوية ولقد بين تداعى وانهيار النظام العراقى فى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ كم ضعف تأثير تدخل الحلفاء ذلك لتحاشيهم بشتى الوسائل استخدام مثل هذه الاسلحة .

فمنذ وقت طويل ولم يحاول حلف الاطلنطى فى الدخول فى مسألة نزع السلاح التى أثارها المستر خروشوف ، ذلك لانه رأى لزاما عليه أن يدعم ويقوى الأسلحة الدفاعية التى رأى أن حاجتهم اليها تتزايد كل يوم ، ولكن تلك التقوية وذلك التدعيم يقفان عند حد معين وقد ظهر ذلك فى الحرب الجزائرية وكذلك الى الرفض التام فى جعل ألمانيا القوة الرئيسية المسلحة فى القارة الأوربية ، وذلك اعتمادا على جنود الغرب المدربين بطريقة أحسن

مئات المرات عن جنود الشرق ، كما انها تقف على وجه الأخص عند ذلك الامر الاساسي الا وهو الحصول على قيمة عظيمة للنظم التي يقيمها الحلف وخصوصا سياسة أمريكا التي تتجه الى الحياة الكاملة والتي جعلت منها علما لها .

ثلاثة حلول : غاندي — كينان — آتلي

ماذا تفعل اذن ؟ ان الحل موجود في فلسفة غاندي وهووضع كل آمالنا في عدم استخدام القوة ، وتستطيع كذلك قبل أن ترى مدى اتساع هذه الهوة التي تفصل بين طرق العدو التي وصل اليها وتلك التي وصل اليها معارضون ، أن نرى مبلغ التقدم في الاستعدادات الحربية التي يقوم بها الحلفاء حتى يجعل الحياة شاقة وصعبة أمام الغزاة ولقد أطرى جورج كينان على هذه الطريقة بقوله : انه من المحتمل أن تكون هذه الطريقة أقل جنونا عن تلك التي يتبعها الآخرون .

ومن ناحية أخرى فاننا نجد الحزب الذى اختار جانب انجلترا وهو الذاتية الاستراتيجية (الفردية الاستراتيجية)، ومن المؤكد أن آتلي لن يدخل بلده في حرب ثانية لانه لايعتقد في أن تكون الحرب هي نهاية للصراع كما هو الحال مع البريطاني وكل هذه هو أن يضطر الولايات المتحدة الى اعادة فتح الباب الذى قفله قانون ماكماهون فى وجه الحلفاء فى وقت الحرب ليمنعهم من

الوصول الى الاسرار الذرية وبالرغم من هذا فقد وجدت بريطانيا في امتلاكها للأسلحة الذرية ضمانا لبقائها فى حالة أى تهـديد سوفيتى ، وبذلك يمكنها أن ترد الصاع صاعين فى حالة أى اعتداء كما انها ستكف عن أن تكون حليفا مترددا •

ولكى تصبح انجلترا فى هذا المركز دفعت ملايين الجنيهات الاسترلينية وانقصت من مساعدتها فى المعدات الأرضيـة للحلف الاطلنطى الى الحد الادنى وتخلت عن تأثيرها التقليدى على القطاعات المتعددة من العالم ، ولكنها حصلت على نتائج باهرة بعد ذلك. فلقد توصلت الى صنع بعض القنابل الذرية والهيدروجينية ووضعتها على استعداد تام لاطلاقها الى الأهداف السوفيتية ، ذلك لأنها ترضى لنفسها فقط أن يكون تحت يدها مائتا صاروخ أسرع من الصوت من طراز «ف» بل انها توصلت الى عقد معاهدة مع الولايات المتحدة فى ربيع سنة ١٩٥٨ يقضى باقامة أربع قواعد لاطلاق الصواريخ الذرية ذات اشعاع يبلغ فى مقداره قوة «ثور» على أن يكون منها ثلاثة تحت أمرة العالم البريطانى • وقد نص الاتفاق على أن تبقى الرءوس الذرية لهذه الصواريخ ملكا للولايات المتحـدة ، أما استخدامها فيخضع لاتفاق الحكومتين •

ولكن انجلترا تعمل جهدها لانتاج هذا النوع من الاسلحة ولذلك عدلوا قانون مكماهون بما يسمح لها باســتخدام خبرة الولايات المتحدة فى هذا الميدان واخيرا وضـع «مكتب شــئون

الحرب» الدراسات الخاصة بآلة تصنيع مادة حارقة تضرب على مدى ٣٠٠٠ كم وستظهر هذه الآلة في عالم الوجود سنة ١٩٦٣ ذلك لو ابتدأوا في انتاجها بالطريقة التي يتوقعونها في سنة ١٩٦٠ ولكن يمكن هذا السلاح أن يبلغ ٦٠٠ مليار وذلك فان الحكومة مازالت مترددة في اصدار الاوامر لتصنيعه ويعتقد سلاح البحرية انه سيكون في اصدار الاوامر لتصنيعه ويعتقد سلاح البحرية انه سيكون استخدام هذا السلاح أكثر اقتصادا لو قذف من على غواصة ذرية

توسيع النادي الذري

ويقرر القائمون بهذا العمل الضخم بأنهم سيسيرون فيه في حالة ماذا كان حدوث ذلك في استطاعتهم ، ومما لاشك فيه فان بعض الناس يتساءلون اذا كان من العقل في شيء القيام بهذا المشروع المتوقع انتكاسه ، لان احدا لم يواجه هذه المشكلة باهتمام وعما اذا كان في الامكان أن يغفل النتائج التي يعمل على الحصول عليها ، ومن أجل الانتقام فاننا نجد أننا في حاجة الى النظر الى قوة جماعية أخرى تمثل قبضة قوية أخرى حتى تتمكن من الحكم على مجهودات الدول الاخرى التي لاتعتبر أعضاء في هذا النادي ولكنها تشترك في هذا الميدان الذري ويعتقد جميع القادة في الرأي القائل بأنه لو خاطرت الولايات المتحدة ولم تحرك ساكنا اذا ماهدد الخطر أي دولة من دول أوروبا فان مصالح بريطانيا العظمى والقارة الاوربية أجمع ستصبح منذ ذلك الوقت في عراك مستمر ذلك لان الهدوء الذي يهدد بريطانيا مثلا فانه لن يكون تهديدا ضد أمريكا

في الوقت نفسه • واذا ماأخذنا في اعتبارنا الثمن الذى دفعوه حتى يصبحوا قوة ذرية ، والعشر سنوات التى قضوهامقدمالكى يصبحوا قوة ذرية ، والمقدرة المحدودة لشركائهم الأوروبيين ، فاننا نحكم عليهم بأنهم لم يستفيدوا شيئا لانهم تكلفوا مبالغ باهظة ولاتدل بالمرةعلى العقل لاتباعهم خطوات الدول الأخرى ، أضف الى ذلك أنناقد أخذنا وقتا طويلا فى اثناء هذه الحكومات عن عزمها وقد رأينا المسيو ميشيل ديبريه وهو يتحدث عن هذه النقطة اثناء زيارته للندن فى ابريل سنة ١٩٥٧ بلغة أكثر صراحة عن تلك التى تحدث بها المسيو فليكس جايار وفى الوقت الذى كان فيه المستر ماكميلان فى زيارة باريس فى نهاية سنة ١٩٤٧ ومن المفهوم أن انجلترا قد أعطتنا ضمانا لمساعدتنا فى الناحية الذرية طبقا لمعاهدة باريس المنعقدة سنة ١٩٥٤ والتى تقيد بريطانيا أكثر من الولايات المتحدة •

ولكننى أظن أن هذا الكلام ليس له أى فائدة ذلك لان البريطانيين رفضوا اقرار الجنرال ديجول على مشروع منح دولتهم بعضا من الاسلحة الذرية •

الاسباب التى يعتمد عليها الجنرال ديجول

لقد قيل أن الأسباب التى دعت رئيس الجمهورية الى اعطاء فرنسا حق انتاج الاسلحة الذرية كانت كثيرة ومعقدة ، اذن فليس السبب فقط هو اقتناعه بأن هذه الفرصة الوحيدة حتى يسمع صوته

فى مؤتمر الاقطاب ، ولكنه رأى كذلك طريقة مثــلى فى تحرير جيشه من عقد النقص والضعف والجمود التى تولدت كنتيجـــة حتمية لتصفية الامبراطورية ، واعادة الثقة الى دولته حتى تقف على رجلها فى هذا العصر • ولذلك فالقبلة الذرية تعتبر بالنسبة لهـــا هى العامل الوحيد على بقائها ، وبدونها فان الحلقات التى تربط بينها تعتبر صعيفة وهشة ، لانها ترى أن وحدتها السياسية الجغرافيـــة لايمكنها البقاء الا اذا وجد السلاح الذى تدافع به عنها •

ومهما تكن قيمة هذه الدوافع التى تدور حول المقدرة مثلما تدور حول الدفاع والمعارضة فاننا نرى أن السبب الرئيسي هو ضمان الأمن والسلام القومى ، فهل من الممكن أن يعتمد الانسان على قوة الدولية والقومية لن تبدو فى أى زمن آخر أكثر تضحية من زمننا هذا الذى ضحى فيه أحسن أصدقائنا من أجل أوطانهم ولكن بالرغم من كل هذا الاخلاص الذى نلاقيه من جانب القادة فى لندن الذين يؤكدون أن مصير الجزيرة مربوط بمصير القارة الاوربية فى حالة أى اعتداء سوفيتى الا أنه ليس أمامهم الا حلا وهو الاختيار بين الانتحار وبين تأجيل «تحركات» المملـــكة المتحـــدة ، وفى استطاعتهم أن يتصوروا ذلك وخصوصا اذا ما مارس الخصم ضغطه فى الظروف المماثلة التى ستحتفظ فيها الضحية بامكانية توقيع معاهدة

شريفة والتى لن يمحى فيها كلية وجه ضماناتها ، وفى هذه الحالة سيصبح اسم ميونيخ رمزا يمكن اعادة استخدامه ثانية •

وهذه هى الاحداث التى يتعثرون فيها ، أما تلك الاحداث التى تهم فرنسا فهى بسيطة جدا بل ومشجعة الى حد ما ، لانها تركت انجلترا بشوط بعيد وبما يقرب عشر سنوات من التقدم لانها بعد فترة من الوقت ستستطيع أن تفجر قنبلة ذرية تتعدى قوتها تلك القنبلة التى ألقيت على هيروشيما وسيكون ذلك ان شاء الله فى الاشهر الاولى من سنة ١٩٦٠ ، كما سيسمح لنا البلاتينيوم الذى سننتجه بكميات وفيرة بصنع قنابل أخرى من نفس النوع ويتطلب انتاج الاسلحة النووية على حد ظنى مايقرب من ثلاث أو أربع سنوات .

والمشكلة الرئيسية هى مشكلة آلة القذف ذلك لان فرنسا ليس عندها القدرة الحربية على قذف سلاح ذرى بقاذفة موجهة ، وقال الرئيس ديجول فى تقرير له أن القنبلة الذرية الفرنسية مازالت ثقيلة وتعوقها العوائق ولذلك وجب انقاص وزنها الى حد كبير حتى يمكن استخدامها .

ولقد وضع الفنيون لانفسهم ميعادا حتى يمكن بعده استخدام القنبلة الفرنسية ذلك لان الميراج ٤ الذرية التى تعتبر هيكلا معتدلا للطائرة التى انتجناها سنة ١٩٥٣ لن يمكن انتاجها قبل عام ١٩٦٣. ولكن اذا لم يفعلوا ذلك فان هذا سيكلفهم ٢٥٠ مليار فرنك كحل مؤقت فقط . ولقد رأينا فى الحقيقة أن الطائرات التى يقودها طيارون سيبطل استخدامها قريبا كان ذلك أو بعد مضى فترة من الوقت .

والآن يجرى الفنيون دراستهم على صاروخ متوسط الحجم حمولة ٣٠٠٠ كجم وهو من نوع الصواريخ الموجهة ، كما تكونت شركة ضمت المصانع الاساسيه للملاحة الجوية وكلفت بصنع هذا الصاروخ .

ولكن الحكومة الفرنسية مازالت مترددة فى قذف صاروخ فرنسى صميم لثلاثة أسباب وهى :

١ ـ ثمن العملية المرتفع ورقمه الضخم جدا ، ولكن يكفينا أن نتذكر ان تحقيق انتاج الصاروخ الانجليزى قد يكلف بريطانيا اذا ماقورت صنعه مايقرب من ٦٠٠ مليار .

٢ ـ تأخر المعرفة الفنية فى فرنسا ،فما زالت أمامنا مشكلة صنع الكاربوراتير، لاننا مضطرون الى صنع رءوس ذرية صغيرة جدا حتى يمكن تكييفها مع الآلات بحيث أن تكون أصغر من تلك التى صنعتها انجلترا بالرغم من مساعدة الأمريكيين لهم .

٣ ـ كما لايخضع وجه الاختلاف فى الشحنات النووية لقانون ماكماهون، وعلى ذلك فانه من الممكن انتاج صاروخ أمريكى من نفس نوع الصاروخ الانجليزى كما هو الحال فى انتاج الصاروخ المضاد الجوى «هوك» ولكن واشنجتون على مايبدو لاتقبل انتاج هذا الصاروخ الا فى اطار اوروبى .

ومن ثم ظهر أن المشروع مشروع محطم ومعرض للربح

أو الخسارة وان المجازفة التي كنا نتوقع وجودها أخذ وقوعهـا يبعد يوما بعد يوم . ان امتلاك الاسلحة الحديثة سيكفل للأمـة الفرنسية التصميم والعزم على الدفاع عن نفسهـا ، بكل ثمن ، وان صغر مساحة الأراضي الوطنيـة التي يمكن غزوها في بضع دقائق تخلق لنا صعوبة سريعة وتدفعنا نحو الذلة والاستكانة .

وأخيرا يجب أن نأخذ في حسباننا الجو الحديث الذي خلقه الاتفاق المنعقد بين الاقطاب الثلاثة الذي يقضي بايقاف التجـارب الذرية • لان تفجير فرنسا لقنبلتها في الصحراء قد جند الرأي العام الافريقي ضدها وفعلا قامت دعاية ضخمة ضدها لان هذه الشعوب وجدت نفسها مهددة بخطر الاشعاعات الذرية •

وسواء أخذوا في حسبانهم أم لم يأخذوا هذه الاعتراضات القوية ، فان فرنسا بعيدة كل البعد في أن تمتلك بمفردهـا الطرق التي تعطيها القدرة على استعمال سلاح ذري بمفردها ، وهذا يضع بلدنا في موقف أقل اعتمادا عن ذلك الذي تتمتع به الولايات المتحدة ولكنه من المستحيل علينا أن نستغني عن مساعدتهم •

ولم يبق الكونجرس أي دلالة على مايجب الاستعداد به في حالة تحريم الاتصالات الخاصة بدراسة الاسرار النووية ، وحاول الرئيس ايزنهاور والمستر دالاس عبثا أن يبرهنا على أنه من الحماقة أن يرفضا اعطاء الحلفاء معلومات ذات قيمة بالغة الأهمية وموضوعة تحت أيدي الاعداء ، وحاولت الصناعة الامريكية الخاصة دون طائل

أن تبين الصعوبةالتى تخلقها سياسةالسرية والتكتموالتىأصبحت تعوق التقدم وعبثا حاول الخبراء الامريكيون الذين اجتمعـــوا فى مؤتمر جنيف سنة ١٩٥٧ أن يبرهنوا على أن الروس يقومـــون باتصالات رسمية عن مسائل تعتبر بالنسبة للولايات المتحدة قد ذهبت فى زوايا النسيان ، وبمعنى آخر أنها أصبحت معروفة بالنسبة لعدد كبير ، ولقد تحفظ رجال الكونجرس فى كلا الكتلتين على جميـــع المعلومات التى يعتبرونها نواة القوة فى أوطانهم •

ولم تستفد بريطانيا بأى مزايا ذلك لانها متقدمة جدا فىالناحية الفنية ، أما فرنسا فهى فى موقف سيء جدا ، وذلك لتأخر انتاجها كما انها لاتحصل على كل ماتطلبه لانه منذ حرب السويس أصبح البرلمان الامريكى فى شك مما تستطيع فعله بقنابله ووعد بتقديم خدماته لحفظ الأمن لها ضد الشيوعيين ، وان كل ما اســتطاعت حكوماتنا الحصول عليه لم يكن سوى معلومات عن الغواصات الذرية التى بدونها لكنا فى حالة سيئة حقا .

وبدا لنا فى وقت من الاوقات أن حـــكومة ميشيل ديبريه كانت تزاول تأثيرها على واشنجتون للحصول على أسرارها الشهيرة وكان أول تأثيرها فى صورة تهديد ، ولكنها سريعـا ماألقت تلك السياسة جانبا ذلك لانها فهمت انها تخلق بذلك مشـــكلة لايمكن التغلب عليهاوفى حالة حدوثها كانتادارتهاستكون غير قادرةعلى القيام بعمل شيء ، وحتى الجنرال ديجول نفسه لم يحاول اثارة تلك

المسألة حينما زاره الرئيس ايزنهاور فى باريس فى شهر سبتمبر سنة ١٩٥٩ .

ولقد كان الاتفاق الانجلو سوفيتي الأمريكى الخاص بوقف التجارب الذرية من الاسباب التى أدت الى جعل المشكلة أكثر تعقيدا وان مشروع المعاهدة المنعقدة فى جنيف يضم فى الحقيقة مادة تلزم الموقعين عليها بالتوقف عن «اثارة أو تشجيع تحقيق أى انفجار تجريبى للاسلحة النووية أو الاشتراك فيه بأى طريقة كانت»، ولقد أدخلت الدول ذلك بناء على طلب المبعوث السوفيتي ، وطلب منهم العمل على توقف البلدان التى تتمتع بالقوى النووية عن مساعدة البلدان الاخرى وأول تلك البلدان هى ألمانيا ويليها الصين .

حقا ان هذا يدعم الاحتمال النظرى الذى يقول أن الولايات المتحدة قد أعطت لفرنسا تعليمات كاملة عن عملية التصنيع وقيامها بعد ذلك ببيع الاسلحة بنفسها ومن ثم فاننا سنستطيع بناء السلاح الضرورى وان كنا غير متأكدين عما اذا كنا سنتوازن فى القوة مع «أبسط العقبات» وتكون بلدنا على استعداد تبعا لمبدأ الجنرال جالوا على احداث تدمير يتعدى مدى اتساعها الفائدة التى ستعود على المعتدى عند ابتلاعه لقارة أوروبا بالقوة .

ومنذ زمن طويل بمجرد أن امتلأ الكونجرس بروح كتلك التى تسيطر عليه فى الوقت الحاضر كان عنده وجهة نظر بعيدة

الحدوث الى حد بعيد ، اذ كان يرى أن التنمية التى ستأتى بهـــا التجربة هى :

(ا) ان بلدنا لايمكن أن تعتمد اعتمادا كليا على أى قطر من الدول العظمى الغربية المنتجة للاسلحة الذرية .

(ب) ولن تستطيع بمفردها أن تؤدى الى فشل أى اعتداء قبل مرور مدة طويلة كما انها لن تستطيع أن تخلق موقفا معينـا يجبر حلفاءها على التدخل .

هل سينتجون قنبلة ذرية ؟

ماهى الدلالات التى يمكن أن نأخذها من معاينتنا لهذا الموقف المزدوج ذلك ان لم يكن فى استطاعة فرنسا حل المشكلة بمفردهـا وانها تتطلب لحلها ان تفحص فى مجال أكبر من ذلك ؟ وهل معنى ذلك ان تفحص فى اطار اوربى ؟ وهذه هى الخلاصة التى وصلت اليها معظم الدول التى تتحامل على هذه المشكلة الرئيسية دون أدنى عطف عليها . فبغض النظر عن جميع الاعتبارات المالية والفنية فانهم يعرفون فى الحقيقة لو ان فرنسا دخلت بدورها فى النـادى الذرى وكان بالرغم من تأخرها وبالرغم مما سـتدفعه من ثمن ، فانهــا ستقود الدول الاوربية الاخرى خلفها قريبا كان ذلك أو بعيدا وعلى رأسها جمهورية ألمانيا الفيدرالية التى ستشترك فى هذا المجال .

واننااذافسرناالموقف يعقل رزين فاننا سنرى آن الخطر الذى سينشأ من اعادة وضع الاسلحة الذرية لايبلغ خطورته نفس الخطر الذى تسببه لنا الذكرى بمسئولية ألمانيا عن الحرب الماضية . كان المستر خروشوف صائبا حينما انذر القادة فى بون من أى التجاء من جانبهم نحو استخدام الأسلحة الذرية فانه سيؤدى فى الساعة التالية مباشرة الى الفناء التام لبلدهم . فمنذ اللحظة التى تصبح فيها الاسلحة النووية غير قادرة على القضاء المبرم فى ضربة واحدة جميع الاسلحة المضادة فانه سيكون من الواضح انها لن تصبح أسلحة هجومية بل دفاعية مهما بلغ تأثيرها وهذا هو السبب الاساسى الذى يحدد تردد الولايات المتحدة أولا بأول فى تدخلها فى حالة الخطر الى جانب الدول الديمقراطية الاوروبيــــة ، ذلك لان تلك الدول ستطالب بحقها فى انتاج أو شراء أسلحة تمكنهـــا من الدفاع عن نفسها .

وعلى هذا فاننا لو رأينا بون تحت ادارة لايهمنا من أمرها شيء أصبحت تستخدم أسلحة من هذا النوع حتى تقلل من تأثير الحرب النووية وتضعفها للغاية حتى تصبح لاشيء فان ملكيتها لهذه الاسلحة ستطبع فى سياستها طابعا أكثر قومية وأكثر ذاتية وستصبح فى جميع الاحوال باعثة للخوف فى قلوب جيرانها التى تبعثه الكرملين الآن ، وان كانت لن ترتكب خطأ فى استخدامها .

ان القنبلة الاوربية المصنوعة فى أراض بعيدة كل البعد عن قواعد العدو الهجومية ومن ثم فانها لن تكون على أرض ألمانية ..

وموضوعة تحت اشراف جميع الدول التى يهمها الأمر ، ستكون بدون شك عملا له مميزاته • كما ان نفقتها ستقسم على دول متعددة لو قامت احداها بمفردها بها كان ذلك سببا فى تحطيم ماليتها كلية وسيؤدى هذا العمل الى القضاء على مطالبة ألمانيا باسترداد حقوقها بالمساواة •• كما أنه سيضمن السلم العالمى من هذه الطريقة التى مازال يؤرق بها شبح هتلر العالم ، وسيحصن القارة أيضا من الاخطار التى قد تنشأ من تحول الولايات المتحدة نحو الانعزالية والأنانية الاستراتيجية . وسيخلق ذلك عند الشعوب الاوروبية الاعتقاد بأن فى مقدرتهم مقاومة أى تهديد سوفيتى ، كما أن لهم الكلمة الاخيرة فى استخدام القنبلة •

الستة أخطاء التى ارتكبها السبعة

وكل تلك المزايا التى يمكن مناقشتها بسهولة تصطدم بعدة عقبات : أولا ثمن العودة ، وثانيا ايقاف ألمانيا من الدخول فى هذا المضمار الذرى ، وثالثا التأخر الذى مازال يعترى الدول الاوروبية والحل الثانى بدون شك ، هو ذلك الحل الذى فكر فيه سلوين لويد وهو : انتاج القنبلة الذرية الاوروبية داخل نطاق السبع دول الاوربية التى خلقت اتفاق باريس ، لان تردد أغلبية أعضاء البرلمان البريطانى فى اتخاذ قرار ، والتنظيمات الانجلواميريكية الخاصة بالاتصالات السرية بالمعلومات الذرية والتى تفترض على لندن التزاما متزمتا للغاية وصل بها فى النهاية الى عقد اتفاق بوقف التجارب الذرية والعمل على اعاقتها .

ولكن ديجول خلق حياة جديدة بأن عقدا اتفاقا جديدا بين باريس ولندن وبون وروما يقضى بصناعة القنابل والاسلحة الكلاسيكية ، أما القذائف الهوائية المسماة «هوك» فانها ستصنع فى المستقبل لتحل محل جزء من طيران الصيد القديم . ومن ثم فاننا نجد فى الحقيقة أن رأس مال «الشركة الاوربية للقيادة الموجهة» قد كونته خمس شركات مشتركة وهى «تومسون هوستون» الفرنسية وتليفونكن الالمانية، وفيليبس الاراضى الواطئة ، وفينميكانيكا الايطالية وورش شارلروا البلجيكية لصناعة الآلات الالكترونية .

ولقد بعثت المفاوضات السوفيتو ـ أمريكية التى تمت فى خريف سنة ١٩٥٩ بالأمل فى قلب هؤلاء الذين يعتقدون فى امكان وجود نزع سلاح تحت الرقابة ، ولكن لو أخفقت تلك المفاوضات فان أمريكا ستؤمن بالواقع وبالموقف الذى سيلزمها قريبا كان أو بعيدا بالتفكير جديا فى امكانية اعطاء الدول الاوربية سلاحا للدفاع عن نفسها وسيكون موردها فى ذلك امكانياتها الصناعية ، ورائدها عقلها الذى سيفتح أمامها الطريق ، لانه لن يبقى أمامها وقت طويل حتى تنزع من هذا الموقف المذل لها وهذا الخطر الذى وجدت نفسها تواجهه وهذا لن يكون الا بالاعتماد أساسا على الدفاع عن نفسها بمحض ارادتها وذلك بأن تدفع بسخاء بعض الدولارات لمساعدتها على الخروج من محنتها ، ولكن من ذا الذى يتردد فى اتخاذ القرارات التى يعتمد عليها مصير .

الفصل الرابع

حلف عالمى

وضعت الكتلة الشرقية التى تمتد من برلين حتى فلاديفوستوك زمامها .. جميع الامور التى تتعلق باتصالاتها بالعالم الخارجى فى يد سلطة واحدة ، اما الدول صاحبة السيادة الداخلة فى حلف شمال الاطلنطى فهى تعتمد كلية على مبدأ الموافقة بالاجماع ، ولذلك فانه فى مقـدور كل عضو من أعضائها ايقاف أى عمل أو أى قرار اتخذه جميع الاعضاء الآخرين . فقد استطاعت فرنسا ايقاف تسليح المانيا مدة خمس سنوات كمـــا وقفت النرويج والدانمرك امام امكانية انضمام اسبانيا كما استطاعت اليونان فى سنة ١٩٥٨ ايقاف الحل الذى افترضه المستر «سباك» بخصوص مشكلة قبرص والذى وافق عليه المجلس الدائم بالاجماع فيما عدا صوتها فقط ، وذلك بسبب دفوع قضائية وان عدم وجود القوة بين الدول الغربية فى الوصول الى حل نهائى توضح لنا مدى الضعف من وجهة نظر مدى التأثير والفاعلية . وهذه تضيف مشكلة لاتقل أهمية عن المشاكل الاخرى . وبما ان التهديد الشيوعى يهدد الانسانية جمعاء ، فان خط دفاع حلف الاطلنطى لايغطى الا جزءا من الجسم العظيم الذى

يجب عليه حمايته وهذا بالضبط ما حدث بالنسبة لخط « ماجينو »
لان حلف الاطلنطى ليس مكلفا الا – بالدفاع عن امريكا الشمالية
والاراضى الاوروبية لاعضائه المشتركين فيه وكذلك عن الجزائر
ومع ذلك فمجرد أن وقع ماوتسى على نظامه الجديد فقداستطاع
أن يقيمه بسرعة فائقة فى الصين ، أما بالنظر الى بعض الاحداث
الاخرى فاننا نجد أن حصار برلين يصور لنا بعض ماستأتى به
الاحداث المختلفة .

نتائج شىء نسيناه

هناك نتائج اشياء تبدو وكأن اوروبا قد نجحت فى تغطينها .
ولكن يبدو ان آباء الحلف الاطلنطى يهملون دائما التهديد الموجه
لهم فى مثل وضوح الشمس بالقرارات التى اتخذها لينين سنة
١٩٢١ وهى تلك القرارات التى تتفق واعمال ستالين والتى تشكل
خطرا موجها ضد الجيش الاوروبى ، وهى القرارات التى أدت –
الى قيام صراع بين الطبقة العاملة فى أوروبا والثوار الوطنين فى
آسيا وافريقيا .

ففى سنة ١٩٤٩ استطاعت فرنسا ذات الامبراطورية الواسعة
ان تحيا بأعجوبة بعد الحرب العالمية وهى تمسك بالهند الصينية .
وبعد ان تركت بريطانيا الهند ، بقيت هذه الاخيرة عضوا فى
الكومنولث ولذلك بدت بريطانيا وكأنها قد نجحت الى حد كبير فى
الاحتفاظ بقبضتها على الشرق الادنى فى نفس الوقت وخلط القادة

الستالينين فى الاتحاد السوفيتى بين الامور وسبوا ابطال المستعمرات والزعماء الوطنيين المحليين وادعوا بأنهم لايرون أمامهم الا خدام الاستعمار المستترين واذا ماقرأنا دائرة المعارف السوفيتية لوجدنا أنهـا قد كتبت صفحات من التاريخ الانسانى عن غاندى ونهرو وناصر .

وبعد ذلك بعشر سنوات رأينا ان ميزانية الحلف اصبحت فى حالة يرثى لها حقا ، ففى قارة آسيا .. القـارة التى يعيش فيها مئات الملايين من الناس لايملك فيها الغرب الا مناطق بسيطة تعـد على الاصابع . وكذلك انهار مركز هذه الدول ـــ فى معظم بلدان الشرق الاوسط . وكان مؤتمر باندونج عبارة عن تراض وقتى بين دول الحياد والشيوعيين • وخطت مبادىء ماركس خطوة العملاق فى اغواء الزنوج الافريقيين وحينما اجتمع ماو وخروشـوف فى اغسطس سنة ١٩٥٨ فى مدينة بكين قرر أن أمريكا اللاتينية هى القطاع الرئيسى التى يجب ان تتوجه اليه مجهوداتهم فى المستقبل •

ولايمكن لحلف الاطلنطى ان يبقى مكتوف الايدى تجاه هذا التزايد فى التهديد على حدودها الذى قد يبتلعها بمرور الوقت . ومنذ عام ١٩٥٢ تعود النواب على اللف حول الأفق الكامل للموقف الدولى ففى ديسمبر من نفس السنة اتخذ مجلس الوزراء اقرارا بخصوص الهند الصينية اكدوا فيه ان الحقل الذى تعمل فيه الاتحاد الفرنسى يحتاج الى دعامة وسند من جانب الحكومات الاطلنطية • ومن المفهوم ان المجلس الدائم الذى اتخذ بدلا من النـواب قرر

الوزراء المشتركون فيه فى جلستيهم السنويتين بعد استعراضهم لمناطق التهديد السوفيتى من وجهات نظر مختلفة ، قرروا بأن مناطق الدفاع فى العالم لا يغطيها الحلف ، وهذا هو ما حدث حينما اثار وزير خارجية تركيا الموقف فى الشرق الادنى والاحداث الجارية فى آسيا .

فمشكلة السويس التى اوقفها اعضاء الحلف الاطلنطى علانية اسرعت مجرى الحوادث واوضحت البراهين على حماقة الحادث بشكل مشتت . وكل منهم حاول اصلاح هذا الموقف . ومنذ الوقت تحسن الموقف الى حد كبير . ولقد اصبح المجلس الدائم للحلف عضوا فعالا بعد اتخاذه لقرارات مجلس الحكماء ذلك لانه أصبح من المعين على جميع ممثلى الدول المشتركة فى الحلف اعطاء رأيهم مرة على الاقل اسبوعيا بخصوص المشاكل العالمية العظيمة .

وتقتصر مراسلات رؤساء حكومات الدول الغربية المشتركة فى الحلف مع المستر خروشوف ؛ أو على تقديمها للمجلس لبحثها، ولكنها تمتد ايضا الى مناقشة المسائل المتعلقة بأفريقيا الشمالية والشرق الادنى والاقصى ، ويعيب رؤساء الحلف على امريكا اتخاذها اجراءات بمفردها فى لبنان . واجابوا على ذلك بأنهم اعلنوا المجلس منذمدة بأنهم علموا منذ عدة اسابيع باستغاثة الرئيس شمعون ولم يكن فى استطاعتهم الا ان يأمروا قواتهم بالابحار وبالرغم من هذا التقـــدم فى المجلس الا أن عملية الاستشارة مازالت ناقصة الى حد كبير . وترجع عدم الكفاية هذه الى وصولهم الى رأى واحد الا بأعجوبة

ويكررون مرات عديدة انه ماعلى الحلف الاطلنطى الا ان يرسل بعثة جماعية لتغطية الجبهة الاوروبية فى الحرب البادرة وأن يصبح هذا الحلف كتلة سياسية واستراتيجية موحدة فى نظر العالم وتابعة لمقاييسه.

القيادة الأمريكية

فى المناظرة التى اقامها الحلف لم يبد أن هناك أى مشكلة حقيقية فالولايات المتحدة تمسك فى يديها الاعصاب والاسلحة المستخدمة فى الحرب ، فيوجد على رأسها رئيس ديناميكى تعتبره قائدا للحلف المناوىء للسوفييت وتعطيه فى يده جميع الدوافع والسلطات التى يريدها دون اى تدقيق من الوجهة القانونية • وان الخطر الماثل امام دول الحلف يجعلهم لايتناقشون حول مسألة سلطة واشنجتون . واشتراك انجلترا فى الحرب الكورية جعلها تنسى أنها اعترفت بالصين الشعبية •

وانقلب الموقف فى سنة ١٩٥٤ حينما رفض الرئيس ايزنهاور أن يحقق الحملة التى طالبت فرنسا بشنها لتحرير دين ـ بيان ـ فو ـ وكان المسئول عن هذا القرار هو الحكومات البريطانية التى لم يمكن أن ترضى بمساندتها .

وكانت النتيجة لذلك هو اتفاق جنيف الذى وقعته دولتان من دول الحلف ـ هما فرنسا وبريطانيا بحضور الولايات المتحدة لكن

دون موافقة صريحة منها ــ ولكن بعدذلك بشهرين، حينمارفض الاوروبى الدفاع عنه بواسطة البرلمان الفرنسى كان لطمـــة اخرى للقيادةالأمريكنية . ولكن فى الاشهرالتى تلت ذلكاستطاع منديس فرانس أن يضع البلسم على الجرح . وللاسف واجهت امنيـــات الولايات المتحدة ضربة أخرى فى نفس الجرح حينماأرسلت فرنسا متحالفة مع انجلترا حملة على بورسعيد •

اجتماع الثلاثة

وعوضت النكسه التى واجهتها القيادة الامريكية باجتماعات وزراء خارجية كل من فرنسا وبريطانيا وامريكا فى الصلح التالى للحرب . وكانت القرارات التى اتخذت فى بوتسدام تعتبر الدول الثلاث مجتمعة ومعهم الاتحاد السوفييتى مسئولة عن مصير ألمانيا والنمسا . واتخذ كعادة لهم عقد اجتماع بينهم قبل أن يجتمعوا بزملائهم السوفييت واستمروا هكذا حتى لم يجدوا سوفيتيين بعد ذلك لمقابلتهم • وفى نفس الوقت ضمن ميثاق الامم المتحدة للاعضاء الثلاثة كراسى دائمة فى جوف مجلس الامن وهذاهو مايفسر القرار الذى اتخذته الدول الثلاث بالاجماع سنة ١٩٥٠ بضمان •• الحالة القائمة فى الشرق الادنى •

ولم تكن الاستشارات الثلاثية بكافية للقضاء على الصعوبات • حتى أن أوجه الاختلاف التى كانت قائمة بين بريطانيا وامريكا كانت فى نهايةالوضوح فى آسيا ... وحينماقامت فرنساوانجلترابحربهما

البسيطة فى الشرق الادنى كانت كثيرا ما تشتكى باريس من عدم استشارتها ولكن بالرغم من هذا فقد رسخ هذا الاتحاد فى الناحية الاخلاقية للدول المشتركة فيه . وقد ساءت تلك الاخلاق فى المقابلة التى تمت بين الرؤساء على سلم الحكومة فى برمودا فى ديسمبر سنة ١٩٥٣ وهو الوقت الذى اعترى فيه المرض المستر لانيل المسكين قبل افتتاحه للمؤتمر ولم يشترك اشتراكا فعليا فى أى دورة فيه .

واعلنت مشكلة السويس النهاية الفعلية لتلك العادة التى لم يذكر اسمها انه العصر الذى عامل فيه الأمريكيون الوزراء الفرنسيين والانجليز على أنهم وحوش ولكن لم يمض طويلا حتى قرر الرئيس ايزنهاور على وجه السرعة فتح أبوابه ثانية لهم ولكن جون فوستر دالاس مكث وقتا طويلا وهو مصمم على رفضه على الرجوع الى الحلف الثلاثى ثانية . وفى خلال احدى المناقشات العامة التى عقدها اعضاء الحلف الاطلنطى فى بريكنكتون اعلن أحد المشتركين بتصميم بالغ على انه لايمكن بأى حال ان يعود اتحاد الاعضاء الثلاثة .

ولكى يكون الانسان فى غاية الدقة والوضوح فيجب أن نذكر ما قاله سكرتير الولايات المتحدة الراحل فى احد المؤتمرات الصحفية، اذ قال انه اذا كان لزاما على الانسان ان يحمل السلاح فهو يفضل الا بحملة حينئذ أحد الجنود الفرنسيين .. من ناحية أو من البريطانين من ناحية أخرى . وكان هذا الاقتراح عبارة عن طريق صدفة عظيمة ولكنه لم يكن ذا هدف يقصد به التجريح ، فهو يعنى أن الولايات المتحدة وجدت انه من الافضل لها فى علاقتها مع الدول

الاخرى بأن لاتسمح لنفسها بالاتفاق معهم على الاستعمار لان هـذا سيعرضها بلا شك للتضحية •

وتظاهر الامريكيون فى مدة تزيد على العام بأنهم لايقابلـون الانجليز بدون وجود الفرنسيين كما أنهم لايقابلون الفرنسيين بدون وجود الانجليز • وبذلك اصبح جيدا جدا ارتكاب اى خطأ وتحطيم هذا المبدأ . ولكن حينما انعقد اجتماع وزراء خارجية حلف جنوب شرق آسيا فى ربيع ١٩٥٨ ناقش المستر دالاس الشئون الخاصة بشمال افريقيا مع المستر سلوين لويد والمستر بينو • وكان هذا هو كل شيء فى ذلك الوقت حتى يأخذوا رأى المستر ديجول فيما ناقشوه •

الادارة الانجلو ساكسونية

ولكن اذا كانت فرنسا غير قادرة على اعادة تكوين موقفها العالمى بسبب تمرغها فى وحل افريقيا الشمالية . وبسبب قلق حكوماتها وفقرها • فلم يكن من الواجب على انجلترا ان تسحب قواتها الحربية العظيمة التى وضعتها منذ اثنى عشر عاما فى موقع اختارته لها الولايات المتحدة . فالانجلو ساكسون هم فقط الذين يستطيعون وضع الاسلحة الاوتوماتيكية والذرية التى تعتبر سلاح الهجوم بالنسبة لحلف الاطلنطى . وقد فوض لها الامر بالاشراف على قيـادتين أساسيتين هما القيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية وقيـادة قاذفات القنابل الانجليزية وهاتان القيادتان يعتمد عليهما الحلف الاطلنطى كله . وليس أمام تلك القوتين الا الامر بالانطـلاق ،

لانه لا يمكن اعتمادها فى ساعة الصفر على اتخاذ قرار اجماعى من الخمسة عشر دولة المشتركة فى الحلف . لانه يجب أن يحدث هـذا قبـل وقوع ماهو أسوأ ، لان خسارة أى وقت ستؤدى الى مصيبة كبرى . ولانه لن يوافق أى انسان على أن يهـدم مصير العالم الحر كلية من اجل تردد دولة واحدة • ولذلك فقد وافق الحلف مرة واحدة والى الابد على الالتجاء الى الاسـلحة الذرية والهيدروجينية فى حالة الضرورة . وهم يقولون عن واشنجتون ولندن انهما لن يستخدما هذا الحق الا بعقل رزين ومعرفة كاملة

ومن هنا جاءت فكرة ان السلم العالمى يعتمد الى حد كبير على حسن نية الادارة الانجلو ساكسونية • وهـذه الادارة التى نحن بصددها بعيدة كل البعد عن أن تأخذ شكلا فعالا او شبيها بالاجبار • وكثيرا ما رأينا اتخاذ مجلس الامة الامريكى يتخذ قراراته دون ان يتعب نفسه ويستشير القيادة فى لندن وهذا هو ماحدث بالفعل حينما وقعت ازمة العراق • اما الانجليز فانهم مختلفون فى الرأى على كثير من النقط مع الامريكيين تلك النقط المتعلقة بالشئون الخارجية عن نطاق حلف الاطلنطى وخصوصا فى آسيا ذلك لانهم يحاولون التدخل المطلق فى مسئولياتهم هناك فى جميع الاحوال •

وفى هذه الاثناء حاول الرؤساء فى لندن جاهدين أن يجعلوا ميزة للدول المتحالفة التى تتكلم الانجليزية وهذا بالطبع يرجع الى الشعور القومى وهو سبب وجيه جدا . وحاول تشرشل أن يعيد تنظيم الهيئة الرئيسية المكونة من الانجليز والامريكيين فى وقت

السلم تلك اللجنة التي قادت معسكر الحرية الى النصر فى سنة ١٩٤٥ ولكنه كان يحاول عبثا . لان الوقت قد تغير ولاتستطيع انجلترا اليوم الا أن تكون دولة من الدرجة الثانية .

ولايبقى أمامنا الا خطأ واحد فى هذه القيادة وهو كامن بين الامريكين والبريطانيين انفسهم وهو تأكيد بريطانيا لامريكا عدم استخدامها للاسلحة النووية ألا بعد اتخاذ رأى مشترك . وهذه القاعدة غير المكتوبة تتجت قبل كل شيء على أساس أحداث عدة. وهو ان الدور الوقتى الذى تلعبه بريطانيا فى الدفاع العام يرجع الى وجود قواعد القيادة الاستراتيجية الجوية على اراضيها وكذلك قيادة الحرب الاطلنطية مثل قواعد قذف الصاروخ ثور ، وقاذفات القنابل التى تزيد على المائتين والقنابل الذرية والهيدروجينية التى تمتلكها .

فانجلترا هى دولة مثل كل الدول التى قبلت وجود اسلحة نووية امريكية على ارضها ولذلك فيمكن تطبيق قاعدة « النار المزدوج عليها » وهذا يعنى انها لاتستطيع استخدام هذه الاسلحة دون موافقة الولايات المتحدة والدول التى يهمها الامر وهذه القاعدة تنطبق فقط على القواعد الموجودة فى أرض قومية . فايطاليا لن تستطيع ايقاف الحرب اذا ماعارضت استخدام الصاروخ جوبيتير الموضوع فى أراضيها ومن المحتمل ايضا انها لن تستطيع منع تحطيم قواعدها كعمل وقائى ضد العدو . اما الحالة فى انجلترا فهى تختلف كل الاختلاف لان مشاركتها لامريكا شيء له أهميته وبدونها لن تستطيع أمريكا أن

ترمى بقذائفها فى المستقبل دون الالتجاء الى الاسلحة التى تملكها بريطانيا والموجودة على أراضيها .

المسيو جايار يطالب بحقوقه

ولم يتخل أى فرنسى عن منصبه خلال تلك الاحداث وقوى مركز المسيو جايار بشكل ملحوظ منذ زيارة المستر ماكميلان لباريس فى الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٧ بان حصل منه على تصريح يقضى وجود قيادة انجلو ساكسونية . وقد كان هذا فى الحقيقة عصر توزيع الاسلحة فى تونس الذى عهد فيه للانجليز بالمشاركة فيه ، مفترضين حينذاك رأيا أثار الفرنسيين وهو التدخل الاجنبى الذى ينصب على استطاعة لندن وواشنجتون وضع حل فى المستقبل خاص بالمشكلة الجزائرية .

وحاول رئيس وزراء بريطانيا ان يهدىء الحالة سرا ، اما علانيه فقد كانت المشكلة صعبة بالنسبة له فليست فرنسا هى البلد الوحيد التى تجد فيها ، روح القلق الدائم وهى دائمة الاستعداد لافشائها والتعبير عنها عند مقابلتها لاعمال أو اقتراحات حكومات لاتقبل هى نفسها الموافقة عليها . فهى تصمم دائما على مبادىء « روح المساوراة » بين الدول المكونة لمبادىء هذا الحلف .

الجزائر

ان ذلك الذى يشغل بال المسيو جايار ويقابله مثله بالنسبة للزعماء الاخرين ولم يصبح من المتعسر ان يحصل على حكم بادانة كل

ماهو متعلق بالادارة الانجلو سكسونية وخصوصا بعد اجتماع مؤتمر الاقطاب •

ولم يكن اكثر فرحا حينما دافع بحيوية عظيمة عن ايجـــاد « حلف عالمى » ولكن يجب ان تعلم ان المعتبرات التى كانت ترتسم على شفتيه كان لها معنى خاص • فقـــد اعاد الى الاذهان انه لايمكن ان يتحالف هنا دون ان يكون فى نفس الوقت وفى كل وقت وفى كل مكان هو آخر رئيس لمجلس الجمهورية الرابعـــة ذات الالوان الخلابة .. والذى لايرضى بأى سند أو تدخل فى سياسة فرنسافى شمال افريقيا .

وكان القانون فى جانبه • فيمثـــاق حلف الاطلنطى قال فى الحقيقة « ان الاملاك الفرنسية فى الجزائر تدخل ضمن الاراضى التى يدافع عنها الحلف ، من أين نفهم اذن أن ذلك الحلف الذى عبر عن مساندته وتضامنه الكامل لفرنسا خلال حربها فى الهند الصينية لم يشر ابدا فى اجتماعاته الى ذلك الذى يحدث فى المغرب •

وان رفض حكوماتنا المتتالى لوضع هذه المسألة موضع البحث أمام دول الحلف تحت مبدأ ان هذا الموضوع لايخص الا فرنسا نفسها ، ما هو الا هدف ترمى اليه من وراء هذا الصمت ، ولكن تلك الحكومات نفسها قد تتخذ موقفا مختلفا بعض الشىء اذا لم تشعر بهذا التحفظ الذى يلزمه كثير من حلفائنا . ومن هذا نفهم أن مصلحة الدول الغربية هو فى اعاقتها للاستعمار السوفيتى وتفويت فرصـــة

استغلاله للدول الواقعة على المحيط الآخر ولمشاعرهم المضـــاد، للاستعمار • ففي فيتنام كان عدونا شـــيوعيا • وفي الجزائر اخفقت الدعاية الرسمية في اقناع الامريكيين بان جبهـة التحرير كانت في ايدي الكرملين • وينصب خوف حلفائنا من ان الاستمرار في حرب مزمنة لا نهاية لها سيدفع بزعماء هذه الثورة الى الدخول في نطـاق التأثير السوفييتي . وهذا يبدو بالنسبة لهم هو السبب الذي يلزمنا بمناقشة المسألة معهم •

وبكل تأكيد فان قادة الجمهورية الرابعة ليسوا بحاجة الى الجدل وبعد ان حصلت تونس على حكمها الذاتي وحصـلت بعد ذلك على استقلالها هي ومراكش اقتنعت الولايات المتحدة بأهدافهم التي ترمي الى الحرية وحينذاك عبر المسيو ديلون سفير الولايات المتحـدة في باريس حينذاك في احدى تصريحاته الشهيرة مشاركة واشنجتون الوجدانية لمجهودات فرنسا نحو حل مشكلة الجزائر بروح ملؤها التحرر . وتكلم المستر جلادوين جيب ممثل الحكومة البريطانية حينذاك بلغة أكثر وضوحا وسلاسة من زميله الامريكي ولم تعارض منظمة حلف الاطلنطي من جهتها في المحافظة على التقسيمات القائمة في شمال افريقيا بالرغم من تعارضها بشدة مع الناحية الدفاعية لحلف الاطلنطي وهؤلاء الاشخاص الذين يعيشون في داخل تلك التقسيمات كثيرا ماوعدهم وزراؤنا باعـادتهم الى أوطانهم . وقـد ادخلت المصروفات التي انفقت على الحرب في داخل هذه التقسيمات ضمن ميزانية فرنسا الدفاعية •

وتعتبر هذه العملية غير مرضية في نظر كثير من الفرنسيين ، فالصحافة الامريكية لاتخفى موقفها المعادى بالنسبة لسياستنا فى الجزائر ، واظهرت الولايات المتحدة الامريكية اهمية قصوى نحو المسائل المتعلقة بمراكش وتونس ويراودهم الامل فى أن يحلوا امكاناتنا كما فعلوا في فيتنام • وكانوا يستعدون الى نشر غازات فى الناحيه الاخرى من المحيط الاطلنطى باقامة علاقات مع جبهة التحرير الجزائرية ، ولكن اجتاحهم الفزع حينما رأوا فى مواجهتهم عملاء هؤلاء الذين اقاموا سداأمامهم فى أحد شوارع نيويورك أو فى المانيا • ولقد بدت بعثة المستر مورفى الخاصة بمسألة ساقية سيدى بن يوسف بالنسبة لكثير من مواطنينا كبداية لوضع نهاية للتوسط فى الحرب الجزائرية •

فمنذ مشكلة السويس ويعانى الامريكيون من الصحافة المينية ومازال .. الفرنسيون يعتقدون أنه لولا تدخل الامريكيين الذى ليس فى محله لكان امكنهم القضاء على ناصر الذى سيكون من السهل عليه نشر العروبة العالمية بمساعدة أصوات الثوار الجزائريين وأبطالهم ومنذ التوقيع على معاهدة حلف الاطلنطى التى سمحت للدول المشتركة فى أن تنتقد الى حد ما مايجب ان يتجه اليه الحلف طبقا للسياسة الامريكية التى تشك فى دول الحياد وفى الدول المحبة للشيوعية • ومنذ عام ١٩٥٦ ـ يتجه المتعصبون الارثوذوكس نحو مهاجمة السياسة الامريكية دون أى اعتبار لهؤلاء الذين يحمون ويقيمون اساسها هؤلاء الاشخاص الذين اتهموا بالتنازل والتخاذل امام تهديد القادة العرب

فمن أين فكرة ان الولايات المتحدة قد قدمت صداقتها لفرنسا فى تلك اللحظة اذا عرفنا انها كانت اكثر صداقة بالنسبة لهم وان كانت الأكثر سخاء ... بالنسبة لنا وفى الحقيقة فان فرنسا تشعر بمدى الخطر الذى يهددها من الشرق تحت نداء المساعدة ضد الاستعمار وهــــذا هو ما حدث فعلا فى مؤتمر باندونج الذى أكد هذا المبدأ .

ولم يكن دور الحكومة الامريكية بضئيل بدخوله فى تكوين الرأى العام وقيادته ذلك الرأى الذى ادى الى سقوط حكومة جايار . ولايخفى على أحد حكم الجنرال ديجول الصارم على ســياسة الولايات المتحدة التى لام عليها كثيرا موقفها من رؤساء الحكومة الراحلة .

ماذا حدث وماذا اصبح فى استطاعة هؤلاء الحلفاء العظماء الذين وقعوا على تكوين (حلف جميل ولطيف) فى موسكو فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ ذلك الحلف الذى اوحى الى تشرشل بأن يهذى هذيانه الشهير الذى يقول فيه « من كل العقائد التى احملها بين صــدرى اقدم لكم اعمقها الاوهى مشكلة اللورية » ؟ وبالطبع دارت بعد ذلك مناقشات عامة كافية من جانب السفير السوفييتى خــلال شتاء عامى ١٩٥٧ ــ ٥٨ اوقف بعدها مناقشة هذه المسألة التى كان يراودهم فيها الامل تارة واليأس والقلق تارة أخرى . ولقد كان رئيس المجلس الجديد فى قراره الوزارى حكيما جدا فى خصوص هذا الموضوع لانه كان يقتنع بضرورة الاخلاص لحلف الأطلنطى . « بدون حدود»

وكان هذا القرار واضحا جدا ولكنه فى نفس الوقت غامض جدا وذلك لعدم وجود أى تعليق رسمى عليه •

ولكن بعد مضى وقت طويل علمنا من مصدر مسئول ماذا يعنى هذا الخطاب فقالت الجمهورية الرابعة وهى التى تتبع الجنرال بأنه يعنى بكلمة حدود اوروبا بالذات وهذا هو ما تشير اليه سياسته التى ترمى الى التماسك اما العهد الجديد فانه يصمم على اهتمام الدولة بالعالم ككل أى بشعورها بتحمل المسئولية ومايجرى من حوادث على أراضى القارات كلها وعلى مياه المحيطات جميعا .

وبمجرد أن حط ذلك الشخص رحاله فى فندق «ماتيون» فى الثامن عشر من يونيو حتى زاره المستر ماكميلان وتــلاه بعد ذلك المستر فوستر دالاس ، وكان غرض الاول والثانى هو السؤال عن حالته النفسية ولكى يخمدوا شعورا ثائرا فيه لايعرفون أين سيوجهه، ألم يحدثهم ذلك الشخص فى بعض الاماكن انه ينوى الســفر الى موسكو أما من جهة نواياه ومقاصده فتؤكد الشخصيتان الكبيرتان اللتان يعتبران دعامتى الحكومة البريطانية ، تؤكدان بان محدثهما لم يكن أقل إخلاصا فى مبادئه الخاصة بحلف شمال الاطلنطى .

وقد انتهز رئيس الحكومة هذه الفرصة التى اتاحت له الاتصال بزعماء أكبر بلدين غربيين، بأن وضع خطا عريضا تحت المتناقضات وأوجه الاختلاف الموجودة بين الشخصية العالمية للضغط السوفيتى والطبيعة الجزئية للدفاع الاطلنطى ، واسترجع ذكرى سلفه وآلامهم

باتخاذهم اعمال جدية ضد الجهل الذى كثيرا ما اخذت فرنسا قرارات بشأنه وكانت تلك القرارات تخصها هي نفسها مباشرة .

وجاءت للرئيس رسالات تهدئة هنا وهناك ، ولكن بعد الرابع عشر من يوليو من نفس السنة حينما وجهت ضربة قوية الى المملكة العراقية التى كانت تعتبر حينذاك برجا عظيما فى قلعة الامبراطورية البريطانيـة فى الشرق الاوسـط ، فى ذلك الوقت لم تهتم الولايات المتحدة باستشارة فرنسا معتمدة فى ذلك على الاعلان الثلاثى المتخذ فى سنة ١٩٥٠ والذى يقضى بضمانها للحالة القائمة فعلا فى الشرق الادنى كما هى عليه ، واكتفت بابلاغها ذلك قبل عدة ساعات من اتخاذها قرارابارسال ...اسطول بحرى من الغواصات وباصدارها الاوامر الى الاسطول السادس الامريكى بالقيام بجـولة فى البحر المتوسط الشرقى على ان تكون القنبلة الذرية فى احدى سفنه واعلنت بريطانيا العظمى كذلك دون اتخاذها رأى باريس بأنها سترسل رجال المظلات الى شرق الاردن .

وفى نفس الوقت اعتبر الجنرال ديجول ان هذا العمل عمـلا سيئا للغاية لانه يعتبر أن لبنان بلد قديم العهد بالسيطرةالفرنسية كما انه دائما مايعلق باسمهذكريات الاحتكاكات الخطيرةالتى وقعت بين الحلفاء فى وقت الحرب ، اذ حينما طلب الرئيس شمعون منها المساعدة شهرين قبل وقوع هذا الحادث وجد نفسه فى مواجهـة قوات ثلاثية ، ولكن بعد مناقشات حادة وسوء فهم للتدخل الفرنسى

سمحوا لها بأن تتدخل تدخلا محدودا وذلك بارسالها طرادا فرنسيا يكلف بضمان الامن لرعاياها ومؤسساتها العامة والخاصة هناك ومهما يكن من أمر فقد أظهرت فرنسا استيائها خلال النكبة الدبلوماسية التى تلت ، والتى اوضح بشأنها الاتحاد السوفيتى بعض الاراء فى مؤتمر القمة واتخذت تجاهها الولايات المتحدة وبريطانيا بعض المواقف المختلفة التى لم ترض فرنسا .

وبعد ذلك بعدة ايام سمع العالم قرقعة احذية الرؤساء وانكر المستر خروشوف بكل ما اوتى من قوة تهديدات الدول الاستعمارية واعتبرها ناقصة الذوق والدم وبمجرد ما ان حلت تلك الازمة حتى ثارت أزمة أخرى فى كيموى . ولكى تساعد الولايات المتحدة شانج كاى تشيك جندت أكبر قوة عندها من السلاح البحرى والجوى فى التاريخ العالمى وكان ذلك بمثابة انجح تطبيق لنظرية ، حافة الحرب ، الذى برهن جون فوستر دالاس على أنه السيد الكبير فى هذا المضمار .

البيان السياسى الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٨

بالرغم من أن أخطار تلك الفترة قد مرت دون أن يلحظها الكثيرون الا انها لم تكن كذلك بالنسبة للجنرال ديجول • وفى الايام التالية مباشرة لاصدار البيان السياسى تفتحت امام مخاطبيه الاخطار التى يمرون بها جميعا مما اوحى له بخطورة الموقف ولكن هل كان هذا الخوف الذى اعتراهم صادقا ؟ على كل انه فى استطاعتهم ان

يسألوه ، وخصوصا بعدأن رأينا موقفه الصلب بعد ذلك بعدة شهور بالنسبة لمشكلة برلين • ولكنه في الحقيقة وصل الى نقطة معينة جعلته يوضح ويساند اعتراضاته لقد كان مثلا واضحا وعظيمـــا يبين ذلك الصراع الذى تولد خارج منطقة الاطلنطى ولكنه كان مخـــــاطرة بالتأثير على العناصر الاساسية الداخلة ضمن نطاق الحلف قريبا كان ذلك أو بعيدا .

وعلى هذا اصدر حكمه على الحوادث التى ما زال يخفيها الزمن وكان الرابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٥٨ هو اليوم الرابع قبل الاستفتاء الشعبى الذى ستسلمه فرنسا مصيرها على اساسه فكتب فيه خطابا الى الرئيس ايزنهاور ومكميلان حتى يشاركاه الافكار التى تؤرقه ويقترحان له بعض الحلول للمشكلتين اللتين ما زالتا دون أى حل منذ اللحظة الاولى من تكوين حلف الاطلنطى وأولهما الوصول الى اجابة ••• تفسيرية علنية على التحدى السوفيتى العـــالمى ، اما ثانيهما فهو اقامة قيادة متماسكة على رأس الحلف الغربى •

الفصل الخامس

الخطاب السياسى

حينما يتحدث أحدث السياسيين عن خطاب سياسى دون أن يزيد على هذه الكلمة شيئافان ذلك يعنى أنه يحمل فى رأسه ماكان يحمله الجنرال ديجول في الرابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٥٨ حينما ارسل خطابه الى ايزنهاور وماكميلان وفى الحقيقة فان هـــذه الوثيقة التى ارسلها لم تنته بعد ، لانه بالرغم من قصرها الا انهاندعم المحادثات الرسمية •

وكانت الرغبة الاولى لمؤلفها هو ان تبقى سرية ، وما زالت هذه الرسالة ممنوع نشرها حتى الان على الشعب ، ولذلك فان معظـــم الشعب مازال يعتقد فى أن المعنى مازال فى بطن الشـــاعر ــ أى مبهما •

واشتمل الخطاب السياسى ثلاثة اجزاء : الاول منهـــــا هو التشخيص الذى يقوم على اساسه مدى تماسك وترابط العــــالم • وثانيهما العلاج الذى يجب ان يؤدى اخيرا الى تخفيف وطأة التهيج والتحمس ، وثالثهما التهديد وهو الذى يبدو لنا اليوم غير مقبـــول ابدا لعدم وجود فرصة تتيح وجوده •

ولكن ماهو التشخيص ؟ انه الرأى المغاير والمناوىء للتهديد الشيوعى العالمى الذى تنادى به دول الحلف فى شكل غير منتظم . وكذلك التناقض فى التساوى بين الاخطار التى يجابهها المعسكران فى حالة وقوع حرب ذرية ، وعدم التساوى بين المسئوليـــات التى تتحملها كل دولة بمفردها اذا ما اتخذوا قرارا نهائيا للالتجاء الى هذه الاسلحة وعلى ذلك فانه غير مجد التصميم على ذلك بأى شكل ومن ثم جعلنا وجه التناقض هذا هو موضوع الفصل التالى من دراستنا وما هو العلاج ؟ هو اقامة منظمة سياسية وحربية تتكون من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وتكون مكلفة بالاتى :

١ ــ القيام برسم استراتيجية سياسية وحربية مشـــتركة بين الدول المشتركة فى هذه المنظمة .

٢ ــ وضع قيادة متحالفة مشتركة على مسرح الحوادث الجارية لتقوم باتخاذ قرارات نهائية بشأن الظروف المحيطة .

٣ ــ تقرير الساعة التى يقتضى فيها الالتجاء لاسلحة التدمير على نطاق واسع .

ومن هذا وجدوا أنفسهم يخلطون بين السؤالين اللذين وجههما المسيو موريس شومان فى أحد مقالاته عن الغرب . كيف ندعم فاعلية الحلف وتأثيره فى جميع انحاء العالم ؟ وكيف نضع فرنسا فى داخل نطاقها السليم ؟ ولم يكن خاطئا حينما بين فى مقالته اهتمـــام الجنرال ديجول ، بعدم وضعه السؤال الثانى الا بالمقدار الذى يختلط ويمتزج فيه مع الاولى ، اما المادة الثالثة التى وردت فى هذا الخطاب

هي : ان هذاالتهديدالذي سيصل اليه سيؤدي الى الجهل بالمصلحة العامة بل واهمالها ، وبالتالي سيلقي الاضواء على وجه الخصوص على مطامع أحد الرؤساء الذين يعرفون عنه حبه للغط ورغبته في أن يعطي لدولته مكانا مرموقا بين الدول العظمى . ففرنسا التي تعيش بعقلية رجل القرن الثامن عشر تتمسك بتوسع مؤازرتهاللحلف الاطلنطي على أساس التمسك باعتبار اقتراحاتها ووضعهاعلى الميزان

التطلعات والاعمدة

من العبث ان تقول ان الخطبة الدافعة التي القاها الجنرال ديجول قد استقبلها الشعب بصدر رحب . ولم تظهر حكومات دول حلف الاطلنطي أي عداء في الاشهر التي سبقت تلك الخطبة ، ضد فكرة قيام قيادة انجلوساكسونية ، ذلك حتى يخلو لها الطريق وتقوم باتفاق على انشاء قيادة فرانكو ـ انجلو ـ امريكية . ولما كان الحال هكذا كان الطبيعي هو أن يتمسكوا بهذا كمبدأ أساسي حينما ساروا نحو باريس . وكان المسيو بيرو قد ارتأى في الماضي القريب نفس الاقتراح حينما اعتنق نفس الفكرة التي عرضها المسيوجان جاك سيرفان شرايبر في مجلة «لموند» وكان يؤمن في قرارة نفسه بخلق هيئة على نمط تلك الهيئة الثلاثية التي تقوم بدور القيادة في واشنجتون وذلك من اجل توضيح السياسة الاستراتيجية العامة للحلف وتعتبر بمثابة هيئة سياسية ، ولكن بمجرد الادلاء بهذا الحديث صاحت الدول صيحة عالية وعبرت عن رأيها بكل وضوح وما كان هذا الرأي الا الرفض التام في اعطاء تلك الهيئة ولو جزءا بسيطا من مسئولياتها .

ذلك لانهم لو خضعوا بسهولة لعدم المساواة فى القيام بالاعمال فانهم سيكونون فى هذه الحالة ضحايا هذا العمل ، وهذا بالطبع يختلف تمام الاختلاف عن استعداداتهم فى تقديس واحترام القوانين .

وهذا هو ما قاله رئس وزراء ايطاليا على وجه التقريب حينما علم بذلك الخبر بطرق ملتوية قبل ان يتخذ شكلا رسميا وخصوصا حينما علم بمطالب الجنرال ديجول وقد اعلن حينذاك امام الاعضاء المناقشين للموضوع بأن المسألة ليست مسألة تمييز بين دول الحلف بحيث تصبح ثلاثة منها هي الدعامات الاساسية التى تتخذ القرارات فى حين ان الباقى لايتعدى أعمدة بسيطة يقوم عليها البناء .

وحتى اكون اكثر اخلاصا فى قولى فاننى يجب ان اقول لكم أن رد انفعل فى بون لم يكن اقل منه فى ايطاليا فقد ارسل الدكتور اديناور خطابا الى رئيس الحكومة الفرنسية يعلن فيه عن دهشته عن وجود ذلك الدافع الذى بدا له مناقضا تمام التناقض للمبادىء التى تقضى بالمساواة التامة تلك المبادىء التى كانت سائدة فى المقابلة التى تمت قبل ذلك بعدة ايام فى « بادكريزناخ » وقال انه يجب ان توجه تلك الاعتراضات ضد الانجلوساكسونيين لانه يقظ جدا امام تلك الادعاءات بالعظمة وعدم اهتمامه بتلك الابنية القضائية الجميلة التى تهتم بالمناقشات فقط ، ونادى بوجوب التقليل من حدة الغيرة بين الدول المشتركة .

وقام كواى دى أورسى بدور المهدىء للحلفاء القلقين وبذل فى ذلك كل ما اوتى من قوة وقد كان مصمما على وجوب فهم معنى الكلمة

« منظمة » التى استخدمت فى المذكرة التفسيرية بمعنى وجوب قيام علاقات جيوية بين الثلاثة الكبار ، وعاد الى الأذهان بعدم وجوب قيام منازعات فى داخل حلف شمال الاطلنطى نفسه لان الغرض من قيام الحلف هو شمال الاطلنطى نفسه .

لان الغرض من قيام الحلف هو تنسيق الوجهات السياسية للثلاثة الكبار التى تقف مسئولة امام المسئوليات الخارجة عن منطقة الاطلنطى .

ومنذ حلول شهر نوفمبر ويقوم الجنرال ايلى بتغذية هذا الموضوع بالكتابة عندما وسعه ذلك فى «لاريفى دى ديه موند» فقال فى أحد مقالاته (ان الثغرة الموجودة فى الشرق الاوسط تتطلب منا ان نسدها بغطاء دائرى اكثر صلابة من ناحية افريقيا الشرقية . ولما كانت تلك العملية ستكون هشة فانه من الواجب ان تتضامن الفلكات الشرقية والغربية القائمة على تلك الثغرة ، وفى نفس الوقت يقومون ببناء نقطة دفاع أفريقية بنظام مماثل لنفس النظام المتبع فى منظمة حلف شمال الاطلنطى بحيث يتكون المحور الفرنسى العظيم الذى يمتد من باريس ــ فالجزائر ــ فبرازفيل وهذا المحور يكون قابلا للامتداد نحو شمال اوربا وجنوب افريقيا . واذا لزم الامر الى اعادة تكوين الدفاع الاوروبى فاننا سنكون مضطرين الى اعادة تعديل مناطق تكليف قوى الدفاع الاوروبية وذلك خلال اعادة تنظيم ادارة دفاع العالم المتحرر . ويبدو انه من الصعب التعرف على القوى المسيرة التى تلعب دورا عظيما فى الدفاع الفرنسى من الان فصاعدا

بمالها من مواقع جغرافية اساسية فى اوربا كما فى افريقيا . وكان يبدو انه من الضرورى ان يصل الغرب الى اقامة الدعامات والوصول الى الطرق والوسائل التى يستطيع بواسطتها معارضة قيادة محصنة مناوئة تقف ضد قيادة أوروبية مشتركة او ان الادراك الفرنسى الذى يؤمن بالوحدة الاوروبية الافريقية ويعطيه حق قدره .

ولكنا وجدنا أن المسيو ميشيل ديبريه حينما ازداد فى تعليقاته على المطالب الفرنسية أدى الى تعقيد الامور ولم يصل فى الحقيقة الى التوافق بين الاراء المختلفة . وقد كان اعلانه عند توليته منصبه فى يناير سنة ١٩٥٩ كان فيه اصرار الى حد كبير ففيه يقول ، ان الحلف الاطلنطى سيكون وسيبقى قوة عالمية اذا ما قام على اساس تضامن أعضائه والمساواة فى تحمل المسئولية . لانه بمرور الزمن لن يمكن أن يكون هناك تضامن بين الشعوب الغربية اذا لم يعد ذلك التضامن الا فى فترات معينة ولم يمارس فى الفترات الاخرى انه لا يمكنهم أن يتحدوا فى اوروبا تحت وجود تهديدنا ولا يمكن ان ينقسموا فى منطقة البحر المتوسط تحت وجود نفس التهديد كما انه لا يمكنهم اقامة جبهة مشتركة فى مؤتمر أوروبى ، واقامة جبهة مفككة فى مؤتمر آخر خارج أوروبا . وبدون شك فان السياسة كثيرا ما تتطلب بعض الامتيازات التى لا تعتمد على المنطق : وهذه الامتيازات تكون على الاقل الاشياء التى يفوهون بها دائما ، ولكن بالرغم من هذا يجب عليهم ان يأخذوا حذرهم : ولانه يوجد فى التيارات السياسية بعض المنطق يكون على الاقل المنطق الشعبى ، ولا يمكن أن يقوم التضامن

من الاطلنطى قائمة الا اذا قام على اساس من الرضى العميق الحقيقى المدعم • وهذا الرضى هو الذى يتطلب قيام حكومات تضع نصب اعينها الشرطين التاليين وهما : المساواة فى التضامن والمساواة فى تحمل المسئولية •

المساهمة الفرنسية فى حلف شمال الاطلنطى

لما وجد الجنرال ديجول ان المطالب التى أكدها فى بيانه السياسى ••• الصادر فى الرابع والعشرين من سبتمبر وتلك التى تضمنها الاعلان الصادر منه قد قوبلت بطريقة سيئة ، لم يجد هناك حلا آخر سوى أن يقنعهم به بالقوة والضغط •

ولكن ماذا كانت النتائج العملية حينما رفضت فرنسا فى الازدياد من مساهمتها فى دول الحلف ، حتى وصلت اخيرا الى التقدم بطلب الاسترداد الذى اتخذ فى اعتبار الدول الاعضاء •

(أ) لم يكن من المستطاع تدعيم القوى الفرنسية التى تعسكر فى القارة الاوروبية فقد كانت تهديداتها عبارة عن تهديدات افلاطونية أى كلا بلا عمل لانهم وصلوا أخيرا الى أن المشكلة الجزائرية لايمكن البت فيها او تعيين الوقت الذى يمكن ان يصلوا فيه الى حل نهائى •

(ب) لن تضع فرنسا موضع التنفيذ قرارات المجلس الاعلى لمنظمة حلف شمال الاطلنطى التى اتخذت فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ لانها تنادى بتوزيع المخزون من القنابل الذرية وقواعدها فى مناطق مختلفة من أوروبا وقواعد قذف القنابل المتوسطة المدى (مثل الصاروخ من

نوع (أ • ر • ب • م) الذى كان موضوع بحث الفصل الثانى) •

(ج) انها لن تضع قواتها الجوية تحت قيادة مشتركة، ولكن ذلك لم يكن سوى جزء من طلبات الجنرال ديجول، وكان يدخل ضمن هذه الفكرة المطالبة بالعمل على الاحتفاظ بقوة فاعلية الحلف ، ولكن قبول هذه المطالب الدكتاتورية لم يكن كافيا للوصول الى حل نهائي •

(د) وأخيرا ، تراجعت فرنسا فى قرارها الخاص بوضع جزء من اسطولها البحرى فى البحر المتوسط فى وقت الحرب تحت امرة القيادة العليا لحلف شمال الاطلنطى •

وسنجد هاتين المشكلتين الاخيرتين فى الفصل القادم •

وسنتفرغ الآن لمناقشة الموضوعين اللذين كتب عنهما الكثير ونرى عما اذا كان موقف الحكومة من اقتراحها سيؤدى اخيرا الى حل مشكلاتها وسد حاجاتها بسهولة •

كانت الميزانية سلبية للغاية . بينما تأثرت العلاقات الطيبة تبعا للخطة السيكولوجية • وقد رأينا وجود نوع من التهديد المثير للنفوس بين الدول الصديقة وكذلك فى الطرق التى اتبعها الجنرال ديجول فى تقريراته وبياناته • وقد ابتدأت « بتاجون » فى الاضطرابات بشكل خطير ابتداء من ربيع سنة ١٩٥٩ بعد اشارة ازمة برلين ورفض فرنسا التصريح باقامة مخازن ذرية على أراضيها تكون تحت طلب قاذفات القنابل التى يمتلكها حلف شمال الاطلنطى فى افيان، وتول، وشومونت وهذا يعنى انه اذا ارادت فرنسا ان تقذف قنابلها فيجب ان تلجأ الى المانيا او بريطانيا العظمى حيث يخزن هذا النوع من القذائف•

ولكن فى الحقيقة لم تنته المفاوضات الى لاشىء لانقيادة حلف الاطلنطى اتخذت قرارا بنقل نصف السلاح الجوى الى الشاطىء الاخر من المانش ونصف السلاح الاخر ينقل الى الرين ويبدو ان هذا لن ينفذ فى وقت قريب .

أما عن قواعد القذف فقد ارتكب فيها معظم قوادنا خطأ فى مدى بعد النظر مثلما حدث تحت حكم الجمهورية الرابعة والخامسة ويتلخص هذا الخطأ فى انهم اعتقدوا فى ادعاءات الولايات المتحدة ، لانهم استنتجوا من كلامهم انهم فى وضع يرغمهم على تحويل اقامة تلك القواعد فى حالة موافقتهم . وهذا هو عكس ماكان صحيحا فبعد انتهاء المستر دالاس من مناقشة الموضوع فى باريس مع رئيس وزرائه فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ وجه مطالبه الى دول الحلف طالبا منهم الحصول على احدث الاسلحة وفى الحقيقة فانه كان فى اعترافه بحماية نفسه ضد أى اعتداء خارجى مستخدما فى ذلك احسن الاسلحة وأحدثها وليس تلك التى قدمت وزال عهدها، اعترافا بمؤازرته وتماسكه مع حلف شمال الاطلنطى. وكان هو أول السابقين الى اتخاذ تلك الاسلحة البعيدة المدى كأداة للدفاع عنه . فقد كان القادة البريطانيون حاملى اللواء فى هذا المجال وتبعهم فى ذلك المسيو بنوا الذى يعتبر من بين هؤلاء الذين رأوا وجوب الحصول على قذائف ذرية لبلادهم . لانه تأكد وتحقق من أن الامور أصبحت ذات شكل يختلف تماما عن حقيقتها وان المفاوضات أصبحت غير قادرة على ان تخطو خطوة واحدة من مكانها ، قرر آن يلعب دوره فى هذا

الميدان • وبعد ذلك بوقت قصير وضعت الولايات المتحدة قذائفها على القواعد الفرنسية فى نفس الوقت كانت تضعها فيه على القـــواعد الانجليزية والايطالية والفرنسية والتركية التى امتلأت بقاذفات قنابلها وعواصاتها •

علامات الرضى الاولى

وبالرغم من هذا لم تمر تلك العاصفة دون ان تترك أثرا واضحا .. فشخصية الجنرال ديجول ورغبة حلفائنا فى التخفيف الى أقصى حد مشكلة الجزائر ، ونجاحنا فى التجربة الذى كان يعنى فشلنا فيها ووقوع فرنسا الى الهاوية، واستطاعت بذلك ان تثبت للعالم الغربى أجمع انها قد اعطت لتصرفاتها وسيرها وزنا ومعايير وقوة تشبه صوت الرعد وهذه أشياء كان من الواضح جدا عدم وجودها تحت حكم حكومة الجمهورية الرابعة التى كان ضعفها ظاهرا بشكل واضح جداً •

وعلى ذلك بذلت مجهودات ضخمه لايجاد بأى وسيـــلة كانت طريقة للوصول الى تهدئة رئيس الجمهورية ولو لبعض الوقت ، وفجأة وعند نقطة معلومة فاجأه المستر خروشوف بأن أصـــدر مايمكن أن تفسره بانذار نهائى خاص بمســـألة برلين ، والذى كانت نتيجته الاولى هو اعادة مناقشة حقوق الدول الثـــلاث الغربية فى اتخاذها قرارات بوتسدام •

ولكى يعيد الاقطاب الثلاثة قوة فاعلية هذه القرارات وقيمتهـا الفعلية عملوا على اقامة اتحاد بمنفرد قبل أى من الطرفين سواء

اكان ذلك المانيا الغربية ام الاتحاد السوفيتى • مما ترتب عليه اقامة احتفال لهمعنىووجود وبعيد كل البعد عنمعرفةالعامة،ولكن كان معناه ووجوده واضحينفقط بالنسبةلاصحاب الخبرةوكان الغرض منهذا الاحتفالهوتناولطعامغداءرمزى يشتركفيهوزراءخارجية امريكا وفرنسا وبريطانيا من وقت لاخر دون اشراك شريكتهم المانيا الغربيه ، ومن جهة اخرى وجدوا اخيرا انهم لايمكن ان يقفوا على قدم المساواة مهماكانت الامور الااذا اتخذوا قرارا بشأن هذاالصدد •

وهذه الثلاثية التى كانت نظرية بحتة تحولت الى أنأصبحت خطة عملية والفضل فى هذا يرجع الى مؤتمر جنيف الذى خلقه عادة مناقشة المشاكل المختلفة التى تظهر فى الافق بين الحلفاء الثلاثة على أسس الصداقة والمودة الحقيقية .

ووجد الجنرال ديجولفيهذاشعورا بالرضى • وحدثت تقدمات عظيمة فى خطة التعاون السـياسى التى شملت مشاكل مختلفه مثل مشكلة لاوس والبت ونزع السلاح ، وبيع الاسلحة لتوس •

وقامت دراسة منظمة فى واشنجتون فى يناير سنة ١٩٥٩غرضها دراسة السياسة الغربية فى بلدان العالم المختلفه ، وكان القائمونبهذه الدراسة مجموعة صغيرة اختارها المستر دالاس بنفسه وكانت تحتوى فى نفس الوقت السفيرين الفرنسى والبريطانى ووكيل وزارةالولايات المتحدة وبعض الخبراء الذين كانمن اللازماستشارتهم.وقدقضى المستر داريدان شهرا فى العاصمة الامريكيةوكانالمستر داريدان حينذاك مديرا عاما للشئون السياسية لـكواى دى أورسى .

واستطاع خلال هذاالشهر أن يناقش مشكلات الشرق الاقصى مع هذه اللجنة ، ثم جاء بعد ذلك المستر لويس جوكس وناقش مشكلات أفريقيا .

أما عن هذه المسألة الأخيرة فقد ملكت قلب الجنرال ديجول ورئيس وزرائه اللذين كانا دائما ماتثور ثائرتهما لمواجهتهما بقيادة انجليز أو أمريكيين . وكان يبدو أن المبدأ الاساسى هو التعاون المحدود فى مجال السياسة لافريقيا السوداء ذلك مع استثناء أى قيام بعمل فردى ، وكذلك اتخاذ أى قرارات يمكن تفسيرها بأنها تعنى تحويل الخطة العامة الأفريقية الخاصة بالحرب من أجل فرض النفوذ الفرانكو - بريطانى والذى من شأنه أن يؤدى الى جر الحلفاء الى تحطيم الشرق الادنى . ولقد قسر اعتراف واشنجتون ولندن السريع بجمهورية غينيا ورحلة المستر سيكوتورى الى أكرا واعلان قيام ولاية متحدة افريقية ، فسرت كل هذه الاشياء فى باريس على انها برهان على محاولات الانجلو ساكسون بابدال نفوذنا بنفوذهم ، كما انهم بدوا انهم أرادوا أن يفعلوا ذلك فى تونس ومركش أضف الى ذلك انهم أرادوا فرض هذا النفوذ كذلك فى الهند الصينية حينما كان بعض الامريكيين يغطون في نوم عميق .

أما اذا انتقلنا الى الشاطىء الآخر للقارة السوداء فقد أقلقت المساعدات التى بذلتها بريطانيا من أجل مشروع الصومال الكبير حكومة أرادت أن تحتفظ بمساعدات الجيوش وكذلك الاحتفاظ بالعلاقات

الطيبة بين أثيوبيا ودول الغرب تلك العلاقات التى مازالت قائمة حتى الآن .

ومن ذلك الوقت تحققت تقدمات عظيمة فى باريس وأصبحت مملوسة الى حد كبير. وذلك بفضل الطرق التى اتبعتها واستخدمتها (وزارة المستعمرات) فى تهدئة الخوف الذى أثارته المتملكات البريطانية فى أفريقيا ، وذلك بقيامها بتجارب ذرية فرنسية فى الصحراء .

المحافظة على الجزائر

ولقد كان من الطبيعى أن تشغل المشكلة الجزائرية بال الكثيرين من رؤساء الحكومات الفرنسية الذين جاءوا تلو بعضهم . وهذا ماحدث كذلك أيام حكم الجمهورية الرابعة ، فقد توقفت على المطالبة لمدة قصيرة لضمان أصوات الحلفاء فى جانبها وكان الالتجاء الى مقدرة الجنرال ديجول مغيرا للجو المحيط كلية ويرى أمامنا كثيرا من شركائنا وكأنهم هم الاشخاص الوحيدون القادرون على جعل أوطاننا وكذلك الجزائريون المتطرفون فى تقبل التطور الحر الذى لولاه لما كان من الممكن أن يجدونا الامل ولو لدقيقة واحدة فى توقف اراقة الدماء . وقدى قوى ودعم هذا الأمل بل وغسل رئيس فرنسا الحديث من كل شك نحو الاتجاه الاستعمارى بالاخماد السريع للصراع الذى قد أثارته مشكلة ساقية بن يوسف فى تونس ، والعلاقات الطيبة الكريمة

التى قامت بين فرنسا وملك المغرب وخلق تطور سريع شمل المجتمع اجمع، والاعتراف باستقلال غينيا والكونجو والكاميرون. أضف الى ذلك ان اصدار قانون الكليات الموحد وطلب ايقاف النار فى الثالث والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٨ قد أثار كثيرا من العطف على الحكومة .

ولم تكن الولايات المتحدة تعتقد فى ذلك الوقت بوجوب استدعاء مندوبيها فى الأمم المتحدة لكى تحثهم على اتخاذ موقف مضاد لقرار اتخذته الدول « الافرو آسيوية » وكانت فرنسا تعارضه تماما . وكان من نتيجة هذا العمل أن أرسل الجنرال ديجول شكوى بشأن هذا الموضوع للمستر دالاس وقد ترتب عليها زيارة هذا الأخير لباريس سنة ١٩٥٨ ، ومنذ ذلك الوقت وهو يعمل بنفسه على تطوير النظام الذى أدى الى تطور سريع فى مجرى الأمور لدرجة ان الولايات المتحدة وجدت نفسها مشغولة الى حد كبير وواقفة فى جانب فرنسا . ولكن فى واشنجتون فقد ثبتوا على رأيهم بالرغم من الشكوك الكثيرة التى كانت تتوائب فى كل مكان ، تجاه جميع النتائج المحتمل وقوعها كنتيجة لتهدئة ما أثارته «الربع ساعة الأخيرة » بدون توقف . ولكن أثبتت الأشهر التى تلت ذلك أن جبهة التحرير الجزائرية قد لحقت بقطار القوة السياسية ما فقدته بقطار القوة الحربية .

وهذا هو ماجعل الجنرال ديجول يوجه نداء مباشرا طالبا العون الأمريكى فقد أعطى للرئيس ايزنهاور باكورة أخباره العظيمة فى المكتب المجاور لمكتبه الموجود فى «الايليزيه» ذلك فى الثانى من

سبتمبر سنة ١٩٥٩ . ثم انشغل بعد ذلك بعدة أيام باستشارة الجزائريين أنفسهم فى تقرير مصيرهم وذلك بأن خيرهم بين وجهات ثلاث وهى : الاستقلال ـ التفرنس ـ الاتحاد ـ وكان بالنسبة له الحل الثالث هو الشىء الذى يرجوه، كما انه بدا بالنسبة للامريكيين على أنه أنسب وأعقل حل والذى شجعهم على الايمان بهذا الحل الأخير هو المكتب المضاد للاستعمار والذى أقنعهم بأن القرن العشرين هو قرن تحرير الشعوب الواقعة على الشاطىء الآخر من البحر الأبيض المتوسط ولكن الخوف كل الخوف هو أن يصبح فى المغرب منطقة فراغ بعد رحيل الفرنسيين عنها تستطيع أن تجنى من ورائها الشيوعية الثمار التى تريد أن تجنيها وذلك بتسللها خلال هذا الفراغ على حساب فرنسا . ومن ثم استطاع « آيك » أن يوافق بصراحة على رأى مضيفه وأن يتعهد له أخيرا بالمساندة السياسية الكاملة تلك المساندة التى حاولت حكومات فرنسية كثيرة الحصول عليها من قبل ولكن ذهبت مجهوداتها أدراج الرياح ولكن كان الثمن لذلك هو تنازل فرنسا عن شىء تضمنته هذه المساندة ، وهو أنه منذ تلك اللحظة فصاعدا لم يصبح فى مقدور فرنسا اتخاذ أى قرار داخلى كلية . وكان من الصعب جدا التظاهر ولو لمرة واحدة انه كان من السهل حصولهم على موافقة صريحة على أى قرار تتخذه فرنسا وتطلب من واشنجتون ولندن وبون وروما الموافقة عليه ، الا بعد امعانهم النظر فى مثل ذلك القرار وهذا ما حدث بالفعل فى شأن القرار الذى اتخذته فى السادس عشر من سبتمبر سنة ١٩٥٩

جوا أكثر تفاهما

أعطى مجيء الرئيس أيزنهـاور الى فرنسـا الفرص للجنرال ديجول بأن يعرض عليه آراءه بشأن قيام تعاون مشترك بين الدول الثلاث على قدم المساواة •

والآن فلنعد ونذكر جو العداء الذى كان قائما بيننا وبين الدول الأوروبية •• ونستطيع القول فى هذا الصدد بأن هذا العداء قدافتقد شيئا من لذاعته وحموضته فى فترة العداء نفسها فالأغلبية الساحقة التى قامت على أكتافها حكومة أنتونيوسينى فى روما أعطته الفرصة فى أن يرى الحبيب الحقيقى ذلك لانه كان أقل انفعالا من سلفه . أضف الى ذلك أن حكام الجمهورية الخامسة فى فرنسا اتخذوا الخطوات الاولى نحو تحقيق الصداقة بينها وبين الحكومة الايطالية ، فأصبحت بذلك الدولتان أكثر قوة وصداقة من تلك العلاقة القائمة بين باريس وبون. وقد تم الاتفاق على هذا النوع من العلاقات فى شبه الجزيرة التى قام رئيس الحكومة بأولى رحلاته اليها منذ رياسته لمجلس القضاء العالى . أما من جهة ألمانيا فمن المؤكد أنها مازالت تزن الأحداث ـــ الجارية بشيء من الحذر والتردد . ولكن رئيس الوزراء حدد ثمنا للعلاقات الودية مع فرنسا حتى يكف عن اصداره أى حركة من شأنها أن تحد وتضيق العلاقات بين فرنسا وألمانيا بل والدفاع عنها أمام الرئيس ايزنهاور وبالرغم من ضخامة وعظم معاضدة الأعضاء الآخرين الداخلين فى منظمة حلف شمال الاطلنطى الا أنهم لم يستطيعوا أن يكونوا بالنسبة لواشنجتون ولندن قوة

دافعة كافية لمعارضتهم للرؤساء المقيمين فى « الايليزية » .

والحق يقال انه بالرغم من انقضاء أشهر طويلة فى تبادل وجهات النظر وارتقاء درجات مختلفة فى مسالك المدارك الفرنسية فقد كان القادة الامريكيون بعيدين جدا من أن يروا بوضوح مقاصد ماترمى اليه سياسة الجنرال ديجول . فهم كما يقول .. نصحاؤهم يسمعون دقات أجراس مختلفة تمام الاختلاف ، ذلك لأن رئيس وزرائهم كان يميل دائما الى ايضاح وجهات نظره عن طريق التهديد بينما كان القائمون بالسياسة عندنا يحاولون دائما التوفيق .

وهذا هو أحد الأسباب التى دعت رئيس البيت الأبيض الى أن يعد علانية عن عزمه عقد محادثة صريحة خاصة بهذا الموضوع مع الرجل الثامن عشر من يونية وذلك ــ قبل عودته للمستر خروشوف الى الولايات المتحدة الامريكية وكان غرض رئيس البيت الابيض فى ذلك هو تصميمه على معرفة مدى رضاء البلاد الواقعة فى الناحية الاخرى من ــ الاطلنطى على مدى سلطتها ونفوذها الذى كثيرا ماكان يشك فيه ويحاول البحث عن وجوده ، راميا وراء ظهره مدى مساهمة الاقترلحات الفرنسية فى المشاكل الحقيقية الموجودة فى العالم الغربى .

ومن هذا نرى أن التفكير كان مقصورا على ميزان القوى الادارية المسيطرة وليست مقتصرة على المشاكل العملية ومن ثم كانت

التفاصيل التى استغرقت عدة ساعات فى مناقشتها مقتصرة على نصها وذلك لحتمية ترجمتها وتفسيرها .

والأكثر من ذلك هو أن رئيسى الحكومتين لم يستطيعا الا الى الوصول الى نتائج عامة ، وهذا هو ماوجدناه فى المنشور الصادر عقب محادثاتهما .

- لقد وصل رئيسا الحكومتين الى فحص الوسائل للوصول الى نظام أفضل للتعاون بين البلدين داخل اطار المجموعة العالمية ، ذلك مضل تقدم وتطور الاستشارة المتبادلة الخاصة بجميع المشاكل الاساسية سواء منها السياسى أو الحربى .

وكان بمثابة ارضاء جزئى لمطالب الجنرال ديجول الذى حصل على وعد فى ذلك الوقت على تطور وتقدم المشـــاورات وامتدادها الى الناحية العسكرية التى كانت تسعى اليها الحكومات الفرنسية منذ أمد طويل دون جدوى .

وكان كل ماوافق عليه الامريكيون حتى تلك اللحظة ماهو الا أشياء محدودة ولذلك وضع أعضاء حلف شمال الاطلنطى قبعاتهـــم الاطلنطية جانبا حتى يكونوا منظمة خاصة غير رسمية تقوم بدراســة بعض المشكلات على أسس افتراضية كلية .

ولكن هل سيستمر هذا الوعد حتى يتم اعداد خطط شاملة لحالة الطوارىء بحيث يمكن تطبيقها فى حالة نزول احدى الكوارث التى قد تندلع نيرانها هنا أو هناك ان هذا صعب على العقل أن يتقبله .

ومن الآن فصاعدا فانه قد بات واضحا جدا للامريكيين انهم متأكدون كل التأكيد ان الجنرال ديجول لم يستخدم حق الفيتو فى تحـــديد الأماكن التى لن تستخدم فيها القنابل الذرية ذلك لأنه وعدهم استشارتهم مهما كان اتجاه دفة الأمور قبل اتخاذ أى قرار نهائى . ولكننا اذا ما أخذنا فى اعتبارنا التهديد السوفيتى الدائم للسلام العالمى فان هذه الحكومة ستبدو ـ وشكرا لله انها ستبدو هكذا ـ مجرد نظرية لا أكثر ولا أقل .

وكان من نتيجة هذا قيام صراع بين كل من الفريقين لاثبـات مدى قدرتها ومن ثم لم يتم أى تقدم يذكر اللهم الا تكوين منظمة للدول يقوم فيها صراع تحاول كل منها فيه اثبات مدى كمالها ومقدرتها .

الفصل السادس
الصراع من أجل الكمال

انه لمن لعنة الشيطان وارادته المشئومة أن تذوب المسئولية العالمية وتتحلل بين يدى منظمة عالمية عامة ، اننا فى الحقيقة لانداقع فى هذه اللحظة عن ارادتنا الشخصية فى الدفاع عن أنفسنا بأنفسنا ، هذا هو ماقاله المسيو موريس كوف دى مورفيل فى قاعة الغذاء التى دعا اليها الجنرال نوستاد فى الثالث والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٨ لتناول غدائه بدعوة من الجمعية الفرنسية القائمة بشئون المجموعة الاطلنطية ولم ينس فى تلك اللحظة أن يلقى وزير خارجية بريطانيا بعبارته الواهية التى يتميز بها كل ذى مكر ودهاء . لقد قال القليل ليعنى به الكثير. فهذه العبارات القصيرة تبدو فى مظهرها وكأنها دواء ملطف، ولكنها فى الحقيقة قد أوحت بمفهوم الى اعادة أحد الأوضاع الرئيسية التى يقوم عليها حلف الأطلنطى الى مكانها .

وقد وصلت الشعوب الأوروبية الى هذه النتيجة بعد أن تولدت لديهم فكرة الشعور بالعالم ككل وهو ماتسميه «اسمى من الجنس» أنها شعرت خلال الحروب العالمية بضعف حدودها السياسية ، ومن هذا

فهمت أنه فى حالة ظهور نجوم ساطعة لها عظمتها فى المجال العالمى فان التحية التى يجب أن تقابل بها لايجب أن تكون المنافسة والمقاتلة بل يجب أن تكون الوحدة والاتحاد ـ أضف الى ذلك ان سير الولايات المتحدة نحو الاتحاد مع الدول الأوروبية كان يقابل بترحيب الامريكيين الذى كان يعضده ويسانده مواثيق الدول التى كانت تقوم بالحرب من أجل الاستقلال .

ان نظرية التكامل قد استسقيناها من علم الرياضيات ولا يوجد الا شخص واحد لايؤمن بها وهو فرحات عباس الذى يقول ان ذلك الوقت مازال بعيدا جدا حتى تطبق هذه النظرية فى حل المشكلة الجزائرية . فالتكامل بمعنى التجاوز عن النطاق القومى بالتنازل عن بعض مسئوليات الدولة لهيئة جماعية .

عام أوروبا العظيم

كان عام ١٩٥٠ هو عام الكمال والوحدة بالنسبة لأوروبا . ففى التاسع من مايو ألقى المستر روبرت شومان الورقة المفحمه من يده ، وفى الرابع والعشرين من أكتوبر من نفس السنة أرسل المسيو رينيه بليفان وزير الدولة حينذاك أجابته على التوسلات الأمريكية باعادة تسليح ألمانيا وقد حملت تلك الاجابة اسمه اذ قال فيها ـ ان الحكومة الفرنسية تعتقد ان تحقيق قيام مصلحة مشتركة سيسمح لأرواحنا بالتعلق بفكرة قيام مجتمع أوروبى لاتقف الا مشكلة

واحدة فى وجهه وهى الدفاع المشترك ولكن الاحداث العالمية (وكان يعنى مشكلة كوريا) لاتسمح له الآن .. بتحقيقهــا ولكن الحكومة الفرنسية تؤمن كل الايمان بمصير السلام الشامل الذى سيعم اوروباوشعوبهابوجوب يكفل لجميع الشعوب الاوروبية شعورامن الأمن الجماعى ولذلك فهى تقترح حل هذه المسألة بطريقة واحــدة وروح مشتركة واحدة .

وبعد مرور ثلاثة أيام عرض وزير دفاعه مسيو جول موش عـلى مجلس حلف شمال الاطلنطى المجتمع فى واشنجتون حينذاك مشروعا هاما وعظيما ، وكان هذا المشروع يدل على ادراك سليم واستيعاب شامل للموقف ولم تمض سنة واحدة حتى تكون جيشه الذى يبلغ مائة ألف من الرجال ذوى جنسيات مختلفة كلهم جاءوا ليكونوا جيشا أوروبيا موحدا على مســتوى آلاى عســكرى . لأنه لايجب أن يقوم فى ألمانيا ولو فصيلة واحدة متجانسة ، ولاوزير دفاع قومى ، ولا أركان حرب عام .

ولكن فى الحقيقة لم يكلل هذا النظام بالنجاح عند حلفائنا ، لأن كثيرا منهم تمسك بمبدأ سيادة القومية وكثيرا منهم راودتهم الشكوك فى مدى فاعلية جيش غير متجانس كهذا . ولم تكن المعارضة أقل قوة ولا حيوية فى فرنسا نفسها . فقد نقل الجنرال ويجاند مشاعر الغالبية العظمى من رؤسائنا المحاربين فى أحد المقالات المدوية فى مجلة « لاريفى دى ديه موند » اذ قال ان الجيش الأوروبى كان يعتقد

فى حرمان الجيش الفرنسى من العضوية ودفع فرنسا الى هجرها السياسة التى تنتهجها والتى تشكل خطورة كبيرة » .

وهذا هو ماحدث كنتيجة لذلك ، اذ أجاب أحـد الدبلوماسيين لفرنسيين بطريقة حية تحت عنوان «وحدة القواعد العسكرية» صدق فيها رسميا على خلق فصائل حربية المانية، بل وانه طالب كذلك بامكان قيام جيش المانى متجانس بناء على طلب منظمة حلف شمال الاطلنطى ، على شرط الموافقة الاجماعية لقيادة حلف شمال الاطلنطى على هـــذا القرار . وكان نتيجة لذلك التقهقر أن ظهر حزبا مضادا للحلف من بينهم سبعة من أعضاء الحكومة التى أخذت الخطوة الأولى فى هـــذا المجال. وخوفا من أن يخفق المسيو شومان والمسيو بيدو فى مشروعهما فانهما لم يجرؤا على تقديم نص هذا المشروع للبرلمان من أجل الموافقة عليه وعلى ذلك تركوا مهمة التفريغ فى يد منديس فرانس الذى خلفهم حينذاك والذى أصبح مسئولا عن رفض هذا المشروع .

ومع ذلك فقد أوضح الرئيس الجديد للحكومة ان قيام اتفـــاق يعتبر شيئا أساسيا لدرجة جعلت الوزراء الذين كانوا معادين لقيـــادة الحلف يتركون حكوماتهم ــ الذى رغب فى أن يطول مكوثه فيها ــ ولكن سير الاحداث الذى تم بعد ذلك فى بروكسل والذى أعطى للمستر فوستر دالاس حينذاك لقب « ســوبرمان » جعـل من المستحيل الموافقة على قيام مثل هذا الاتفاق .

وكان من المعترف به ان رفض الجمعية الوطنية فى الثلاثين من

أغسطس سنة ١٩٥٤ التصديق على الاتفاق الذى وضعته القيادة العامة قد اعتبر ضربة موجهة نحو سياسة التكامل لا قيام من بعدها . وفى الحقيقة ، فانه لا يوجد فى أوروبا سوى المتطرفين الذين يريدون وضع المحراث أمام العجول وكان ذلك اليوم هو يوم دفن سياستهم كلية . وبعد ذلك بعدة أيام حدد رئيس مفهوم سياسة التبديل وكان موفقا فى تعريفه وتحديده ، وكان ذلك فى احدى خطبـــه التى ألقـــاها فى ستراسبورج فهذه السياسة كذلك كانت قائمة على التكامل والاتحاد ولكن اتبع فى تحقيقها طرقا أخرى ففى حقل العمل الفنى كانت تندفع بقوة دوافع مختلفة أما فى حقل العمل السياسى فقد كان يدفعها دستور مجلس الوزراء الأوربيين الذى أخذ فى جانبه أغلبية الأصوات فى أكثر الحالات ـ وعلى ذلك خاطرت الحكومة بموافقتها على قرارات لم تشترك فى وضعها .

اتفاقات باريس

وكانت تلك المفاهيم التى مرت بنا هى القاعدة الأساسية لاتفاقات باريس التى وقع عليها فى الثالث والعشرين من أكتوبر سـنة ١٩٥٤ والتى تم التصديق ـ عليها فى مدة أقل من ثمان شهور من ذلك التاريخ فاتحاد غرب أوروبا الذى ـــ أوجدته الدول الأوروبية يشتمل فى الحقيقة على نظام تصويت أكثر تعقيدا أكثر من ذلك النظام المتبع فى مجلس وزرائه . فهو يطلب لحل مشاكله بالتصويت الجماعى الذى تشترك فيه الأغلبية العظمى أو على الأقل ثلثا أعضائه . وقد تناسب

وقت تكوين هذا الاتحاد مع ذلك الوقت الذى اتخذ فيه مجلس وزراء حلف شمال الاطلنطى قرارا يقضى بما يأتى :

(أ) الاحتفاظ بتكامل ووحدة القوات الجوية وتكتيكهـا على مستوى جيش .

(ب) وبما هذه القوة العسكرية قد أعطيت القدرة على الاتحـاد والتحمل فى وقت المعركة وبما أنها أعطيت كذلك القدرة على حماية المنظمة بدرجة جيش فان تكامل هذه الفرقة والفرقة الجوية التى تقابلها يجب أن تخضع لنظام واحد وعلى الأخص يجب تكوينها من جميع الجنسيات التى تعمل فى قطاع واحد وتكلف بالدفاع العام بحيث لا يكون هنـاك أى اعتراض مطلق بحقوق قيامها بأعمالهـا من الوجهـة العسكرية .

(جـ) وفى جميع الأحوال التى تسمح فيها الأحوال العسكرية فانه يجب أن يؤخذ فى الحسبان ان امكان ادخال قوات مساعدة بنسبة قوتين احداهما أرضية والأخرى جوية بحيث يعضدان هذه القوة الى أقصى درجة ممكنة .

وأهم مايلفت نظرنا فى هذا القرار هو أنه كان من صنع مجلس حلف شمال الاطلنطى ولم يكن أوروبيا بحتا . وهناك سؤال آخر هل سيقتصر اطار هذا التكامل والاتحاد على الأعضاء الستة أم أنه سيشمل الأعضاء السبعة المشتركين فى اتحاد غرب أوروبا أم أنه سيمتد ويشمل أعضاء حلف الاطلنطى أجمع . أضف الى ذلك أن جميـع

القرارات التى اتخذت فى ذلك الوقت كانت تأتى بناء على طلب فرنسا وكانت ترمى الى زيادة قبضة القيادة العامة على القوات العاملة تحت أمرتها وكان الهدف يرمى الى ثلاث وجهات • أولها اعادة تأكيد ما ارتأوه في اتحاد المجموعة الأوروبية فى الدفاع واعتبارها الطريقة الوحيدة التى تدور حولها الديناميكية العسكرية الالمانية وعدم السعى فى ايجاد أى عرقلة لعمل هذه الديناميكية فى القوانين الجديدة التى اتخذوها وثانيها الاجابة على ما أدلى به أركان حرب الجيش الذى حكم على القوة العسكرية القومية بأنها خطأ تاريخى فى قرن يسمى قرن الطائرات الأسرع من الصوت . وثالثها ايضاح للاعضاء بأن الاعتماد على سياسة اسمى من الجنسية (عالمية) لايعنى ادارة ظهورهم الى مبادئهم .

ولسوء الحظ بقى جزء كبير من التنظيمات المتخذة فى الثالث والعشرين من اكتوبر سنة ١٩٥٤ أشبه بالميت • وقد حدث هذا على وجه الأخص بين من نيط بهم انتاج الأسلحة الحربية اذ اعتقدوا فى فكرة « الميت الحى » » للمجموعة الأوروبية المشتركة فى الدفاع، فحتى الوكيل الموكل اليه الاشراف على انتاج هذه الأسلحة لايوجد اليوم الا مجرد اسم على ورق • فتأخر المانيا فى الوصول الى الحد المرسوم لها فى مجهوداتها العسكرية أعطى لها فورا كل حق فى الاعتقاد بأن رسالتها هى عدم اختراق الحواجز التى أقامها لها البرنامج الموضوع •

وفى الحقيقة فان تكامل القوات واتحادها هنا لم يتحقق فى اى
وقت كان اللهم الا فى الناحية التشريعيـــة فى تكوين فرقة أقل من
لا ولى وضمها الى الوحدات العســكرية وكذلك فى المواصـــلات
ووسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية ، والمؤن) وأخيرا فاننا نرى
أن جميع المجهودات التى بذلت لاستبدال اتحاد غرب أوروبا فى أوربا
باتحاد الست دول وجعلهم كحقيقة سياسية أساسية أوروبية ، قد أخذ
لطمة شديدة من جانب الدول فأسكتته فى مهده . واليوم فان اتحاد
غرب أوروبا موجود بكل تأكيد ويجتمع مجلسه مرات أكثر من تلك
التى يجتمعها مجلس حلف شمال الاطلنطى وقد حقق الكثير لدوله ،
وفى الحقيقة فاننا لن نكتب شيئا لهذا الاتحاد يذكر به أكثر من اشتراكه
فى منظمة الاستفتاء الشعبى الذى يرجع تاريخها الى التاريخ القديم .

ففكرة الاتحاد والتكامل الأطلنطى قامت بتقدم كبير من الناحية
العملية لم يسبق مثيله فى تاريخ التحالف بين الدول الديمقراطية
فى وقت السلم .

ولكن المشكلة هى ان قيادة أركان حرب هذا الجيش تتكون من
شخصيات عسكرية ذات جنسيات مختلفة ، ولذلك فانه لم يبق أمامنا
شخص واحد يشعر بالمسئولية العليا للدفاع فى قيادة نيطت رئاسة
الدفاع فيها الى قائد أمريكى يساعده فى ذلك ملحق انجليزى ويعمل
تحت امرته قواد مختلفو الجنسيات فى مسرح العمليات الأوروبية
وأهم فرق هذا الجيش وهى تلك الفرقة الموضوعة فى وسط أوروبا

والتي تتكون من أحد القادة الفرنسيين وفرقه العسكرية التي تكون أكبر جزء في حقل المعركة الغربية ، تخضع لأوامر أحد القادة الألمان .

الاعتماد المشترك

خلال تلك السنوات الاخيرة كان قادة الحلف متجهين نحو تطوير سياسة الاتحاد والتكامل هذه لأنهم اعتقدوا بأن هذا التكامل الفني يتساير مع مقتضيات العصر وكذلك مع روح حلف من المقدر له في نظر مؤسسيه التحول الى مجتمع حقيقي ملموس وليس حقيقة نظرية ولم تتوقف هذه الفكرة عن اللحاق بقطار عصرنا الحاضر حيث الصراع الذي لانستطيع تجنبه ، وحيث المنافسة بين الدول التي لم يعد لها معنى ولا مغزى ، فالقضاء على هـذه الأشياء هو ماينقص فكرة «الاعتقاد المشترك» تلك الكلمة التي استخدمها لأول مرة الرئيس ايزنهاور والمستر ماكميلان عند مقابلتهما في برمودة في أكتوبر سنة ١٩٥٧ حيث كانا يرأسان أعمال مؤتمر أقطاب حلف شمال الاطلنطي الذي اجتمع بعد ذلك في ديسمبر من نفس السنة في قصر « شايو » .

وقد حدد رئيس حكومة الانجلو ساكسون مغزى تلك السياسة في بيانها المشترك بأنها ، التعاون الحقيقي ووضع ثروات دول الحلف المختلفة تحت امرة واحدة ، والاشتراك في الرأي في النواحي المختلفة

التى تستطيع الدول الحرة أن تضمن تقدمها فيها وسلامتها .. وفى الحقيقة فان وضع الثروات المختلفة تحت امرة الحلف كان قراراجميلا جدا ، ولكن للأسف فانه لم يتحقق وينفذ تماما حتى وقتنا الحاضر ، ويجدر بالولايات المتحدة ، ان تقدر ضخامة المعونة العسكرية والاقتصادية التى قدمتها لحلفائها الأوروبيين فهل يعلمون أن فرنسا قد أخذت من واشنجتون منذ انتهاء الحرب حتى الآن مايقرب من ٥٠٠٠ مليار فرنك ؟

أما عن تبادل وجهات النظر والآراء فانه من الواضح جدا انهم أقاموا تنظيما جيدا وتفكيرا حديثا بحيث تكون الناحية العسكرية تساوى جميع النواحى الأخرى المخصصة للأعمال القومية . ولكن فى كلا الحالتين ، فان حتمية النفاذ .. والمقدرة ، فان بعض الأعمال الرئيسية كثيرا ماتأخذ بعض المعضدين جانبها وهذا بالطبع كثيرا مايصطدم بأشياء كثيرة أخرى قد تكون أكثر أو أقل أهمية ـ ألم تسر اشاعة مدوية لوقت قصير بأن حلف شمال الاطلنطى سيطلب من فرنسا أن تتنازل عن أسطولها ، وبالرغم من ذلك فان النتائج التى جنوها كانت بسيطة للغاية فيما عدا فى الناحية الخاصة بانتاج الأسلحة أضف الى ذلك ان الاتفاقات الأساسية ـ التى اتخذت بشأن هذا الموضوع لم تتخذ فى محيط الحلف الاطلنطى ككل بل اتخذت بين فرنسا وايطاليا وجمهورية ألمانيا الفيدرالية

ولم تر الجمهورية الخامسة أي سبب لهذه الاتفاقات ، وعلى ذلك حصل مسيو شابان ديماس على موافقة الجنرال ديجول التامة بعد مفاوضاته مع وزير دفاع الجمهورية الخامسة على استمرار النظام الجديد فى نفس ذلك الاتحاد ، ذلك بالاضافة الى خلق شركة أوروبية منتجة للصاروخ « هوك » .

وقفة الجنرال ديجول من أجل الاتحاد

اننا اذا نظرنا بامعان الى معنى الاتحاد والتكامل فاننا سنجد أن نفس هيئة تكوين القوى العسكرية لاتحمل هذا المعنى فقد كانت الأقطار تبادل وجهات نظرها السياسية فى نفس الوقت التى تخلقها فيه . ولذلك فانهم لم يغفلوا وجهة نظر رئيس فرنسا الحرة . فقد اتخذ موقفا مضادا لقيادة الحلف فى مؤتمره الذى عقده فى الخامس من يونيو سنة ١٩٥٢ والذى أعلن فيه « بمجرد أن تهزم المانيا وايطاليا فجب على فرنسا أن تلقى برجالها وأسلحتها ونقودها فى خليط ثلاثى وقد نزل عليها هذا الانحطاط تحت اسم المساواة فى الحقوق والذى بعا له اشتهرت المانيا بعد امكان امتلاكها أو اعادة تكوينهــا لقوات عسكرية .

ومن المفهوم أن فرنسا هى الدولة الوحيدة التى افتقدت جيشها من بين جميع الدول العظمى التى تمتلك اليوم جيوشا كبيرة .

وبعد أن أصبح رئيسا للمجلس ثم بعد ذلك رئيسا للجمهورية فقد قدر رجل الثامن عشر من يونيو اختيـار الشعب الفرنسى واتخاذ آرائه فى الأمور الأوروبية . ولكنه لم يسحب كلمته ثانيـة بخصوص صيغة الاتحاد الذى يجب أن يكون أوروبيا أو اطلنطيا .. أو فرانكو ـ جزائريا ، فقد عرض كثيرا من نقاط الضعف أمام الشعب العظيم ولكن بالرغم من هذا فان رأيه هو المسموع من بين رؤسـاء العالم . فتبعا لرأيه يعتبر النظام القائم حاليا سيئا للغاية لأنه ينزع من رءوس جنوده السبب الأول الذى يخوضون المعركة من أجله الا وهو خدمة الوطن .

ولما كان متخوفا من أن يقف وجها لوجه مع المنظمة العالمية وبما يفعله أمام حلف الاطلنطى والامم المتحدة ، اتجه الى الانتقام من الحلف الغربى من ذلك الاتحاد الذى يضم جميع الدول الواقعة بين جميع بحار العالم وقاراته ومن هؤلاء الذين ورثوا الرثا واحدا من الحضارة من حلف يقوم على المساواة تبعا للاسس التقليدية القديمة تاركا مجلسا للقيادة ليس موحـدا بل متحالفا لينظم شئونه المختلفة ومقسما بالتساوى بين الدول الكبيرة .

وكان من الواضح أنها ليست ثمة مسألة للدخول فى بناء نظام مختلط يقضى باطاعة أوامر ضباط أجانب يخضعون لنظم وقاعدة مناقضة للتقاليد القومية العظيمة، يحفظنا من قوة التغيير ولكنه لا يعدنا

فى أى حالة لاى شيء جديد من شأنه أن يخلصنا من زيادة السلطة القومية كلية كانت أو جزئية على قواتنا الحربية •

أسطول البحر الابيض المتوسط

لقد صدر قرار الجنرال حول الاسطول الفرنسى فى البحر الأبيض المتوسط بطريقة رمزية • وبالرغم من هذا فان هذا القرار لم يدع كاملا فى حين أن الحلفاء لم يجدوه مناسبا ولا حتى مقبولا عندهم •

ولكن : مما يتكون هذا الاسطول : انه يتكون من حاملة طائرات ومن اثنى عشر طرادا يبلغ حمولته ٣٠٠٠٠ طن من السفن ومجموع هذه السفن تدخل ضمن نطاق الاسطول البحرى الفرنسى فى البحر المتوسط • وسيوضع هذا الأسطول فى وقت الحرب تحت امرة القيادة العسكرية لحلف شمال الاطلنطى الموجودة فى « زوكشكور » والقرارات الفرنسية تتفق تماما مع تنظيمات الحلف وليس مع زوجه ذلك القرار الذى يشتمل على اخبار السلطات المسئولة بأن الاسطول الفرنسى سيبقى فى وقت الحرب تحت قيادة قومية .

ولم تثر الحكومة عجب الدول حينما فسرت الاسباب التى دعتها الى اتخاذ هذا القرار • وأول هذه الاسباب وأهمها هو حاجتها الى عقد صلات دائمة مع أفريقيا الشمالية ، وبهذا استطاعت اقناعهم لان حرب الجزائر لم تعد مجرد مناقشات كما أن القوات المستخدمة

فى الحرب فى تلك الجبهة فمن المقدر لها ان تبقى سائرة وراء العام القومى •

والآن بقى أمامنا بدون شك تفسيران آخران متممان لسابقهما وأولهما وهو رغبة الجنرال فى حالة غزو العاصمة امكانه الانتقال هو وأقل عدد ممكن من القوات الى الجزائر ومعه خاتم الدولة حتى يتفادى وقوع حوادث مثل تلك التى حلت بالدولة سنة ١٩٤٠ وثانيهما شن حملة من التبويخ ضد تأييد استرداد الاشياء التى لم يقدم عهدها بعد . وهذا العمل يعتبر عملا رصينا من جانب فرنسا ومعارضتها لجميع الاشياء الجديدة التى ترمى نحو التكامل ، ورغبتها فى أن تصبح فى أسرع وقت ممكن مشتركة فى اتجاد ذى شكل مبسط •

وكان الجنرال نورستاد هو أول من تفوه بهذه المواضيع الدقيقة ••

ألم يعلن الكونجرس الامريكى فى السادس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٩ ان تلك السفن لاتميز بين الليل والنهار ، وانها لاتؤثر بالمرة على القوة الدفاعية للحلف ولكن أليس ميزان تلك القوة الدفاعية مزعزعا جدا لدرجة أنه مهدد بالخوف اذا مافتقد تلك القوى الصغيرة ، ان هذا هو مبدأ تجاهل الأشياء الهامة • ومنذ ذلك الوقت والمفاوضات لم تنقطع للوصول الى اتفاق عن طريقة الدفاع عن البحر المتوسط •

ولم يكن قرار الانسحاب هو القرار الوحيد بل كان هناك قرار آخر برفض اقامة قواعد للقذف وكذلك بتخزين الاسلحة الذرية ، لان موقف فرنسا تجاه تلك النقطتين كان يعتمد على شروط معينة . وهى لو أن القيادة الثلاثية المشتركة التى يتخيلها ديجول رأت الموافقة على ذلك فانه سيقبل كلا المشروعين لان معارضته لها ليست من نوع تلك المعارضة التى يشنها ضد التكامل والتوحد فى تكتيكات الدفاع الجوى الذى طالبه به حلف الاطلنطى بصورة شبه اجماعية لان الجنرال ديجول فى الحقيقة يسير فى طريقه ورأسه ممتلىء بمفاهيم ومدارك أساسية . فشمس فرنسا وأرضها يجب أن تحميها الطائرات الفرنسية . أما اذا وضعها تحت قيادة عالمية مشتركة أى أجنبية ، فانه يخاطر بذلك بأن يرى جنرالا ذا جنسية يفضل الدفاع عن بلاده الاصلية تاركا سماء فرنسا خاوية لاشىء يحميها ذلك لان الجنرال ديجول حين طالب بحماية جوية لعرباته المقاتلة سنة ١٩٤٠ ، ذهب نداءه أدراج الرياح ، كما أنه شعر بمتاعب كثيرة بعد أن أصبح رئيسا مؤقتا للجمهورية الفرنسية وخصوصا حينما أمر فون رانستد فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ باعاقة الحلفاء عن الجلاء عن ستراسبورج .

ويبدو أن الوطنية الاساسية التى توصى بكل تلك الاعتبارات

هى التى يجب أن تكون الملاذ الوحيد لجميع المناقشات التى تنشأ حول تلك المسألة ولكن القادة الحربيين الأطلنطيين بما لهم من قرارات شبه اجماعية فهم يرون الأشياء من وجهة نظر تختلف تماما عن تلك التى يرى منها الامور • فهؤلاء القادة يقدرون أن وجود قوة دفاعية جوية ذات قواعد مختلفة فى عصر أصبحت قاذفات القنابل الذرية ذات سرعة تفوق سرعة المدافع المضادة يتطلب اعادة النظر فى جميع الخطط الموضوعة . أضف الى ذلك أن فكرة وجود اطار قومى يجب أن تزول لأن عمل الحلف هو الدفاع عن أراض أكثر اتساعا من أرض فرنسا . ولكى تدفع تيار بريطانيا الى عجلة العذاب أعلنت عن عزمها دخول حلبة السباق والحرب على شرط أن ترى أمامها نظاما موحدا • فدائما نجد أن الذى يدفع فرنسا الى الاعتراض هو أننا نجدهم يطالبوننا دائما بالتنازل عن سيادتنا فى الشاطىء الآخر من المانش أضف الى هذه البيعة وجود جنرال بريطانى على رأس القوات الجوية فى وسط أوروبا ولكن فى الحقيقة فان هذه الرياسة لها قوة رمزية وخصوصا وأن المقاتلات البريطانية سترسل دائما لحماية الجزر البريطانية التى أعطتها المقدرة الجغرافية وعدم العدالة التاريخية موقعا بعيدا ومنعزلا عن الاخطار .

وعلى ذلك فان تصميم الحكومة لم يصلح أو يعدل من الرأى العالمى ولا نستطيع فى هذه اللحظة التى نعيشها أن نرى كيف خرجت تلك المشكلة من داخل نطاق المناقشات والمحادثات التى دارت بين

الجنرال ديجول والرئيس ايزنهاور فى التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٥٩ ، تلك المناقشة التى تعتبر بحق أعقم المناقشات . وفى هذه الاثناء عملت بلجيكا وهولاندا وألمانيا الفيدرالية على الوقوف على أرجلها للدفاع عن سمائها بنفسها وتحمى نفسها ضد قاذفات القنابل الاسرع من الصوت « سوبر سونيك » فى ميدان المعركة الذى يمتد بالنسبة لكل منها بعض المئات من الكيلومترات .

القيادات

وتبعت هذه المناقشات مناقشة أخرى غرضها اعادة تنظيم القيادات واعادة توزيعها فى القارة الاوروبية . ولم ينجح هذا النظام الجديد كسابقه من النظم لانه لم يعمل به بمجرد خلقه ولم يطبق على الاجزاء التى كان يجب أن يطبق عليها : فهو يأسف بشكل ملحوظ للممثل الفرنسى الموجود فى القيادة البحرية بملطا والمسئول عن جميع طرق المواصلات والاتصالات عبر مجموعة دول البحر المتوسط ، ولكنه كان فى نفس الوقت يسير على نهج الخطة التى كان يرسمها أصدقاؤه الاتراك والايطاليون كما انه يأسف للأسطول الفرنسى فى البحر المتوسط الذى أصبح ذا أهمية عظيمة تؤهله بالاعتراف به فى القانون وخصوصا بعد أن فقدت بريطانيا سيطرتها على قنال السويس . ومن جهة أخرى فاننا نجد أن الانجليز قد تسلموا قطاعين عظيمى الاهمية فى داخل تلك القيادة فى حين أن فرنسا

لاتحرس الا البحر المتوسط الغربى المنوطة قيـــادته الى الاميرال آآوبونيون) ومن هنا انبثقت فكرة خلق قيادة جديدة تحمى البحر الابيض المتوســـط كله من ناحية المحيط الاطلنطى وتسـلم مقاليد القيادة لقائد فرنسىوهذا هو مايسمى بمشروع ايرلانت ولكنه يفترض بالطبع موافقة البرتغال وأسبانيا بالرغم من أن هذه الاخيرة لاتدخل فى حلف الاطلنطى وهذا ماجعل الحكام فى قصر الايليزية يقفون فى جانبها فى بعض الاحداث الاخيرة وعلى كل حال فان الاقتراح الذى يفسر هذا الموضوع مازال غامضا ومهمـــا حتى بالنسبة لهؤلاء الذين ينادون بخلق قيادة أخرى جـــديدة بخلق « مجتمع » حقيقى اطلنطى مشترك فى خططه السـياسية التى يجدون فيها وجهة نظر مقبولة فى عدم رضاهم أو راحتهم لهذا الزحف الذى ترمى اليه باريس .

والآن يجب التأكد خلال مجرى هذه الاحداث من أن المطالب المعروضة منذ سنة مضت من جانب الحكومة الفرنسية لم تدخل ضمن مجموعة المطالب التى لم تحز نجاحا ٠لان ذلك يذكرنا بالطرق الكثيرة التى تعرقل سير مثل تلك المشاريع لانها لو استعملت فان الاهداف لن يمكن تحقيقها أبدا ٠

بل على العكس من ذلك فانها قد تثير فى نفس بعض المشتركين بعض الشكوك الدنسة أو قد تثير فى نفوسهم فرحة مزدوجـــة ٠ وسيوافق كل منهم على أن صوت فرنسا ومطالبها التى كثيرا ماكانت

شرعية سيصبح أحسن مما كان كثيرا فى اليوم الذى ستنتهى فيه الحرب الجزائرية اذ انها ستصبح فى مكانة تسمح لها بتنفيذ التزاماتها وجها لوجه مع حلف منظمة شمال الاطلنطى، وبمعنى آخر انها ستصبح قادرة على أن تضع تحت أمرته الاربعة عشر فرقة التى كثيرا ماوعدته بها فى حين أنها لاتتعدى الآن فرقتين ونصف . وبدون شك فقد فهم الجنرال ديجول ذلك وفعلا لعب ذلك العنصر دورا كبيرا فى تصريحه الذى أدلى به فى السادس عشر من سبتمبر

الفصل السابع

ماوراء الناحية العسكرية

ان المشكلات الاستراتيجية وامتلاك الاسلحة الذرية وعمليات الضغط التى تمارس خارج نطاق المنطقة التى تغطيها منظمة شمال الاطلنطى وعدم المساواة السائدة بين أعضائه أنفسهم ، كل ذلك أرجعناه فى فصول هذا الكتاب للناحية العسكرية . أما بالنسبة لنقطة الاختلاف بينهم فهى ليست عسكرية . وبما ان الحلف الاطلنطى لايجب عليه أن يختص بالناحية الدفاعية فقط وهذا بالنسبة لوجهة نظر منشئيه ، فان المادة الثانية من الحلف تنص على ما يلى :

يساهم جميع الاعضاء المشتركين فى هذا الحلف على اقامة العلاقات السلمية والودية العالمية وذلك لتقوية مراكزهم الحرة، وتأكيدا لفهم أفضل للمبادىء التى قام على أساسها هذا الحلف، والعمل كذلك على ايجاد الظروف التى تساعد على وجود الاستقرار والحياة الطيبة . وسيعملون جهدهم على محو جميع المتناقضات فى سياستهم الاقتصادية العالمية ويشجعون على الاشتراك فى النواحى الاقتصادية بين كل منهم على حدة وبين المجموعة ككل .

وأصبحت هذه المادة الثانية عبارة عن دواة حبر للحلف ذلك لان معدتهم كانت مكتظة جدا لدرجة تمنعهم من تقبل المزيد فى حين أننا نجد بعض الحكومات تفسر هذه المادة بمعان أضخم من ذلك اذ تقول أن تلك المادة التزام من الحكومات الموقعة حقيقى اطلنطى مشترك فى خططه السياسية والاقتصادية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ففى نفس اللحظة التى وقع فيها الاعضاء على ميثاق الحلف تفوه المستر ليستر بيرسون بكلمة «مجتمع» وقد كان حينذاك وزير خارجية كندا، وقد حصل بعد ذلك على جائزة نوبل للسلام . وبسرعة البرق اشتهر اسمه بعد البلاغ الذى أصدره مجلس حلف الاطلنطى وفى سنة ١٩٥١ اجتمع مؤتمر اتاوا وخلق لجنة تتكون من خمس أعضاء (بلجيكا وكندا والنرويج وايطاليا والاراضى الواطئة) تكفلت تكفلت بدراسة العمل على تقوية المجتمع الاطلنطى وعلى وجه الأخص تطبيق النص الوارد فى المادة الثانية . وبعد ذلك بعام قدمت هذه اللجنة فى مؤتمر لشبونة تقريرا أثنى عليه الجميع جاء فيه مايلى :

- تنظيم السياسات الخارجية .
- تدعيم التعاون الاقتصادى .
- مد يد المعونة للجميع (وعلى الاخص ايطاليا ذات الشبح الذى يؤرقها دائما الا وهو الثلاثة ملايين متعطل) .
- التعاون الاجتماعى والثقافى .

ـ زيادة تركيز أعمال الخاصة بنشر المعلومات •

تقريرات الحكماء :

في مايو سنة ١٩٥٦ عادت ثانية مناقشة مسألة المجتمع الاطلنطي في مجلس وزراء حلف شمال الاطلنطي وذلك لانه لم يحدث أي تقدم ملموس يذكر ، ومن ثم تكونت لجنة أخرى جديدة تتكون من ثلاثة أعضاء أو ثلاثة حكماء» وهم مستر ليستر بيرسون «من كندا» ومستر كاجتينيو مارتينو (من ايطاليا) وهالفاردلانج (من النرويج) ولكن لايجب أن نخلط بين هذه اللجنة ولجنة الحكماء الآخرين التي كانت مكونة من هاريمان ـ ومونيه ـ وبلودن التي تحدثنا عنها سابقا والتي كلفت في سنة ١٩٥٢ بالتحكيم بين مطالب العسكريين ومدى امكانيات بيوتات المال •

وكانت أزمة السويس تنبثق مرات ومرات لتعطي للحكماء بريقا لامعا عن الأشياء التي لايمكن عملها في ظروف مماثلة لانها وضعت خطا تحت الحروف وبينت أن سبب تلك المصيبة يرجع لعدم كفاية الاستشارة بين الدول الاعضاء الداخلة في حلف شمال الاطلنطي لان كلا منهم كان مشغولا باحترام آراء الآخرين وعدم اتخاذه أي عمل ايجابي في الوقت نفسه دون استشارتهم • ولقد شاهدوا أي مدى نفذوا هذا العمل في لحظة الأزمة التي وقعت في الشرق الادنى في صيف عام ١٩٥٨ وفي الحقيقة فان تنظيم هذه الاستشارات روعي فيها عدم وجوب اصطدامها بصعوبات مادية بالغة الأهمية أو بسياسة أي عضو من أعضائها• كما أعفت تلك القرارات

من تقديمها الى المجلس الدائم الذى يجتمع أسبوعيا لمناقشة مـد وجزر سياسة الدول الاعضاء وخاصة كل ماهو يتعلق بتبادل التمثيل الدبلوماسى بالشرق • وقد كان من الصعب جدا اعتباره عملا يستدعى السرعة لانه كان يحتاج لسرية تامة •

وقد أكد المجلس الدائم انه ماهو الا منظمة عملها تسلم واعطاء المعلومات فقط وانه ليس فى مقدوره اتخاذ أى قرار نهـائى • ففى اليوم الذى سيكون فى مقدوره فعـل ذلك فانه يجب على وزراء الخارجية المشتركين فيه أن يتنازل كل منهم عن بعض سلطاته وقد أدركوا خطورة ماقد يحدث لو أصبح الموقف هـكذا • ذلك لان المستر ادجار ـفور استمال الى جانبه المستر جاستون بالويسكى كوزير مفوض لمناقشة المسائل الاطلنطية فى حين أن المستر انطوان بينى كان يذوق منه الامرين حينما كان يناقش مصائر كواى دى أورس،

فلو أن اللجنة الدائمة رأت بعد تغيير مفاجىء أداء واجباتها الكثيرة ولو أن أعضاءها تسلموا جميع اقتراحات وزراء حكوماتهم فان تلك اللجنة لن تتقدم أبدا لان حق الفيتو الذى يمكنه أن يوقف قرار الخمسة عشر دولة كاف جدا لايقاف مفعولها ومن ثم فان حاملى لواء مساندة وتعضيد الحلف لم يكفوا أبدا عن المطالبة الى الالتجاء فى بعض الحالات الى صوت الاغلبية وفى بعضها الآخر الالتجاء الى خلق لجان فرعية لاتشترك فيها جميع الاعضاء الداخلة فى الحلف •

فاليوم لحسن الحظ وصلنا الى حل لمشكلة قبرص المعقدةوأعطت يكن ينقص الا صوتا واحدا لاعطاء الحياة للنتائج التى وصل اليهــا لنا مثلا دائما ماسنستشهد به على سخافة قاعدة الرأى الجماعى ، فلم المستر سباك الذى أقر له تقرير الحكماء الثلاثة بحسن مقــــدرته وتصرفاته • وفى الحقيقة كان الصراع يقوم بين عضوين من أعضاء الحلف فقد أظهرت اليونان قلقها القديم وانسحبت لتبتدىء فى تمثيل نفسها فى مركز قيادة الحلفاء العليا فى أزمير •

وهذه الحالة متطرفة الى حد كبير ، ولكن الحقيقة تضطرنا الى الاعتراف بأنه لم تدر أى منازعة من تلك المنازعات الكبيرة التى نشأت فى خلال تلك السنوات الاخيرة فى داخل العالم الغربى الا وصلها منظمة شمال الاطلنطى • فحتى المعسكر السوفيتى نفســه قد نشأت فيه بعض انواع الصراع الداخلى ، ولكنه كان غالبا مايحلها قبل أن تصل الينا ويوجد الآن تحت يد دول الغرب قوة هــائلة تكلفهم الكثير وخبراء معتادون على دراسة أعظم المشاكل تعقيدا ، وظهرت أمامنا نتائج المناقشات المعقولة وقامت أمام أعيننا فزعماء الحلف دائما مايكررون ويؤكدون نيتهم فى بناء مجتمع حقيقى بث فيه الروح الفكرية لحضارة واحدة . ولكنهم عاجزون عن غســل أصواتهم القذرة ثم بعد ذلك ينشرونها بكل عزم وتصميم أمام أعين عدوهم الرابض امامهم ، وعلى ذلك فان العدو يعتبر استغلاله لمناقضات الدول الرأسمالية سلاحا أساسيا بين يديه ولهذا السبب فهو

يميل دائما الى المبالغة فى أهمية هذا السلاح مضافا اليه الحزب آلذى يستطيع استمالته فى جانبه •

رفض المتدبين للقرارات :

وأحد الامور الرئيسية التى تؤدى الى الضعف بل وبلبلةهذا اضعف من الداخل والذى يقود الحلفاء الى عدم الثقة فى كل منهم هو رفضهم التام وامعانهم فى هذا الرفض لكل قانون أو قرار لا يتمثل فيه الخمسة عشر دولة ، ولكن هناك استثناء واحدا وهو قرارات لجنة التخطيط الاستراتيجي ذات الصبغة الحربية المطلقة

وبدا فى الامكان الوصول الى تقدمات عظيمة فى المعنى الخاص بخلق جماعات للعمل لكل منها تخصص فى وجوه معينة ولا يشترك فيها الا عدد محدود من الدول . وفعلا قامت بعض تلك الجماعات ى سنة ١٩٥٨ لكى تقدم نفسها لاجتماع مؤتمر الاقطاب الذى كانوا يتحدثون عنه حينذاك ، وكانت أولى تلك الجماعات تتكون من ممثلى الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى وألمانيا واليونان وايطاليا والاراضى الواطئة وناقشت تلك المجموعة وفحصت مشكلات الأمن فى أوربا واعادة توحيد ألمانيا ، وكانت تلك المشاكل قد درست خارج حلف شمال الاطلنطى منذ مارس سنة ١٩٥٧ فى داخل نطـــاق اتصالات ضيقة جدا ومحدودة كانت تتم فى شكل لجنة رباعية تدخل فيها الدول الثلاث الكبرى التى كانت ممثلة للجمهورية الفيدراليـة

وقد أدى عمل هذه اللجنة الى توضيح السياسة العامة لدول الحلف بعد نشر اقتراحاتها .

وافقت الدول الخمس عشرة دون مجابهة أى صعوبة فى ذلك على ترك الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا وكندا للتكلم باسمهم فى بعثتهم الجديدة الموفدة لنزع السلاح فى جنيف ألا يمكن أن تتطلع تلك المجموعات الى حل المشكلات الاخرى بهذه الطريقة ؟ فتخصص مثلا بعض الدول لحل المشاكل الافريقية مثل: فرنسا ـ وبلجيكا ـ وبريطانيا العظمى ـ والبرتغال مضافا اليهم ايطاليا والولايات المتحدة الامريكية . ويخصص لحل مشـــكلات الشرق الأدنى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وفرنسا الموقعون عـــلى اتفاق سنة ١٩٥٠ مضافا اليهم ألمانيا وايطاليا وهما يلعبان دورا اقتصاديا ودبلوماسيا هاما فى ذلك القطاع من العالم .

والآن اننا نجد أن عمل هذه اللجان الرئيسى هو عمل فنى لاأكثر ولا أقل ، فهى تحضر المشروعات ولكنها لاتتخذ أى قرارات ؤ تسير أى خطوات نحو تنفيذ تلك المشروعات ، ولذلك فاننا نرى ـ العلاج الوحيد موجود فى جميع الاحوال التى يتم فيها اجابات سريعة على مقترحات تلك اللجـــان . وعلى ذلك فانه من الواجب بعض الحلول الاخرى وعرضها غير تلك الحلول التى حازت عـــلى رضا الأغلبية والتى يجب أن تؤدى فى نهاية المطاف الى اتساع وتقدم نطاق الاستشارة ومن ثم يجب أن تتخيل شكلا تنفيذيا بأى حال كان،

وهذا هو مايطالب به الجنرال ديجول . ولكن هناك خطأ أساسيا يعوق مطلبه وهو أنه يريد ان يقوم التنفيذ على أساس عدم المساواة وبما أن هذه الحالة موجودة فعلا لانها تعتمد على مدى تحمل المسئوليات ومدى المقدرة الحربية ، فان هذا العالم يفقد معناه ويصبح لاقيمة له لانهم فى هذه الحالة سيلجأون الى فكرة الاخطار الناجمة ومدى تحمل كل منهم فيها .

ولكن لماذا لم يفكروا والحال هكذا فى البدء فى تكوين مجلس من فى داخل نطاق الحلف مماثل لذلك المجلس الموجود فى الامم المتحدة وذلك من ناحية أعضائه الدائمين وغير الدائمين ؟ وانني أومن بأن أحدا لن يعارض الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا التى تعتبر الاعضاء المؤسسة لمنظمة هيئة الامم المتحدة اذا ماأقاموا أعمدة مجلس كهذا لمنظمة شمال الاطلنطى ويمكن اقامة الحائط الاول من عضوين غير دائمين ينتخبان سنويا أو يتبع كل منهما الآخر . ويمكن كذلك أن نضع فى أذهاننا أن تكون احدى هاتين الدولتين كندا أو ألمانيا أو ايطاليا وذلك حتى يضعوا فى حسبانهم مدى اهميتهم ومساهمتهم فى هذا الشأن . وفى حالة تعرض احدى الدول الاعضاء الداخلين فى الحلف لاى من الاخطار فانه من الواجب فى تلك الحالة أن يضم المجلس ممثل تلك الدولة . وانني أومن بأن مثل هذه اللجنة أحسن وأفضل مائة مرة من مجلس دائم

يتكون من خمسة عشر عضوا . مجلسها يجتمع دائما على مستوى
الوزراء أو وكلاء الوزراء ، ألا يكون هذا أسهل بكثير من مجلس
ادارة ثلاثى ؟ ان هذه اللجنة بدون شك ستملأ الفراغ الذى
أفسحوه من أجلها والذى وثقوا فيها لملئه .
شىء منسى دائما :

ان كل ماحدث بعد بدأ منظمة شمال الاطلنطى فى العمل كان فى جميع الحالات يتفق على تقدير النظام القائم فعلا الذى لايعتمد على نقاط الضعف بل على أشياء أخرى ثانوية وذلك رغما عن وجهة نظر السكرتير العام المستر سباك ذلك البطل الذى يقتنع بتحويل الحلف الى مجتمع واحد . ولكننا نجد بالرغم من هذا انه بقدر ماينبثق من أسئلة روتينية ، ومن تغيير فى المعلومات ومن مشاعر شخصية ومن منازعات طفيفة بين دول الحلف أنفسهم ، ومن تحرير مذكرات دبلوماسية ، بقدر مانجد أن المشاكل طفيفة للغاية ، ولكن ما ان بزغ فى الافق مشكلة معقولة ما أن تجد الدول الكبرى تمتنع عن عرضها جديا على المجلس . فقد رأينا حينما وقعت مشكلة السويس بعض سفن الاسطول الامريكى فى لبنان وكان يتقدمها الفرنسيون فى مركز القيادة ولم تعلم فرنسا بهذا رسميا الا بعد ذلك بثمانية أشهر اذا علمت بأن الجنرال نوستاد قد قرر أن يرسل الى فرنسا قاذفات قنابله .

وقد رأينا ذلك أيضا فى مشكلة برلين ، اذا لم تشترك الدول الخمس عشرة الاعضاء فى مجرى الاحداث الا فى أذيال الدول الثلاث الكبرى وتتقدمهم الجمهورية الفيدرالية ، وفى الحقيقة لم تناقش هذه المشكلة مناقشة عملية وعميقة وبدون شك فانهم كانوا يخافون من أن يعاد وضعها باستمرار على بساط البحث الذى أصبح الآن من الصعب مده الى السريع وبذلك ستصبح تلك المشكلة فى عدة وجيزة شبيهة بنجم (بنيلوبى) .

وقد كان التناقض الواضح جدا بين الفاعلية الضرورية للحلف وبين حق الفيتو موضوع النقاش فى مناقشات عدة كان بعضها علانية والبعض الآخر سريا وانتهت جميعها بنفس الطريقة اذ كان يتم الاتفاق على : لقد اتفق الجميع على الخروج على النظام الحالى لاننا بدونه سنصل الى اتفاق أعظم عن احداث المستقبل ومن جهة أخرى أصدرت الولايات المتحدة رغبتها عن هذه القرارات. ذلك لانها أرادت فى الحقيقة الاحتفاظ بمنطقة حلف شمال الاطلنطى كما هى تماما أى أن يبقى أحد العناصر الداخلة فى شبكة الاحلاف التى تعترف بحلف «ريو» الامريكى ، وحلف بغداد وجميع الاتفاقات والاحلاف الثنائية وغير الثنائية الداخلة فيها أمريكا. وانها لا ترضى ولا تستطيع أن تلزم الاحلاف الاخرى .
نفسها بالتزامات نحو هذا الحلف أكثر مما تلزم به نفسها نحو

فحتى البريطانيون أنفسهم وجدوا انفسهم يحاولون الزيادة من

سلطتهم السياسية فى منظمة حلف شمال الاطلنطى. ولكونهم معادين للتقليد الذى ينادى بالتعالى عن الجنسية ، ولكونهم راغبين فى الاحتفاظ الى أقصى حد بسيادتهم وبالصلات الخاصة التى نجحوا فى نسجها مع الامريكيين فقد اقتنعوا جدا بالحلف بشـكله الراهن . واستمروا فى الاهتمام أولا وقبل كل شىء بالناحية العسكرية . أما من جهة فرنسا والجنرال ديجول فانهما يعرفان ماهى وجهة النظر الاساسية فى الموضوع .

التحرك من أجل المجتمع الاطلنطى :

انه لايجب على دول الحلف أن تنتظر فى تلك الظروف أن ترى منظمة حلف شمال الاطلنطى تسير فى السنوات القادمة فى الطريق الذى سيؤدى الى حلف خفى ومبسط نواته «المجتمع» الاطلنطى . ولكن مع ذلك يجب ألا نغض من قيمة قوة الاحداث الجارية التى تعتبر فى رأى دول عديدة دعامة لموضوع المجتمع الاطلنطى الـذى اقتنع به عدد كبير من رواد الحركة وعلى رأسهم كلارنس ستريت الامريكى الذى ضحى بسنوات عديدة من مجهوداته فى هـــذا الموضوع ، فقد كان خلق جمعية برلمانية لمنظمة حلف الاطلنطى فى سنة ١٩٥٦ رغما عن تلك القوات التى كانت محور الامس فى مشكلة السويس خطوة أولى نحو انعقاد مؤتمر لندن سنة ١٩٥٩ وعقد بعض المقابلات التى سمحت بالنواة الاولى للروح الاطلنطية .

وقوانين حلف شمال الاطلنطى نفسها التى كثيرا ما فكروا فيها أدت الى نحو من نوع خاص بين مئات العوامل التى تشغل بال عقلية موحدة مشتركة • لقد اكتشفوا كم من المنازعات التى نشأت بشأن الحدود أو المركز التى لم تكن تقوم على أساس كبير والتى كانت تدفعهم الى اعادة تكوين كل مايرقبون الحصول عليه ، فأقامت فى وجه تلك التهديدات والفتنة الجماعية مجتمعا كبيرا من الرجال الاحرار • ولكن ذلك لم يعرفوا قيمته الا حديثا جدا • لانه من المفهوم أن الاتفاقات التى وصلوا اليها تحت اسم الحاجة والضرورة التى يتطلبها التنظيم لاتتفق والمثل الديمقراطية ولكن بالرغم من هذا فلم تحتقرها على المكشوف •

واننا لانجد انتشار هذه الروح الا فى أركان حرب القيادة وتواجه مشكلة العمل المشترك اليومى خطرا جسيما ذا شكل خاص وهو يبعد فى مداه عن التقاليد والممنوعات والاهانات القائمة الى الابد ، تلك الاخطاء لايمكن لاحد أن يتخلص منها قبل عشر سنوات على الاقل • وقد برهن هذا الخطر على أن الاتحاد ليس مدينة فاضلة تتعدى جميع الحدود ولكنه حقيقة طبقت تبعا لبعض مقاييس عصرنا الحديث ، كما أنه برهن كذلك على أن تلك الاخطاء هى الحائط الوحيد من الخزعبلات والاوهام التى تعوق بعض الاعتقادات التى تأمل فى مستقبل منذر بالخير ولقد تمخضت التجربة فى هذا المضمار عن نتائج مدهشة عكس ماكنا تتصور •

والآن لم يبق عندنا الا عادة اجتماع الوزراء الى مرات كثيرة كل عام فبالرغم من هذه العادة الا إننا لم نجد انها قد حققت أى صلات أو روابط شخصية من شأنها أن تؤدى الى تفسير جميـــع أنواع المناقشات والمحادثات والاتصالات التى تنشأ بينهم ولكننا نجد فى نفس الوقت انه بالرغم من تلك المنافسات والمناورات التى لايمكن تحاشيها أو تجنبها فاننا نجد أن الخصمين أو المتخاصمين كثيرا مايجدون أنفسهم قانعين وراضين بعد أن أطفئت نار غلهم على خشبة المسرح الاطلنطى ذلك لانهم يميلون دائما ويعلم الله أن هذا الميل طبيعى الى إعطاء مشاكلهم الابعاد الحقيقية التى تستحقها ، كما انهم يميلون الى الاشياء التى تزيد الوحدة بينهم بأسرع مايمكن ويبعـدون عن تلك التى توسع هوة خلافهم •

ولكن لكى نقسم بالصدق فيجب ان تذكر هنا ان الدول الكبرى مازالت مستمرة فى كرهها للاشتراك حقيقة مع الدول الصغرى فى طرقها فى الحياة وثروتها المالية ، كما انها تستنكف أن تتساوى مستويات المعيشة بينها • وما زال حتى الآن اختلافات كثيرة جدا بين أعضاء دول الحلف عن فهمهم وادراكهم لبعض النــــواحى الفلسفية السياسية والاخلاقية حتى انك لتجد انهم لم يصلوا أبـدا الى اتفاق بشأن المفاهيم والمعانى الحقيقية لتلك القيم • واذا أخـذنا مثلا لذلك فيجب ان ننظر الى تلك الهوة الساحقة بين دولة مثـــل هولندا تقدر عظمة حلف شمال الاطلنطى حق قدره ولا ترفض أبدا الاعتراف بمعنى القوة والثبات الكامن فيه ودولة كاسكانديـنيفيـــا

ذات الاعضاء المشتركين فى الحلف والذين يفسرون التزاماتهم نحو الحلف في معان محدودة للغاية وبقصد منهم، ولا تقل تلك الاختلافات قوة فى افساح المجال مثل تلك الهوة التى بين البرتغال الجماعية ، وتركيا الدكتاتورية وكوبنهاجن وأوسلو ممن يؤمنون بالديمقراطية الاشتراكية . وأخيرا فلنر تلك الفوارق بين الجزر المتفرقة هنا وهناك أنه لن يمكن بدون شك أن يكون هذا الحلف بمفرده قادرا على تقديم الفرص لجميع الاعضاء مع التغاضى عن الجنسيات .

وعلى ذلك فانه يبدو أنه من الحكمة ، وعلى الاخص في ذلك الوقت الذى تحققت فيه القوميات والذى تتداعى فيه بعض القلاع التى كانت على مستوى رفيع من الشهرة من الحكمة أن نبحث عن الروح « الجماعية » فى تلك النواة التى بدأت تنبت فعلا فى اطار الدول الاوروبية الست ، وأن نجاح هذه الروح فى البزوغ سيدفعها حتما الى الانتشار والاتساع والبرهان على ذلك حديث العهد جدا ، ويمكن رؤيته فى سير اليونان وتركيا بفضل اتحادهما للقيام بعمل سوق مشتركة .

الفصل الثامن

الأخطاء الموجودة فى « المجتمع » الاطلنطى

ان مايحق لنا أن تصف به الناحية السياسية يحق لنا ان نصف به الناحية الاقتصادية والاجتماعية بل واكثر منه وهو «المجتمع» الاطلنطى مازال حتى الآن فكرة مثالية بعيدة المنال ، فاوروبا وحدها هى التى تستطيع فى المستقبل القريب أن تقيم اطارا سليما لتطور وتقدم جدير أن يوصف به «مجتمع» كما يجب أن يكون أليس ذلك الاطار بقادر على أن يثير فكرة المساواة بالرغم من اختلاف مستويات المعيشة وبالرغم من قلة الفرص التى لاتوجد حتى ولو مجرد حبر على ورق فى الوقت الحالى ؟

ان الحلف يضم خمسة عشر عضوا يوجد فيما بينهم اختلافات شاسعة جدا فى الاحوال المعيشية ، فالولايات المتحدة وكندا والسويد وسويسرا هى دول فيها الدخل القومى مرتفع جدا ، ولا تشعر تركيا واليونان بخجل حينما تنظران الى الحدود التى حولهما وتجدان تلك الدول التى تحوطهما تعتبرهما من البلدان المتخلفة اقتصاديا ، وان رخاء وزارة المالية البرتغالية لن يجعلهـــا تنسى الفقر الذى يحيق

بشعبها ، وكذلك لن ينسى غنى لومباردى فقر وتعاسة «صقلية» و «دى لاكابر» .

وكثيرا ماحاولت منظمة حلف شمال الاطلنطى النداء على دولها لايجاد حل لتلك الحالة التى تتعارض وادعاءها بتفوقها الروحى والمادى ، ولكن النتائج كانت ضئيلة للغاية ، وحقيقة الامر هو أن الحلف الاطلنطى نفسه لم يشر الا اشارات سريعة الى مشاكله الاقتصادية ، فتنص المادة الثانية فيه على أن الاعضاء المتقدمين فقط هم الذين يضعون الشروط الاساسية لضمان الاستقرار والحياة الطيبة ، كما يجب عليهم العمل على محو جميع التناقضات بين سياساتهم الاقتصادية العالمية وتشجيع التعاون الاقتصادى بين كل واحدة منهم على حدة ، وبين المجموعة ، وحينما وضع الحكماء الثلاثة السادة ، مارتينو ، وبيرسون تقريرهم سنة ١٩٥٦ عن تقدم التعاون فى النواحى غير العسكرية وصلوا فى النهاية الى نتائج تافهة جدا فى الشئون الخاصة بالناحية الاقتصادية واول شىء أوضحوه هو أن المشاركة والتعاون الاقتصادى يجب أن يتبعا على نطاق أوسع واكبر فى الحلف ، ووصلوا فى النهاية الى الاعتراف بالدور الرئيسى الذى تلعبه المنظمة الاوروبية التعاونية الاقتصادية التى لاتشمل فقط أعضاء حلف منظمة شمال الاطلنطى ولكن أيضا تشتمل على دول أخرى محايدة . وفى احدى اجاباتهم على بعض اقتراحات ألمانيا أكدوا وصمموا على أن الحلف لايمكن أن يكلف نفسه بمحاولات اتخذتها وقامت بها بعض المنظمات الاخرى ، ودائما أثبت الاعضاء أهمية

بعض الاستشارات الخاصة به والتى يجدها ماثلة فى بعض المسائل الاقتصادية ذات «القيمة الخاصة» بالنسبة للحلف وعلى وجه الأخص اذا كانت تلك المسائل ذات قيمة سياسية أو تحتوى على قرارات خاصة بمشكلة الدفاع أو تؤثر على الحالة الاقتصادية «المجتمع الاطلنطى» بوجه عام واقترح الاعضاء الحكماء أخيرا الالتجاء دائما كلما اقتضت الحاجة الى المساعدات والى تكوين لجنة اقتصادية استشارية •

وتطبيقا لتلك التوصيات اعترف مجلس منظمة حلف شمال الاطلنطى بمشاكل جزر صيد السمك وبالطرح القائم بين بريطانيا العظمى واوربا الاوروبية التى تقترح اقامة منطقة للمبادلات الحرة• ولكنها لو ساعدت تلك المنظمة على الاقل فى ايضاح جميع النقاط التى من شأنها أن تؤدى الى اعاقة التقدم فيها ستكون بالتالى قد وقفت موقفا سلبيا للغاية . ولكننا يجب ألا ننسى أن الصراع القائم حول اشتراك بون فى الابقاء على القوات البريطانية الموجودة على أراضى الجمهورية الاتحادية لم يحل عن طريق المحادثات الثنائية بل يفضل تدخل منظمة حلف شمال الاطلنطى وهذه بالطبع طريقة أخرى تبين مجهودات المنظمة فى المجال الاقتصادى . ولكن الشىء الملحوظ هو عدم تأثر أى عضو من أعضاء المنظمة سواء بنقص منتجاتها أو بسبب الاستهلاك المدنى . بل كانت النتائج على العكس من ذلك لان الدلالات والارقام تدل على أن الانتاج الصناعى ازداد

بمقدار الضعف فى أكثر الدول الداخلة فى نطاق الحلف فى مدة أقل من عشر سنوات •

أما الاستهلاك الخاص فقد كان يتزايد بطريقة منتظمة اذ تدرج من ٤٢٠ دولارا لكل رأس فى أوربا الاطلنطية فى سنة ١٩٤٩ الى ٤٩٢ دولارا فى سنة ١٩٥٥ فى حين أن النفقات العسكرية السنوية مازالت تقرب من ٤٠ دولارا .

الامتحان السنوى

انه لم يكن من الممكن الحصول على تلك النتائج لو لم يتدخل الحلف فيها فباقامة مؤتمر لشبونة للمبادىء والاسس التى تقوم عليها المساواة فى مساهمة كل دولة من الدول الاعضاء من ناحية امكانياتها الاقتصادية والمالية ، فقد حقق هذا المضمار نتائج نهائية . ومنذ ذلك الوقت يتمسك مجلس الوزراء كل سنة بوثيقة تسمى الائتمان السنوى التى تحدد الاهداف التى يجب عليه تحقيقها فى العام القادم مع وضع الاحتياطيات للعام التالى ، وتشير بعض الاشارات الى العام الثالث . ويقوم السكرتاريون العامون بالاتفاق مع المجلس الدائم والحكومات والقيادات بايضاح نقط خطط المستقبل خلال فترات الاستراحة التى تتخلل الجلسات •

وتلك العملية التى يقوم المختصون بها منذ سنة ١٩٥٢ وتحوز الرضا التام منذ ذلك التاريخ قد طبقت فى حالة خاصة بطريقة

اعتبرت الاولى من نوعها فقامت باجراء ورسم برامج فرعية خاصة بالاسلحة والمعدات اللازمةلميدان العمليات الحربية الاوروبية وادخلت ضمنها المطارات ومخازن الذخيرة والممرات الارضية وخطوط المواصلات •• الخ •• وقد تسبب عن تقسيم النفقات بين المصالح المختلفة اثارة المناقشات المملة المعقدة فى كل مرة ينعقد فيها المجلس وانتهى بهم المطاف الى وضع مقادير نسبية معينة للنفقات وتقدم كل دولة بدفع نسبة مئوية محددة من النسبة المئوية العامة للنفقات مع اختلاف هذه النسبة بين الدول المشتركة •

وبما انه لايوجد بأى حال من الاحوال أى منظمة اقتصادية فان الحلف يضع سياسة اقتصادية هامة ذات فاعلية عظيمة • ولذلك فقد وكل السكرتير العام للحلف أحد نوابه المتخصصين فى تلك المسائل للقيام بهذه المهمة •

انتاج الأسلحة

من الواضح جدا أن التعاون الاقتصادى بين دول حلف الاطلنطى تعاون وثيق جدا فى الناحية الخاصة بانتاج الاسلحة ، فى الوقت الذى وقع فيه الاعضاء على ميثاق حلف الاطلنطى كانت الدول الاوربية على وشك الموت . فجيوشهم البسيطة المحدودة كانت تستخدم موادبليت ومضى عهدها باخراجها لانتاج قومى بسيط ومحدود معتمدين فى ذلك على مخلفات «الويهرماخت» وعلى محلات الانجلوساكسن ولم يكن من الممكن السير نحو تجديد هذه الاسلحة وادخال أسلحة حديثة

أخرى الا بالمساعدة العظيمة التى بذلتها الولايات المتحدة ، وكنـــدا وكذلك بالمجهودات الضخمة التى بذلت فى حقل الفكر العقلى .

وقدمت أمريكا جزءا من هذه الاسلحة بدون مقابل بل تحت اسم بند المساعدات العسكرية كماوفت الولايات المتحدة الامريكية الانتاج فى محل الاستعمال أى الانتاج البعيد عن الشواطىء الامريكية بالمواد المقدر استعمالها بواسطة الامريكيين أو الحلفاء . وقد وصلت الاموال التى دفعتها الولايات المتحدة فى هذا الشأن ٢ مليار ونصف من الدولارات فى نهاية عام ١٩٥٦ ثم ادخلت الولايات المتحدة بعد ذلك بعض القروض فى الانتاج القومى ولكن على هيئة اشكال مختلفة .

ان منظمة حلف شمال الاطلنطى نفسها ليست منظمة انتاجية كما أنها لاتتبنى أيامنها ، فالمنظمة الوحيدة القائمة تحت هذه الفكرة هى الوكالة الاوروبية لانتاج الاسلحة وهذه المنظمة تعتبر بقايا الاتفاقات التى عقدت فى باريس وقد رأينا أن وجود هذه المنظمة ماهو الا مجرد وهم وخيال .

ومن ثم عملت التدابير على تقسيم الانتاج والابحاث فى داخل تلك المنظمة ومنذ ذلك الوقت تلعب لجنة انتاج الاســلحة دورا هاما جدا فى ميدان وضع البرامج والتوسع فى تطبيقها والعمل على تناسقها فى كثير من الاحيان . وقد أدى هذا مثلا الى القيام ببناء الطراد «جلوستر ميتيور رقم ٧» تحت رعاية بريطانيا فى هولندا وبلجيكا بحيث كانت تصنع الاولى منه الهيكل ، والثانية الموتور ومن

وجهةأخرى تم القيام بأبحاث عميقة وشاملة لغرض وضع مستوى واحد لعدة مواد مختلفة وترمى الى تبسيط وتعديل اشكال بعض المنتجات . وقد أطلقت تلك المجهودات فى حقل الذخيرة ، وفى مجال قطع الغيار والاجهزة الكهربائية والاليكترونية وكان هدفها التقليل الى الحد الادنى من عدد الاشكال المستخدمة في دول مختلفة وجعلها سهلة الاستبدال بقدر الامكان .

ولقد صدق المثل القائل : «الحاجة أم الاختراع» فهذه هى طريقة الاشياء التى تملى علينا اقامة شكل معين من المشروعات أو التصميمات . ولكن مازالت حلقات المناقشة بين دول حلف شمال الاطلنطى تدعو الى الاسف وخصوصا في المجال الاقتصادى ذلك لان تلك المنافسات تتجاوز حدودا معينة حتى تصل الى الدرجة التى تفقد فيها معناها ذلك لانها تتجه دائما نحو انتاج اسلحة الحرب وحاجياتها ولذلك فهى تؤدى الى نتيجة غير مرغوب فيها لان النتيجة التى ترمى اليها هى تخفيض النفقات الحربية الى الحد الادنى الذى يضمن سلامة البلاد فى حين اننا نجدها تتمخض عن العكس ، ولكن الجغرافيين يؤكدون ماذكرناه آنفا بشأن الاقتراحات المختلفة المتعلقة بهذه النقطة اذ أنهم يؤكدون بقاء الاطار الاوروبى وعلى وجه الاخص ذلك الاطار الذى يشمل الدول الست هو الاطار الملحوظ الاول الذى تدور فيه عجلة الانتاج المشترك .

التعاون الاجتماعى والثقافى

ومن بين المجالات التى خلقت من أجلها لجنة بيرسون فى

سنة ١٩٥١ هى دراسة الطرق والوسائل لجعل منظمة حلف شمال الاطلنطى مجتمعا اطلنطيا واحدا والعمل على اتساع نطاق نشاطه وبوجه عام مجالات النشاط المتصلة بالتعاون الاجتماعى والثقافى ، ولكن النتائج التى حصلنا عليها فى هذا المجال مازالت متواضعة للغاية . فقد كتب اللورد «ايسمى» فى أحد كتبه الذى نشر فى سنة ١٩٥٤ والذى نشر فيه ميزانية الخمس سنوات الاولى من الحلف كتب يقول يبدو أنه مازال من الصعب تحقيق التقدم فى مجالات التعاون الاطلنطى من الناحية الاجتماعية . وفى الحقيقة لم يحقق المجلس أى تقدم يذكر فى هذا المجال ، واننا نرى أن هذه النتيجة تقسم بالصراحة التامة ، واليوم ليس عندنا شىء نضيفه الى هذا الكلام . لان أوجه الاختلاف مازالت قائمة بين القوانين التشريعية المختلفة وبين مستويات المعيشة وبين العادات والتقاليد ومن ثم أصبح التعاون بين هذا الشاطىء من المحيط الاطلنطى والشاطىء الآخر صعبا للغاية لدرجة أنه لم يحدث أى تقدم يذكر فى هذا الميدان وكان الرد على هذه الصعوبة القائمة هو انشاء سوق أوروبية مشتركة .

وفى الحقيقة فان المسألة الاجتماعية الوحيدة التى يجب أن يهتم بها مجلس حلف الاطلنطى حقا هى تلك المسألة الخاصة بتحركات اليد العاملة ، فمثلا حينما اثيرت مشكلة ايطاليا وهى تلك المشكلة التى تضع أمامنا وجود ثلاثة ملايين عاطل من العمال فى ايطاليا مما يجعل المشكلة مستعصية الحل فى داخل الاطار القومى تكونت لجنة خاصة

سنة ١٩٥١ ، وبعد أن اتخذت هذه اللجنة قرارا يقضى بتسهيل أمريكا لعملية الهجرة الى أراضيها دفع الحلف بعدم اختصاصه قائلا انه لايمكن أن يصبح الحلف منظمة تنفيذية لشيء يجب أن تقوم به منظمات دولية أخرى • وهذا الجدل هو مارأيناه يفوه به فى حالة الاقتراحات الخاصة بالتعاون الاقتصادى • واننا لنجد أن هذاالموقف يقلل من قيمة الاعضاء المنتظمين فيه بل ويقلل من شأنهم •

أما من جهة التعاون الثقافى فلم يسجل عنه أى نتائج مبشرة أكثر من تلك التى وجدناها فى مجال التعاون الاجتماعى ذلك بالرغم من الدراسات المختلفة ومن التقريرات التى اتخذها الحكماء الثلاثة والتىأتعبوا أنفسهم منأجلها وكل مااستطاعوا أنيقوموا به من مجهود هو تخصيص بعض الحلقات الدراسية للغرباء وتنظيم حلقتين للمناظرات ، وبمعنى آخر تنظيم حلقات دراسية تعمل على سد احتياجات الحلف وتحقيق أهدافه ، وقد حصل جميع من اشترك فى تلك الرحلات والاجتماعات على مكسب عظيم •

ولكننا لانسعى الى تكوين «مجتمع» اطلنطى بينافراد معدودين على الاصابع فقطفكل مانسعىاليه هو تكوين «مجتمع»اطلنطى تشترك فيه جميع الشعوب المشتركة فى المنظمة . وبما أن الحالة وصلت الى هذا الحد فلنا أن نتساءل كم من الاشخاص من بين الاربعمائة مليون الذين يعيشون فى حماية العلم الازرق والاسود لمنظمة حلف شمال الاطلنطى يعرفون ماهو الحلف . والرد على هذا ليس ببعيد . ان أكثرهم لايعلمون بكل بساطة حتى وجودهم

أنفسهم بل ومازالوا يخلطون بين المنظمات العالميـــة المختلفة ولايعرفون ماهية طبيعة عملها .

منظمة حلف شمال الاطلنطى والرأى العام

ان حلف شمال الاطلنطى يشعر بعدم المبالاة فيما يختص بناحية العداء والتناقض فى الآراء . وكان هـــذا كامنا فى الفكرة التى ضحت باعتبارات هامة جدا فى عدم تكوينها لمصلحة للاســتعلامات مجهزة تجهيزا كافيا يمكنها من القيام بنشر كتيبات صغيرة وأفلام للدعاية والنشرات من جميع الانواع وتعمل على تسهيل الزيارات بين القادة الحربيين ورجال السياسة والصحفيين .. الخ .. وستساهم هذه المصلحة بدون شك فى تفهم هؤلاء الاشخاص مضافا اليهم عامة الشعب ماهية منظمة حلف الاطلطنى . ولن يقولوا بعد ذلك أن نتائج هذه المجهودات قد شعرت بها فرنسا على الاقل فى تكوين آرائها .

وقدتنتهى نظرتهم الى التعاون غيرالعسكرى بين أعضاء منظمة حلف شمال الاطلنطى بأن يذللوا عملها بذكرهم باختصار للمشاركة فى المجال العلمى . وفعلا أثير هذا الموضوع فى مناسبات عدة وعلى وجه الاخص عند اجتماع رجال برلمان حلف شمال الاطلنطى فى باريس عندما أثبت اطلاق الصاروخ «سوتنيك» الحقيقة الراسخة وهى تخلف الدول الغربية فى المجال الفنى .

وقدم بعد ذلك المسيو بينو خطة تستحق الفخر باسم الحكومة

الفرنسية والغرض الذى تهدف اليه تلك الخطة هو خلق « مجتمع عقلى» ولكن فى الحقيقة لم يحز المسيو بينو أى نجاح الا نجاحه فى الحيازة على تقدير الجميع فبناء على ذلك الطلب اجتمع مجلس الاطلنطى على مستوى رؤساء الحكومات ، وارتضى لنفسه الموافقة فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ على خلق لجنة علمية تتكاون من خبراء من الخمسة عشر دولة واقامة مركز للاستشارات العلمية للسكرتير العام للحلف . وكان يتضمن هذا القرار فى نفس الوقت بعض التدابير المختلفة للزيادة من فاعلية المجهودات العالمية وذلك بفضل القيام بتقسيم أفضل للابحاث والمحاولات ووضع خطة مشتركة للطرق العلمية والمستندات الاساسية ولسوء الحظ لم يعقد هذا القرار الا أنه قرار اذا قدر له أن يبقى نذرا افلاطونيا (نظريا بحتا) ويبدو هذا واضحا بعد اصدار التشريعات الامريكية الخاصة بالمحافظة على سرية الاختراعات الذرية التى أدت بدورها الى زيادة المنافسة القومية • ولكن فى هذه الاثناء حصلت الدول على نتائج عظيمة فى المجالات المدنية • لانه بدا من الصعب الحصول على أى معلومات زيادة فى المجال الحربى • ولكن الشىء الذى بقى لنا هو معرفة ما اذا كانت تلك القواعد والاسس تسمح لنا بالاجابة على تحدى احدى المنظمات التى تعطى لمشاريعها الاساسية الأفضلية المطلقة من الناحية النظرية من أن تطبقها عمليا فى ظل القانون •

الفصل التاسع

الدول الخمسة عشر امام الكرملين

والآن وبعد أن أصبح من المستحيل آن تتحول المنظمة الاطلنطية الى مجتمع اطلنطى ألا تطمع تلك المنظمة فى أن توسع حدودها بحيث أن تصبح حلفا عالميا له القدرة على الوقوف ضد اى تحد عالمى آخر ؟ وهل اذا بقيت منظمة حلف الاطلنطى على هذا الحال ستصبح قادرة على أن تتحمل هذاالتحدى وحدها وتدافع عن مجالاتها التى يمكن أن تحميها ؟

والاجابة على هذا السؤال تتطلب منا ان نتفق على معنى لطبيعة هذا التحدى لانه فى تلك اللحظة التى تم فيها التوقيع على حلف الاطلنطى سنة ١٩٤٩ كان يبدو اولا وقبل كل شيء حلفا عسكريا ولذلك فقد بقى هذا الحلف حتى هذا اليوم منظمة عسكرية . والسبب فى ذلك يرجع الى أن كل الاهتمام كان موجها الى تغيير الاسلحة الكلاسيكية التى كان التهديد الموجه اليها ظاهرا للغاية حين ذاك واننا لنجد حتى اليوم محاولات المنظمة المتكررة لتوزيع قدرتها التكتيكية بين الدول الاعضاء .

وفى هذه الاثناء نجد ان كثيرا من الاشخاص يعتقدون ان التهديد السوفيتى يعتبر أولا وقبل كل شىء تهديدا حربيا . كما يعتبر كل واحدمنهم ان هذاالتهديد فى طبيعته تهديد معقد للغاية كما انهم يعتقدون ان امتلاك الاسلحة ذات الاثر الفعال وامتلاك العدد الوفير منها لايعتبر بالنسبة للكرملين اكثر من آلات للحرب الباردة التى لايقل فى مضمارها قوة فاعلية عن الناحية الدبلوماسية والناحية الدعائية والاقتصادية والتجارية والفكرية والثقافية • ولكن اذ امتلك الحلف هذه الاسلحة فان الدول الداخلة فيه ستصبح هدفا مباشرا لجمهوريات الاتحاد السوفيتى الذى يسخر بالطبع من سلوك هؤلاء الاعضاء • ولقد تركت الطريقة الوحشية للضغط الذى مارسه موسكو ايام حكم ستالين وموكبه الحافل بضم الدول اليه عن طريق المذابح الانسانية والابادة الجماعية ، كل هذا ترك شيئا فى داخلية الحلف اختلفت الدول ـ الاعضاء فى تفسيره • ولكن الحاجة والضرورة أجبرتهم على اتحاد سريع وعلى اتخاذ التدابير فى بذل المجهودات العظيمة التى يعمل حسابها حتى تعيد قيام الميزان العسكرى وتدعيم النظم الديمقراطية • ولكن هذه الفترة قد انتهت وانقضى عهدها وليس من العجيب الآن أن تسمع من أكثر من زعيم غربى وهو يندم على ذلك الوقت الذى جعل فيه ستالين كل ذلك سهلا وممكنا •

قطبان

تقع المدرستان المتضادتان اليوم بين قطبين مختلفين ونجد فى

احدهما هؤلاء الذين يرغبون فى الاعتقاد فى مدى اخلاص القادة السوفييت ويبنون على ذلك تأملاتهم الدفاعية بما يتناسب وموقف هؤلاء العدائيين . فعلى سبيل المثال نجد أن هؤلاء يرون ضرورة عدم اعادة تسليح (بونديزوير) واما ان توضع جمهورية المانيا الديمقراطية فى حظيرة المناورات الحربية المخربة التى تعتبر برلين الشرقية مصدرا لها • ونرى ذلك واضحا فى جميع العمليات التى شنت فى السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٨ بغرض تصفية الاحتلال لعاصمة المانيا القديمة وفى الحقيقة فاننا نجد ان المعارضة تحتوى عناصر أكثر مما نراه .. أمامنا اذ تقف القوة الروسية فى نهاية الصفوف المعارضة للغرب •

ومن الضرورى ان تكون الاجابة التى يرغبون فى الوصول اليها فى مباحثات الكرملين معتمدة على الفكرة القائمة على هذه الدوافع • وتبشر طائفة المتشائمين المتشككين بأن جميع الابتسامات القادمة سيقام حولها ستار حديدى ، واعتبارها كل من يعطى امتيازا لاحد دون ان يحصل على ما يقابله مجرما حقيقيا اما هؤلاء الذين يتصفون بالتفاؤل فهم يميلون الى تفسير كل مايتعلق بقدرة بالضعف والاستكانة • وينصحون دائما باتخاذهم للخطوات الاولى نحو التوفيق •

وسيكون هذا التقسيم بالطبع تقسيما مبسطا ولكنه جائز بالنسبة للدول الداخلة فى حلف الاطلنطى لانه من الخطأ أن

نتصور ان الخمسة عشر دولة الاطلنطية قد انقسمت فيما بينهــا الى هاتين المجموعتين المتطرفتين ••• لانهم يستطيعون ان يرقبوا عن كثب وجود جناح قوى يستطيعون مقابلته فى تركيا والاراضى الواطئة التى بنيت عليها البرتغال تلك الدولة التى دائما ماتلتزم الصمت من جانبها ــ أما من جهةألمانيا فانها تميل فى جانبها ميلا طبيعيا فاشتراكها المحدود فى الحياة مع الدول الكبرى ، وموقعها المكشوف جعلها تمعن النظر فى كل ذلك الذى يمــكن أن يعتبر « اثارة » لها .

أماالدانمرك والنرويج فانهمايشكلان بين هذه الدول المعرضة للاعتداء السوفيتى امتيازا بالنسبة للاتحاد السوفيتى . اضف الى ذلك أن اتحاد الجمهورية السوفيتية يعتمد عند وضعه لخططه الحربية على موقف هاتين الدولتين مضافا اليهما كندا او اكثر من ذلك فانها تحدد موقفها فيما اذا كان لها أن «تنطلق» أم «لاتنطلق» ذلك لان هاتين الدولتين تثيران تحديا عظيما لها بالنسبة لاخلاصهما المتزايد للحلف . وقد رفضت الدولتان الإسكندنافيتان اقامة أى قواعد اطلاق الاسلحة الذرية المتوسطة المدى ، او بناء مخازن للاســلحة الذرية فى اراضيها ، ولذلك فهم يقعون فى منتصــف الطريق بين سياسة الحياد التى تتبعها السويد وسياسة الالتزام التام الذى تدين به أكثر الدول الاطلنطية الاخرى . وقد كانت النرويج على وشك ان تعلن فى بيانها السياسى الذى اصدرته عقب مباحثات وقعت عليها جمهوريات الاتحاد السوفيتى رغبتها فى عدم قبول وجود أى قواعد

امريكية على اراضيها • وكثيرا ما اعرب المستر خروشـــوف عن ارتياحه من جانب هاتين الدولتين •• وخصوصا عندما عقد ميثاق اوساووكوبنهاجن ، اللذين أعلن فيهما عن الاحوال السائدة اذ قال انه لايشعر بقلق بالغ لانضمام تلك الدولتين الى منظمة حلف شمال الاطلنطي .

ومن السهل جدا الان ان نضع الدول الاخرى البـــاقية بين الدول التي يتغير موقفها تبعا للتطورات التى تصيب سـياساتها الداخلية ففى ايطاليا مثلا كان المسيو « سينى » أكثر «اطلنطيا» من زميله المسيو فانفاني وفى فرنسا كان المسو بينو اقل من المســيو شومان وفى بريطانيا كان المستر بيفان يختلف تمام الاختلاف عن مستر سلوين لويد •

تحليل شخصية الجنرال ديجول

ان موقف فرنسا من الجنرال ديجول يتطلب منا بحثا أكثر اهتماما وأكثر تعمقا لان موقفها يفصح عن نفسه أنه أمام مشكلات ذات وجهات نظر مختلفة بل وتكاد أن تكون متناقضة . فالحكومة تصمم على موقف الثبات والحزم الذى تتخذه من الدول الشرقية ولكننا رأينا أن رئيس الحكومة قد اتنهج سبيل اللين منذ اجتماعه بمؤتمر الصحفيين فى مارس سنة ١٩٥٩ وقد بات هذا واضحا فى اعترافه بحدود أودر ـ نيس اذ تكلم بلغة كان من الممكن ان تؤدى الى حلق شعر قائلها لو كان قائلها احد من سبقوه الى الحكم . لانها اقتضت من

الحلف اشتراكه الفعلى فى تحمل الاخطـار التى قد تنشب عن مواقف التهديد التى يقفها المشاركون فيه •

وتقوم هذه السياسة على اساس فلسفة خاصة تتعلق بشخصية الجنرال ديجول فهى التى قادته الى تعليق اهمية بسيطة على الصدمات التى ترتطم بها المثل فى عالم المنافسة الابدى بين الاحزاب والدول • فبالنسبة لرئيس الجمهورية الخامسة تعتبر الظاهرة الروسية فى نظره لها تأثير عظيم على الظاهرة السوفيتية ذلك لان الشيوعية ليس أمامها الا هدفا واحدا وهو الاتساع الذى رسمه لها القياصرة وكانوا يهدفون اليه بكل ما اوتوا من قوة • وفى محاولتهم تقوية هذا النظام ونشره ابتدأ القناع الدكتاتورى ينقشع شـيئا فشيئا . وهو يعتقـد بالاضافة الى ما اعتقده أن الديناميكية الصينية ستصل فى النهاية الى التقابل مع الديناميكية السوفيتية ويشكلان تغيرات عظيمة وعميقـة ومن المحتمل أن يتسـبب ذلك فى بعض التغيرات فى الحلف الاطلنطى نفسه .

ومثل تلك النظرة الى الاشياء تتعارض بوضوح مع تلك النظرة التى كان ينظر بها المستر فوستر دالاس والتى كانت توصى اليه بالقيام بأشياء من نوع خاص . وبعد المناظرة التى ألقيت فى يوليو سنة ١٩٥٨ اختفى الوزير بعد محادثة طويلة دارت بينـه وبين الجنرال ديجول استعرضا فيها وجهات نظرهما وبالطبع كانت متعارضة ، اذ استعرض المستر دالاس بكل ما أوتى من قوة احد آرائه المليئة

فلسفتان بين رستامن وحروشوف اذ قال ان روح الشيوعية انها طبيعة فلسفية اولا وقبل كل شيء طبيعة شبيهة بالدين واعرب عن رأيه بأنها قد تنجح فى فرض قوانينها على العالم اجمع .

أما مفهوم ديجول وادراكه للاوطان فهو مفهوم الرجل الذى يؤمن بايديولوجيتها وأولويتها على كل شيء، وهذا التحليل والتفسير التاريخى قائم على الفكرة التى تؤمن بأن تقوم . وتطور الناحية الفنية لا يؤثر شيئا فى اعماق الاشياء ، وبأن العلاقات بين الرجال تشبه دائما تلك العلاقات القائمة بين الدول أنها تخضع لنفس القوانين حين وجودها أو عدم وجودها ، وهذه الفكرة تشرح جيدا وتفسر السلوك الحالى الذى تنتجه فرنسا وجها لوجه مع الشرق ووجها لوجه مع منظمة حلف الاطلنطى .

ولكن بما أن الاتساع الروسى يعتبر أولا وقبل كل شيء اتساعا روسيا فانه يجب أن يحد داخل حدود معينة . فلو استطاعوا أن يوضحوا فى الكرملين مكان هذه الحدود ووجوب عدم تعديهـا بدون الالتجاء الى حرب عالمية فانه سيمكن الوصول الى اتفاقات فرعية واتفاقات بشأن الوجود بين الامبراطوريتين الشرقية والغربية كما كان يحدث من قبل فى الأزمان المختلفة من التاريخ وبما أن سلامة الجمهورية هى القانون الاول فان واجب الدبلوماسى الفرنسى عدم وجوب وضعه موارد الدولة تحت رحمة بعض المثل غير المعروف أصلها . بل باستخدامه لجميع الطرق التى تعلن لهذه الموارد

أكبر نطاق للتأثير من أن تتركها لنظام ضعيف واهن قد يؤدى الى ضياعها وفنائها . ومن ثم فانه من المشروع أن تنتهز جميع الفرص لقيام بأى اتحاد أو مشاركة من شأنها أن تؤدى الى الدفاع الجماعى ذلك مادام الاتحاد لن يؤدى الى مجتمع واحد له كنيسة واحدة سيوضع فيها كل من الجسد والروح ، بل سيؤدى الى اتحـــاد من نوع معقد يعطى لهم ضـــمانات دفعوا من أجلها أعظم قدر من الفائدة .

وعلى هذافالجنرال ديجول له الحق فى عدم اختفائه وراء الحجب حينما لم يعد أو يعطى ثقته التامة للقادة والاداريين الأمريكيين وحينما رفض أن يخضع لهم خضوعا تاما . ولكنه فى نفس الوقت لم ينتهز أى فرصة ليظهر ان الجمهورية الفرنســية عبارة عن حليف مخلص ، وانها ليست بأى حال من الاحوال دولة تابعـــة أو محمية .

المفهوم البريطانى

لم يكن القادة البريطانيون بكل تأكيد بعيدين عن وجهات النظر هذه التى كانت تدفعهم الى الاعتقاد فى تلك الازمات التى كانت تؤثر من آن لآخر فى العلاقات بين لندن وباريس ـ ولم يصبحوا الآن يعلقون على المنافسات الفكرية مجرد تعليقات ثانوية ، كما أنهم لم يعودوا يرفضون اقامة سد منيع وجها لوجه مع الكتلة الشرقية

يمكن أن يعتبره بعض الاشخاص كشيء مناقض تمام المناقضة لدول الحلف، وعلى وجه الاخص حينما لم يستشيروا الحلف فى الاحوال الآتية والاعتراف بالصين الشعبية ، واعادة النظر فى وقف المتجات الاستراتيجية وفى زيارة حروشوف للندن وزيارة ماكميلان لموسكو — أضف الى ذلك أن بريطانيا لاترغب فى أن تعطى ثقتها العمياء للمشروعات الاطلنطلية • فهم كذلك أدركوا أهمية احتفاظهم بالحد الاقصى لتأثير دولتهم ومركزها فى داخل وخارج الحلف .

ومن ثم نرى أن أوجه الاختلاف هى تكتيكية فى مجموعها — ولكننا نرى فى نفس الوقت أن الانجليز يعترفون بأن احتفاظهم دائما بطابع الصداقة الامريكية قد عاد عليهم بأحسن النتائج وأعظمها ولذلك فهم يحاولون دائما الاحتفاظ بجبهة متحدة مع واشنجتون ، تاركين عملية التنظيم فى يد أصدقائهم كلية بحيث أن تؤدى الى حالة يرضى عنها الاثنان . وهذا هو السبب الذى يجعلهم لا يرفضون أبدا طلبا للولايات المتحدة الامريكية بشأن الناحية العسكرية • ودائما ما يأخذون مركز الصدارة قبل أن يتخذ الجنرال ديجـول أى قرار بشأن المواضيع التى يكونون بصددها •

وبالرغم من كل ما قيل فاننا نجد أن أعضـاء الحلف يتفقون جميعا على نقطة واحدة وهى : وجوب الاحتفاظ بموقف متحد تجاه الكرملين بالرغم من كل الظروف والملابسـات التى تحيط بهم ، بطريقة من الصعب هدم هذا الاتحاد مهما كانت الاختلافات بينهم •

وقد أمكن حتى وقتنا الحاضر امتصاص جميع التفـاوض فى التفكير وجميع الاختلافات فى التكتيكات ولكن لا يمكن ذلك فى العلاقات مع جمهوريات الاتحاد السوفيتى، ودائما انتهت جلسات حلف شمال الاطلنطى بنشر بيان سياسى ووفق عليه بالاجماع ولم نسجل الاحداث أى تصدع فى الجبهة الغربية المعارضة للمجهودات المستمرة التى يبذلها الممثلون السياسيون للاتحاد السوفيتى والدليل على ذلك الاتحاد فى الرأى الغربى فى جميع المؤتمرات المتتالية المنعقـدة بين وزراء الخارجيـة والتى كانت تهتم بأمر أوروبا وألمانيا مثل مؤتمر باريس سـنة ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ومؤتمر برلين سنة ١٩٥٤ ومؤتمر جنيف سنة ١٩٥٥ ، سـنة ١٩٥٩ أو تهتم بالمشكلات الآسيوية مثل مؤتمر جنيف ١٩٥٩ كما كانت تقسم تلك المؤتمرات بالمفاوضات المنظمة والمعارضة القائمة على أسس نظرية وتكتيك قوى فعال .

المتاعب التى تواجهنا فى الحصول على الرأى الجماعى

ولكننا نرى أن ضرورة الحصول على رأى عالمى عام تتفق عليه جميع الدول لا يمكن أن يمر بدون متاعب فجميع الافكار الايجابية لا يمكن أن يعمل بها دون موافقة الجميع ولقد رأينا أن جميـع الافكار الجريئة دائما تموت فى مهدها . ولقد برهنت الجماعة على أنها ممـلة وركيكة للغـاية ذلك لان كل دولة تخـاف من الدولة الأخرى وتعمل حسابها لذلك فهى لا توافق على أى اقتراح

الا اذا أعتبر بالنسبة للدول أجمع عبارة عن قضية ذات افتراضات تقليدية •

وخطة السلم التي قدمتها الدول الغربية على بساط بحث مؤتمر جنيف في مايو ١٩٥٣ هي مثل جميل تنطبق عليه هذه القاعدة فمجرد وضع نقاطها الاساسية استغرق عدة شهور فهي عبارة عن تحفة صغيرة تدل على الألمعية الفنية فلكي لا تغضب هذه الخطة أحد فقد خلعوا جميع أسنانها كما يقول المثل الامريكي واذا ما بحث الانسان عن فكرة لها قوتها في هذه الخطة فان بحثه سيذهب عبثا ومن ثم فان تأثيرها على الرأى العالمي كان لا يساوى شيئا من حيث القوة •

وهذه الخطة ازدادت فاعليتها أكثر مما كانت عليه في المناظرات العظيمة الخاصة في السياسة الخارجية • فقد كانت أعصاب الدول جميعا موضوعة في باقة من الزهور ذلك لان السلم كان موضوعا تحت رحمة أناس قصيرى النظر يخضعون بالتأثير ومن ذلك الوقت وهم متعودون على الشعور بالخطر قبل الوصول الى ميدان اللعب الحقيقي الذي يعتبر بالنسبة لهم مكان الراحة العظمى • فكان يقول لكل واحد منهم أنه لا يوجد أحد على غير حق أو أحد يمكن أن يقال عنه أنه أحمق حتى وبعد اختراع الاسلحة الحديثة التي يمكن قذفها في حالة الحرب كما انهم يعتبرون أن ـ المستر خروشوف ليس أحمق بأى حال من الاحوال .

ولم تحصل الحكومات على أى عاطفة من الشعوب في الوقت

الذي حدثت فيه أزمة الشرق الادنى وأزمة كيموى التى وقعت فى صيف سنة ١٩٥٨ ولم يأخذ أحد على محمل الجد مشكلة برلين وربما هذا هو مايفسر فشـــل محاولة الارهاب التى ظهرت فى الكرملين . فهل معنى هذا هو لعب الآراء دورا كبيرا أكثر مما ينبغى فى توضيح وجهات النظر المختلفة ؟ اننا لسنامتأكدين من هذا ولكن هذا الدور تمارسه الحكومات بطريقة أكثر فطنة وعلى الاخص الحكومات الغربية التى قد نجحت فيه الآن أكثر مما كانت فى الماضى لكننا نجد بعض التفاوت بالنسبة للدول المختلفة والاحوال السائدة فى هذه الدول .

ففى انجلترا مثلا انتشرت فكرة أن المحادثات على نطاق منظمات صغيرة بين الدول الكبرى فى هذا العالم مفيدة جدا لكثير من المحادثات على نطاق واسع . وهذا العنصر بالطبع من الصعب جدا اهماله فى فترة الانتخابات . فمن المحتمل جدا اهماله فى فترة الانتخابات . فمن المحتمل جدا أن المستر ماكميلان كان من الممكن ألا يقوم برحلته الى موسكو فى عام ١٩٥٩ لو لم يكن المشرع البريطانى قد اقترب من نهاية مدة خدمته . وكان من المحتمل كذلك ألا يحصل على هذه الاغلبية لو لم يعط لهذه الرحلة الفضل الاول فى خلق جو من الهـدوء والتراخى تم فى خلاله جميع الاستشارات والمفاوضـات الهـامة .

أما فى ألمانيا ، فاننا نجد أن الديمقراطيين الاشتراكيين يبدون

ابعد من زملائهم البريطانيين عن السلطه . ولقد اتهمت هجماتهم المنكوره ضد «الركود» الرسمي وضد رئيس دولتهم بانهم لايريدون في الحقيقة اعادة الوحدة الالمانية كما كانت، ولذلك انتهت هجماتهم دون أن تحدث أي التواء في سياسة الحكومة • وهم لا يشكون في قبول الدول الغربية في وجود وزيرة خارجية بانكو في مؤتمر جنيف المنعقد في خريف سنة ١٩٥٩ •

ونجد في دول أخرى أن وجود رأى من الآراء يدل على وجود معنى مغاير له ، ولا يمكن لأى انسان أن يمسك بزمام الموقف • ولكن بما ان الحكومة من المحتمل أن تخاف تأثير هبوط في السياسة الخارجية مفاجيء على سياستها الداخلية مثلما حدث في ايطاليا فقد استغرقت الحكومة الايطالية سنوات عديدة في شرحها للاشخاص المخمورين بأن جميع الافكار التي تعتريهم من الشيوعية ماهى الا أفكار منافية للاخلاق بجميع معانيها . ولم يكن من السهل الاحتفاظ بخط مستقيم في اليوم الذي أعد فيه رئيس الاتحاد والجزيرة لاستقبال المستر خروشوف بنفس التحيات التي يتطلبها البروتوكول نحو رئيس الحكومة • وهذا بدون شك هو العنصر الاسامى الذي يفسر سبب السرعة التي بحث بها المستر أنطونيو سيني والمستر بيللا عن شيء يؤكد موافقة أميريكا على السياسة الاطلنطلية وذلك بقيامهم بزيارتين احداهما لباريس والاخرى لواشنجتون في سبتمبر سنة ١٩٥٩ . ويجب أن يفهم أن ذكرنا لهذه الحالة ماهو الا مثل أردنا تقديمه للقاريء •

والتعوا اخيرا بان يلاحظوا ان الرأى فى عصرنا هذا ما هو الا ظاهرة طبيعية فى شكل قومى • فكل ما يظنونه وما يفكرون فيه تجاه افريقيا واسيا يؤثر كثيرا على السياسة الاطلنطية بل وعلى اراء المرشحين فى «جراند رابيد» وفى مانشستر وكريمبر ـ كورينثين فالامم المتحدة قد اقيمت أعمدتها على هيئة محكمة ذات ضمير عالمى والجمهورية الخامسة نفسها قد ولدت مع أنها قامت على أساس تفكير قومى مطلق الا أنها يجب أن تعمل لهذه الجمعية حسابا • أما من جهة انجلترا فهى لا تنسى فى أى لحظة كانت أنها مشتركة فى الكمنولث: فلم يكن تأثير الهند وكندا بسيطا فى سنة ١٩٥٦ فى اسقاط السير أنتونى ايدن بسبب حملته التى شنها على السويس •

من السهل جدا التأسى على هذا التطور ، وأسهل منه ألا يعمل الانسان حسابا له ، وستبقى الدول المشتركة على عدم اتمام نفسها فى هذا الموضوع عواصم لهؤلاء الذين لا يريدون أن يفقدوا الحرب الباردة ، والذين لا يريدون ادانتهم أمام الحلقة الدولية •

الفصل العاشر

الصراع الجديد بين الطبقات

نحن الذين سنهزم لاننا «الاقوى» وكان يبدو أن العظمة التى اشتهرت بها ساحة الحرب ١٩٣٩ ــ ١٩٤٠ مازالت حتى الآن هى التى تسير .. الدعـاية الاطلنطية تدفعهـا الى الامام . وكثيرا مايكون لنـا أن الخمس عشرة دولة الاعضـاء لايمثل مجموع سكانهم سوى الخلية السادسة من العـالم فهم (٤٤٣٠٠٠٠٠٠ الى ٢٧٠٠٠٠٠٠٠) وينتجون بمفردهم حوالى ٦٠ الى ٧٠٪ من الفحم ومن الصلب والحديد الزهر والكهرباء والالمنيوم ، وحامض الكبريتيك وحوالى ٥٥ ٪ من الاسمنت ، ٤٦ ٪ من البترول وأخيرا وليس آخرا ٩٧٪ من سيارات السياحة .

ولا يمكن لاحد أن يعترض على مدى أهميـة تلك الارقام . فتلك الارقام ذات مغزى أعمق من لو أنها قيدت فى محيط اقتصادى كامل النمو ، ولما كانت تلك الدول قادرة على قيادة جبهة قوية دون ارتكاب أى حوادث ، كما أنها قادرة على اعادة تسليح نفسها بنفسها وتحسين مستوى الحياة بوجه عام ، والقيام باستثمارات عظيمة وضخمة

فى أماكن المواد الخام نفسها • وبالرغم من هذا فقد تأثرت قيمته بمعدلات النمو فى الانتاج التى تسجلها دول المعسكر الاشتراكى وعلى الاخص فى روسيا والصين الشعبية • ولذلك فيمكنهم تحديد الاحتياطى على بعض الحقائق التى يحصلون عليها من سجلات الاحصاء الرسمية فبكين مثلا اعترفت تلقائيا فى سنة ١٩٥٩ باخطائهـا فى تقريرها للمواد الخام ــ ولكن بدون شك فقد كانت المواد الخام الموجودة فيها اعظم من تلك الموجودة فى الدول الغربية وخصوصـا فيما يختص بالطاقات وانتاج القواعد على الاقل •

ولقد رأينا أن محاولة المقارنة بين النتائج الصناعية ومستويات المعيشة فى بلد تعيش على جانب من الستار الحـــديدى كانت دائما ماتكون خاطئة بسبب عدم وجود المواد الحقيقية المقارن بينها • وبالرغم من هذا لايمكن التباهى والتفاخر بالنظام الاقتصادى معتمدين على ذلك على كبر حجم الانتاج او كبر حجم الاستهلاك ذلك لان نقط البدء تختلف تمام الاختلاف . ففى سنة ١٩١٣ كانت روسيا مازالت فى بداية فجر تصنعها فى حين كانت فرنسا والمانيا والولايات المتحدة وانجلترا فى اوج عظمتهم ــ وجاءت الحرب التى استمرت فيما بين ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ وأوقعت بالاتحاد السوفييتى واقتصادياته مصيبة عظيمة اعظم مما وقعت بأى بلد أخرى من دول الحلفـــاء الغربيين ، وعلى وجه أخص أمريكا التى نجحت فى الهروب من الغزو وضرب القنابل التى ابتلى بها الحلفاء .

ولقد استطاعوا بعد ذلك ان يحسموا على المبدأ الذى طبقوه فى نطاق الزراعة وهو المبدأ القائل بأن الوسائل الفردية الحرة كانت اقوى بكثير واكثر فاعلية بين الوسائل الاشتراكية . ولقد كلفت الجماعية فى روسيا ثمنا خياليا من حياة البشر فيقول ستالين للجنرال ديجول . انها معركة أقوى وأصعب بكثير من تلك المعركة التى خاضوها فى ستالنجراد ، ولقد أكد هذا القول عدد مازهقت من ارواح فى احباط الثورة فى بولونيا والمجر ويوغوسلافيا .

واليوم تستطيع الولايات المتحدة ان تفخر على الاتحاد السوفيتى بقدرتها على التغلب على المناقضات الشهيرة بين المدينة والقرية التى أمر ماركس الشيوعيين بالعمل على القضاء عليها . ولكن اليوم فان الصين تعتبر مثلا أمامنا اذ أنها نجحت بفضل نظامها الاشتراكى الجمهورى الذى دفعها الى التقدم السريع ، ونحن نعتبرها الدولة الوحيدة من الدول الأسيوية التى اتسعت اتساعا عظيما فى انتاجها الزراعى ، ونجاحها فى هذا المضمار قلل من قوة الاختلاف بين الطبقات . والشىء الذى يجب عمله نحو شعب متمسك بمبادئه القديمة التى تؤمن بالفردية ذلك الشعب الذى تعود ان يأكل قبل ان يجوع بقليل هو الشعب الذى يعى الزيادة السريعة فى انتاج المواد الغذائية الاولية .

المثالية لاصحاب الوهم والخيال

لم تكن الارقام التى نشرتها منظمة حلف شمال الاطلنطى بأى

حال من الاحوال ذات معنى جماعي ، فلقد اعطيت الميدالية لاصحاب الاحلام فالتفكير في مستوى المعيشة في الدول الغربية يتطلب من التخلص من أي تفكيرات أو تأملات تعكر ضفونا فالولايات المتحدة وحدها تستهلك ما يقرب من نصف الانتاج العالمى من المعادن الخام بالرغم من ان شعبها يعتبر ١٥،١ من الشعوب العالمية ولكن يجب على ثلثى البشر ان يقنعوا بخمسة في المائة من هذا الانتاج ، ذلك لان الامريكي يستهلك ٣١٢٠ وحدة حرارية يوميا وهو يعتبر بالنسبة للرأى العالمى مستهلكا لـ ٣٠٠ وحدة حرارية اكثر من الوحدات الغذائية اللازمة للشخص العادى ، فالهندى فى المتوسط لايستهلك أكثر من ٢٠٠٠ وحدة . وهى تعيد الى الاذهان ان الغذاء فى البلدان الاسيوية مختل الميزان بالنسبة لقلة البروتينات التى تسبب عنها أمراض سوء التغذية .

وأقول لكم وأنا متأكد بأنه يوجد مفارقات ضخمة في داخل كل دولة داخلة ضمن نطاق الحلف الاطلنطى ، ففى البرتغال والجزائر وايطاليا واليونان وتركيا آلاف بل وملايين من الشعوب الجائعة البائسة المكتملة ، ففى الولايات المتحدة وحدها يوجد أربعة ملايين من المتعطلين الذين لايركبون الكاديلاك كما يظن البعض ويمكنك مقابلتهم في داخل المدن الامريكية العظيمة والشهيرة وانهم يكونون كتلة متراصة من الطبقة الكادحة فى أغنى بلد فى العالم وفى فرنسا تجد آلاف ـ العائلات المكدسة فى الاكواخ التى لاحصر لها . ولذلك فان كلمات الحضارة المسيحية ـ ومصطلحات الحضارة

الاوروبية التى تستخدمها الدعاية الرسمية للدولة تدق فى آذانهم كما لو انها قرع طبول يثيرهم الى العمل والتوثب •

ولكن بالرغم من هـــذا يعتبر البؤس فى معظم دول حلف شمال الاطلنطى بؤسا طفيفا . ويمكن القضاء عليه ببعض المحاولات البسيطة نسبيا ، ذلك لانه لايعتبر ظاهرة طبيعية رئيسية ساحقة على جميع البلدان بحيث يعم على كل الآخرين المتصلين بها بشكل أو بآخر فالصراع السياسى والاجتماعى والنظام الضرائبى فى فرنسا وانجلترا تغيروا كما تغير بناء المجتمع نفسه فى أمريكا وغطى الظل العريض الاختلافات الطبقية • واصبحت الثروة التى جنتها الطبقة العليا من الشعب العامل تسخر من تنبؤات الشيوعيين عن الفقر والفاقة الجماعية فقد تزايدت اواصر الصلة وتعاد والتضامن بين الطبقة العاملة بسبب رد فعل البرجوازيين الفقراء وعائلاتهم التى تحسنت حالتهم ، وتزايدت أواصر الصلة كذلك بفضل انطلاقة بعض الصـــناعات التى قادت رؤساءهم الى العمل على تحسين أحوالهم ليس على أساس الصراع فى داخل القنينـــة القومية بل بالعمل الدائب فى داخل المشروعات نفسها .

أما فى بعض الدول الأخرى فاننا نجد أن القوى الشعبية دائبة الصراع والمقاومة للمصالح الشخصية ويطلق على هذه البلدان «دولا ذات مشاكل داخلية ناتجة عن التخلف الاقتصادى الداخلى ، وهذه المشاكل تظهر على وجه الاخص عند تنسيق تقييم بعض المناطق ، أو فى ترقية العمال أو فى ادارة اليد العاملة وهذه الحالة هى السائدة

في ايطاليا على وجه الاخص حيث يحاولون تثبيت معدل زيادة المواليد وحيث ينظم التقدم والتحصن ولكن لايأتى عن طريق الاثارة ، وحيث يقل استهلاك الدقيق لصالح استهلاك اللحم . وهـــذه هى الحالة كذلك مع فرنسا تلك الدولة التى أطلقت العنان لحظة عظيمة فى الجزائر غرضـــــها تقييم زيادة مســـتوى المعيشة ، انها تفعل ما لاتستطيع أن تفعله حكومة قائمة من ذات سكان البلاد الاصليين .

وكانت النتائج التى ترتبت على جميع هذه التغيرات تأثيرا ملموسا على الاقلال من الاغراء الشيوعى فى داخل المعسكر الاطلنطى نفسه وقد كان تأثيره عظيما فى مغزاه فى داخل ثمان دول من الدول الاعضاء . ففى تركيا والبرتغال اوقف الحزب الشيوعى من ممارسة تأثيره وبذلك لم يعد له أى تأثير يذكر بعد ذلك . وفى فرنسا كان اليساريون المتطرفون مناوئين لاربعة ملايين من الناخبين ولذلك لحقهم العجز وأصبحوا غير قادرين على ان يكونوا فى مايو سنة ١٩٥٨ الجزء الاعظم الذى تتكون منه فى العادة رد الطبقة العاملة على محاولات المستفيدين من الحرب والفاشيين ففى ايطاليا نفسها فقد المجلس الخصوصى الآن جميع سلطاته ومراكزه فى البرلمان بل وفقد الامل الذى كان يراوده من مدة عشر سنوات فى الغزو السريع نحو السلطة والسيادة . وفى الحقيقة أن الدولة الوحيدة الداخلة فى الحلف والذى تبدو فيها الشيوعية تسير بخطوات سريعة هى دولة اليونان ــ ولكن سرعان ماذابت تلك التأثيرات الشيوعية بفضل

تكوين حزب تقدمي ذي قوة فعلية قانونية نجح آخيرا في تفتيت كثير من قدراتها بل وقد استطاع أيضا أن يؤدى الى القضاءالتام على الاشتراكية فيها .

سيكشف ثلث العالم عن مواطن البؤس فيه

ايتها الطبقة الكادحة في جيع البلدان ، فلتتحدوا وتتجمعوا هكذا قال مركس في منشوره الشـــيوعي . واليوم انهم يعيدون الى أذهانهم بمحض ارادتهم انه كان يقصد بذلك انتصار الطبقة العاملة في الدول الصناعية الاوربيه مبتدئا بألمانيـا ، وبذلك تدور وتدور حتى يظهر تاج القيادة فوق رأسها . ولكن صراع الطبقات الذيغطته الظلال في داخل العالم البرجوازي ماكان ليستريح قليلاثم لتجذو ناره ثانية بين العالم البرجوازي نفسه والدول الاخرى . فعملية الثراء بالنسبة لدولة مايقابلها في كثير من الاحيان عملية افقار لدولة أخرى وماأعنيةهنا هو البلدان المتخلفة التي تكون مايقرب من ثلث العالم وتشعر على الاقل بشعور تقدمي رغم بؤسها وفقرها .

فبالرغم من الخطط الجريئة التي قدمت في حقل العمل لم تنجح حتى الان أي واحدة منها في تحسين مستوى معيشة السكان بطريقة ملموسة . فالخوف من عدم الاستطاعة هو الذي يدفعهم الى التقليل من المستويات المعيشية . ولقد حللت الاسباب التي ادت الى هذه الحالة مئات المرات ، وكانت تصل في النهاية الى كتابة بعض أسطر ذات الكلمات القليله . فيوجد اولا وقبل كل شيء مايسميه المستر « جاستون بوتهول » بالحرف الواحد ، التغيرات في احصائيات المواليد والأمراض التي

تصيبهم » وهذا يعنى حدوث تغيير حقيقى فى المجال الانسانى ، ذى التقدم الذى يناوىء تزايد العمال من اتناجية العددية (اذ لم يكن يتعدى عدد الأرواح التى تقتات على وجه البسيطة ٤٥٠ مليونا فى سـنة ١٦٥٠ فى حين أنه أصبح ١١٠٠ مليون بعـد قرنين من الزمان) ويرجع الفضل فى هـذا الى التقـدم الطبى والصحى الذين كانا يسيران بسرعة خيالية . فالصين وحدها يوجد بها اليوم حوالى ٦٠٠ مليون من السكان من بينهم حوالى النصف أقل من ثمانية عشر عاما . انهم يسيرون نحو المليار فى نهاية هذا القرن . كما أن الزيادة التى حدثت فى الهند فى عشر سنوات تتعدى شعب فرنسا كله . أما فهم يتحدثون عنها القليل لأن نقطة تحولها كانت أقل تأثيرا ، اذ انها أصبحت ممزقة أمام التزايد فى سكانها ، اذا اقترحت احدى النشرات الرسمية منذ عدة سنوات تحديد الحد الأدنى لسن الزواج بخمسة وعشرين عاما ، ومنع المواطنين من انجاب الأطفال لمدة عامين .

وقد أصدرت بعض القرارات المشـابهة لتلك التى ذكرناها بخصوص .. الناحية الانجابية والمرضية فى بعض الاقطار التى مازالت تعانى حالة سوء تغذية مزمنة ونتج بسببها بعض الآثار التى يرثى لها اذ أننا نجد أن مقدرتهم الانمائية تدخل خلال حدود ضيقة جـدا وذلك لسببين رئيسيين .

أولهما : تمسكهم بالحضارة فيما قبل التقدم الصناعى ، اذ تعتمد معظم اقتصادياتهم على مواد أولية يعتبرون منتجين لها بشكل ضخم

ولكنهم يغرقون بها الاسواق العالمية . وفي بعض الأحوال نجدهم يعتمدون عمليا على انتاج من نوع واحد فقط فالبترول بالنسبة للعراق وايران والعربية السعودية وفنزويلا والقطن بالنسبة لمصر والسودان والسكر بالنسبة لجمهوريات أمريكا الوسطى . وفي بعض الأحيان يعاني هذا النوع هبوطا هائلا في انتاجه فتتساقط جميع الخطط الموضوعة وتنهار الآمال ويعود القطر أو الدولة محاولا اعادة التخطيط .

وثانيهما : هو عدم كفاية مقدرتهم الاستثمارية • اذ أن الجزء المقتطع من دخلها القومي وخصص لتقدمهم الاقتصادي قد نقص الى حد كبير لأنهم يجدون أنفسهم مضطرين على سد الحاجة الماسة التي يتطلبها شعبهم الذي أصبح على وشك مجاعة • أضف الى ذلك أن المساعدات التي يتسلمونها من الخارج يتكون معظمها من سلع استهلاكية وليس من آلات أو عدد انتاجية .

وفي نفس الوقت تستطيع الدول الكبرى بفضل الزيادة المستمرة في دخلها القومي أن تسمح بزيادة الجزء المخصص من هذا الدخل للاستثمارات • وبما أن هذه الدول الأخيرة يتزايد انتاجها بدون وضع حد له • وبما ان هذا الانتاج يؤثر في الحياة الشخصية والعامة فستكون النتيجة الحتمية هو زيادة هوة الاتساع بين الفقير والغني ستستمر ولن تنقطع • وهذا الذي ذكرته يكون في مجموعة ناجحة مميزة للعالم الحديث ، ولكن لايشعر بها أصحاب الامتيازات والثروات واذا ماشعروا فسيكون ذلك في القليل النادر •

ضعف الاعضاء البرلمانيين .

وكانت النتائج لتلك الحالة من الأمور ، اذا ما استثنينا الاعتبارات الأخلاقية نتائجا وخيمة للغاية على المعسكر الذى يسمى نفسه بالمعسكر الحر .

ففى الحقيقة فقد خلقت هذه الحالة فى معظم الأحوال شعورا بالحقد والحسد المتزايد من هذه الدول المتخلفة نحو هذه الدول التى تساعدها ولو بالشيء القليل . فبالامس كانت هذه الدول تنسى وتتجاهل تعاسة حظها ، ولكننا اليوم نسمع راديو موسكو وبكين يشرح لهم كيف أن السينما الامريكية تبين لهم كل اليوم كيفية حياة « المستعمرين » ومن ثم خلق فى داخل المجال العالمى حالة تشبه حالة ماقبل الثورة التى كانت سائدة فى أوروبا فى سنة ١٧٨٩ . أما من جهة أخرى ، فان هذه الحالة من الأمور قادت الدول الحديثة الاستقلال الى السؤال فى مدى قيمة الدساتير البرلمانية التى شوقتهم تلك الدول اليها بلا استثناء ألم يبرهنوا على أن الصين وحدها هى فى طريقها الى التغلب على تلك الخطيئة الأولى الموجودة فى القرن العشرين وهى التى تعتبر الميزان الذى يوازن دائما بين الحاجة والثروات ، والسبب فى هذا يرجع الى أن حكامها أقاموا حولها نظاما وستارا حديديا . ولكن رويدا رويدا سيعرف مكافحتهامن شربوا من كاس الحرية الديمقراطية فى فرنسا وانجلترا . ان الحرية السياسية ماهى الا وسيلة من وسائل الترف محتفظ بها للطبقات الغنية فى جميع الأقطار .

فيعلق « تبور منير » بحق على أن الانتخابات العامة لم تعمم فى الدول الغربية الا بعد الثورة الصناعية الكبرى . أضف الى ذلك أن الهند التى يحكمها نهرو وكانت آخر الدول المستقلة التى احتفظت بالنظام الحر فيها ، ولكنها عرفت بعد ذلك بقليل باخفاق اصلاحاتها الزراعية وطغت صفاتها على نظام الحكم الذى تلا ذلك .

واليوم نرى ان الموقف قد ازداد تفاقما بسبب العمل الذى وضعته جمهوريات الاتحاد السوفيتى فى خط موازا أمام الرأى العام فى اعطاء رأيه عن مدى كفاءة نظامين متنافسين يرميان الى اشباع الحاجات الأساسية للانسان فقد وضعت فى وجه الرأسمالية زعماء من بين الفقراء . فبالامس القريب قد بشر موسولينى باقامة حلف بين الدول « الدول العاملة » ضد الدول الرأسمالية . ولكن ذلك النداء لم يكن الا مجرد قوة دعائية بدون صدى . أما فى خارج أوروبا فقد أصبحت اليابان بالنسبة للملايين من الرجال هى الكلمة السحرية التى ستفتح لهم أبواب الحياة التى ستكون على أقل تقدير باعثة للحياة والبقاء .

واذا ماواجهنا هذه المجموعة من الاحداث ذات التقسيمات التى تمثل فى ناحية منها الدول الأفروآسيوية ، نجد ان الحلف الاطلنطى لبس أمامه مجالا للاختيار الا بين طريقين وأولهما هو أن يتقبل بلاخجل الموقف الحالى دون أن يبحث عن دواءله ، وثانيهما هو بذل مجهود حاسم للوصول الى نهاية وحل لهذا الموضوع .

ويذهب الفريق الاول فى اتجاه لا يرمى الى تعيين شخص معين لحمل لواء المثل الأخلاقية بل الى تكوين نقابة من الملاك يعملون على صيانة أملاكهم والاحتفاظ بثرواتهم ومراكزهم • وهذا القرار يتضمن بدوره انهم قد شعروا بالجفاف يعلو فى حلقهم وان قلوبهم قد أصابها المرض • وهذا يتضمن كذلك نهاية الحريات الأساسية التى تكمن دائما وتبقى فى الديمقراطية ، تلك الديمقراطية الفردية ، والديمقراطية الجماعية التى يفضل أصحابها السخاء والاعطاء عن الأنانية والبخل. وهذا يتضمن بدوره أيضا قبولهم للصراع مع الشرف فى داخل الطريق الذى اشتبك فيه المتراهنون من جهة ، والذين انتزعت ملكيتهم فى الجهة الأخرى •

ولكن من غير المحتمل أن العالم الاطلنطى يطبق أو يعتنق عن قصد نظرية مثل تلك • ولكننا غير متأكدين ان هذه النظرية قد تؤثر عليه جزئيا • وهذا هو ما يدفعه الى أن يمكن النظر عند اختياره بعض الدول لعقد معاهدات خارجية وكذلك بالنسبة لالقاب الأعضاء الداخلية فيه • فالكثيرون لا يعتنقون الديمقراطية الا عن كبر والاتهام الشيوعى لهم يوجه دائما اليهم على صورة اتهام موجه الى مجرم غير موجود مكان الجريمة ، والتزم الصمت فى بيته ، ولذلك فهى تثير فى مستعمراتهم جميع أشكال المعارضات ولكى يصيغوا اسمها من جميع أنواع الاخشاب فانهم يتشجعون بشكل واضح فى الدول غير الداخلة فى أى شكل من أشكال التحدى ضـــد الغرب وينشرون ••

بيانات كثيرا ماتخدع هـذه الدول ولكن بالرغم من هـذا من السهل جدا الكشف عن نقاب نفاقهم ومداهنتهم تلك .

فاننا نجدأن هذه الدول « غير الداخلة » تمثل مليارا من بنى الانسان يتزايدون بسرعة فائقة ارتضوا لنفسهم أن يقتربوا من الضمير والشعور العالمى بعد أن قضوا قرونا فى العزلة السيكولوجية . فمؤتمر باندونج ألقى أساس جبهة عالمية قوية متكونة من الشعوب الحديثة التكوين .. ومعظم هذه الشعوب قد حصلت من روسيا على مساعدات غير مشروطة وان كان بعض حكامهم يعرفون انه من الممكن أن تصبح عائقا يقف فى طريقهم ـ ولكن بالرغم من هذا فقد جذبوا عطف تلك الدول نحوهم ومشاركتهم الوجدانية أكثر مما شعروا نحو الديمقراطية الغربية ، لأنهم رأوا فيها بطلا يحمل المثل التقدمية الملائمة لتحرر الشعوب بوجه عام ـ ذلك منذ اللحظة الأولى التى لايجدون فيهـا أنفسهم تحت سيطرتها . ذلك لأنهم يعرفون جيـدا ان الـدول الاستعمارية السابقة التى كانت الولايات المتحدة تدخل ضمنها كانت متضامنة فيما بينها لدرجة انها لم يكن من السهل عليها أن تترك قطعة من الأرض فرضت عليها سيطرتها من قبل حتى انها وبعد أن تترك تلك الأرض فهى تحتفظ ببعض الحقوق فيها .

وجوب اعطاء مساعدة ضخمة

من الكافى جدا أن أبين هنا أن عددا كبيرا من الزعماء الغربيين ولكننى لا أقول هنا كلهم لأن معظمهم مرضى بمرض الوهم والخيال

يوصون بأن تقدم دول منظمة حلف شمال الأطلنطي مساعدات ضخمة للدول المتخلفة اقتصاديا ، لأن هذه الدول هي فقط التي تستطيع أن تساعدهم على الهروب من اغواء الشيوعية وفتنتها وتبعدهم عن العقيدة الراسخة من أن الغرب متحفظ ورجعي ويعتبر نفسه عدوا لجميع التقدمات الاجتماعية . وفعلا حمل لواء هذه الدعوة كثير جدا من الأعضاء المشتركين في الحلف وكانت في مقدمتهم ايطاليا وتلتها فرنسا فلقد حذرهم الجنرال ديجول من سلطته في هذا المضمار لأنه انتهز كل فرصة كانت تحين له فيه ، فقد استهل أعماله في الجزائر فكون جماعة تقوم بتنفيذ خطة استثمارية غرضها الخدمة الانسانية وهذه الخطة تتفق تماما والمعنى الذي نرمي اليه .

وأول مايجب أن نضعه أمام أعيننا هو عدم وجود اثارة المناقشات في هذا المجال حول المؤسسين لهذه السياسة ، فالشخص الوحيد الذي يستطيع أن يتحاشى تكوين تحالف عالمي ضد الرأسماليين والقضاء التام عليها هو ذلك الذي عنده الرزانة التامة حتى لاتنقلب بين يديه الحرية رأسا على عقب — ولكن ليست المسألة مجرد توجيه بل المسألة في أعماق جذورها هي مشكلة اتساع ذهني واستخدام طريقة للوصول الى الهدف المنشود .

ولقد وصل الى حل أول سؤال وكانت الاجابة عليه بالنص ، اذ توجد بعض الدول المشتركة في تقديم المساعدات للدول النامية التي ترفع علم منظمة حلف الاطلنطي على أراضيها ، وكان هذا كافيا جدا

بالنسبة للعلم على أن يمحو كل مالديه من جاذبية • ففى الحقيقة لهـذا انعلم شهرة غير محدودة فى خارج المجال الذى يحميه ، ولذلك فهو يدعو الى الشك فى جميع المناطق التى يغطيها . الا تتذكر ماذاحدث عند نشر « مبدأ ايزنهاور » أى بمعنى آخر برامج المساعدة التى وجهتها الولايات المتحدة نحو دول الشرق الأدنى التى كانت مشكوكا فيهـا بالنوايا الاستعمارية بالنسبة لموقفها من مشكلة السويس • فبين القضاء السريع عليها على أن الشعوب التى أتت للاستيلاء على استقلالهـم والقضاء عليه يهمها أولا وقبل كل شىء ألا تتعرض للشبهات فى مقابل لاشىء ، فهم دائمو الخوف لئلا تشتريهم تلك الدولة بمساعداتها.

أما اتحاد جمهوريات الاتحاد السوفييتى والصين فهم شديدو الحذر جدا ولذلك فهم دائمو التأكيد بأنهم لا يفترضون أى شروط ولا يرمون الى أى مآرب سياسية بمساعداتهم المالية والفنيـة التى يقدمونها فى مقابل أثمان رخيصة للغاية ولحسن الحظ للغرب اذ ظهر سلوك الكرملين عن سخاء لم يكن يفكرون فيه من قبل اذ أننا رأينا أنهم قد أوقفوا مساعداتهم ليوغوسلافيا وفنلاندا والجمهورية العربية

ولا يمكن أن تمكن فرصة الغرب فى شىء الا فى البرهنة على عدم اكتراثهم أو احتمالهم ، اذ انهم الغوا برنامج المساعدت من داخل مجال الحرب الباردة وأوحوا الى موسكو بعمل انسانى عـالمى داخل اطار هيئة الأمم المتحدة ولذلك فقد رأينا تردد هؤلاء الذين ينتظرون شيئا من وراء مساعداتهم فى الادلاء بأصواتهم أو الموافقة على هذا المشروع ، ولكن يجب أن يعلموا انه ليس هناك حلا آخر .

لسوء الحظ أن المشكلة التي تواجهنا اليوم هي مشكلة مقدار الخامة الحسنة التي يجب أن تنفق ، فالحسنة قادرة بكل تأكيد على تخفيف الآلام الوقتية ، ولكنها غير قادرة على تغيير البناء الاقتصادي والاجتماعي أو الحالة السيكولوجية .. السائدة . ولذلك فيجب التفكير في شيء له اعتباره . ذلك لأن هذه المساعدة .. ستبقى حلقة في داخل نطاق الحرب الباردة وستعتبر عملية مقاومة ضد الشيوعية واذا وضعنا تلك الخطة تحت عدسة المقارنة وقارناها من الناحية الانتقامية فاننا سنجدها خطة ناجحة ذلك لأن خطة المارشال قد ساعدت على رفع المستوى الاقتصادي في الجزء الأعظم من الدول الأوروبية . ولكن لم تنجح هذه الخطة الا في بعض الأجزاء الموجودة فيها بعض التشييدات الحديثة التي لا يفعلون فيها الا اعادة وضع الماكينات في الطريق بعد ازالة بقايا الحرب . أما في الحالات التي تكون فيها الدول متخلفة الى حد كبير مثل اليونان وتركيا ، فان فاعلية خطة المارشال لم تكن كافية لتغيير طبيعة اقتصادياتهم ولكن أدخلتهم في الحقيقة في غمرة عنصر الصناعة وهذا بدون شك عمل عظيم جدا كان واجبا عليهم أن يواجهوه ولقد كانت النتائج التي وصلوا اليها هي :

(١) ان المساعدات التي تقدم للدول المتخلفة اقتصاديا لا يمكن أن يكون لها أي معنى الا اذا كانت مساعدات ضخمة ، وذلك

اذا وجدت تلك المساعدات .. الوسـائل السليمة للخـروج من مخازنها دون الالتجاء الى الشيوعية .

(٢) ان هذه المعونة ستفقد فاعليتها تماما إذا مافكر المتقدمون بها الى وضع شروط لاتطاق تتعلق بعجبهم بأنفسهم لتقدمهم الحالى. لانه فى هذه الحالة سيفسرون هذه المعونة بأنها عبارة عن طريقة مقنعة الغرض منها اعادة اقامة البناء الاستعمارى من الداخل ، وبذلك ستكون عبارة عن اغوائهم لادخالهم فى غمار الحرب الباردة لانه فى هذه الاحوال لن يمكن أن تحدث مثل هذه المساعدات الا اذا فهموا أن الغرض منها هو التقسيم ، مثلما قال المسيو « فرانسوا ميرو » ان عظمة الاتحاد السوفييتى تظهر فى مساعدته لدول كثيرة بالرغم من أن مستوى المعيشة فيه هو نفسه لم ترتفع الى مستويات المعيشة الموجودة فى الدول الغربية ، ولقد أظهرت الصين نواياها فى السبر فى هذا المضمار وهى لاتملك فى يدها الا وسائل نقل فى مجموعها آلاف المرات عن تلك الموجودة فى الغرب • وبهذا فهى تجعل الشعوب التى تساعدها تعتقد فى انها تعطيهم جزءا مما تحتاجه هى نفسها لسد احتياجاتها • وفى نفس الوقت نجد أن الغرب لايفعل شيئا سوى انه يعطى جزءا بسيطا من الفائض عنده فى حين انه يخصص جزءا كبيرا من انتاجه للتسليح ويترك فائض الانتاج الزراعى يتعفن فى داخل مخازن الغلال أو يرمونه فى أعماق البحيرات الكبرى ان هذا بالطبع عمل ضخم ذلك الذى نقوم به وهو يكلف كلامنا غاليا • ولكن هذا هو ثمن الحرية •

الفصل الحادى عشر

استحالة تحسين الاوضاع

ان الغرض الوحيد الذى تألفت من أجله حلف منظمة شمال الاطلنطى هو ضمان الحرية والتماسك التام بين أراضى الأعضاء الداخلين فيه . ومن ثم تثبيط عزم المعسكر المعادى عن استخدام القوة بأى وجه من الوجوه • وهذا هو التبرير الأول للانتاج الحالى للأسلحة التى ينتجها الحلف • ولكن لايجب عليه أن يتمسك بهذه الناحيــة فقط لأن الواجب هو تطلعه الى المســتقبل والأمل فى السلام •

ولقد سمعنا فى أيام كثيرة أن بعض القادة يرددون دائماانهم يستطيعون وانه من الواجب عليهم « أن يكسبوا الحرب الباردة »وهذا التعبير استخدمه كثير من القادة وعلى رأسـهم الرئيس ترومان فكيف كان تقدير هؤلاء الناس بالنسبة للمستقبل ؟ انتى أظن أنهم لم يوجهوا تفكيرهم المحدود الى هذه الناحية ولكن بالرغم من هـذا فلم ينس بعض الناس أن يؤكدوا لنا أن الغرب سينتهى به المطاف بالحصول على السيادة فى الناحية العســكرية وستجعله قادرا عـلى

اضطرار الاتحاد السوفييتى الى سحب قواته من الأراضى التى يحتلها بدون وجه حق دون الالتجاء الى الحرب • ولكن هذا الخيال الجميل سرعان ما اكتسحته غبار ذرات القنبلة الهيدروجينية السوفينية •

ومن جهة أخرى يوجد عـدد ضخم من المتأملين يضعون آمالهم على الانقسام الداخلى فى داخل الامبراطورية الستالينية والتى يجب أن تنقسم بعد موت الطاغية •

وكانت الأسباب التى تدفعهم الى هـذا الاعتقاد هـو الثورة والهيجان غير الطبيعيين اللذان جاءا بعد ثورة يونيو سنة ١٩٥٣ فى برلين الشرقية وتقريرات خروشـوف الخاصة بجرائم ستالين ، وثورة بولونيا فى أكتوبر ، وثورة المجر التى تبعتها وظهور الدلالات الأولى ضد الاتحادية بين الطبقة المتعلمة الروسية ولكن الطريقـة التى أعاد بها المستر خروشوف الأحوال الى نصابها وموقفه الذى دل على أن موقف الأجل يستطيع الوقوف على أرض صلبة قد أدى كل هذا فى سرعة البرق الى خذلان المتفائلين .

أما بالنسبة للمستر فوستر دالاس فقد اعترف بنظرية عميقة الجذور وهذه النظرية هى التى تؤمن بسياسة الجذب الطويل وتبعـا لهذه النظرية يؤمن السياسيون بأن النصر سيأتى أخـيرا لمن يبقى ويصمد طويلا •

وقد أضاف المستر دالاس الى هذه النظرية اعتقاده الصادق فى الله ، اذ قال : بما ان هذه الشيوعية ناقضة لتشاريع الله فانه سيأتى يوم

بقريب تختفى فيه هذه الشيوعية أو تتغير معالمها . وهذا هو الذى دفعه الى التعبير عن رأيه بصراحة دون ماسخرية بأنه يأمل فى مجىء يوم يجد فيه القادة الذين اجتمعوا فى الكرملين نجوما أكثر من الحلفاء حول حدودهم لتنتهى بتحالف بين المانيا المتحدة ومنظمـــة حلف شمال الاطلنطى ، ذلك الحلف الذى سيكون الطريق الاول للتعبير عن نواياه الطيبة .

ونادرا مارأينا الاطلنطيين يتقاسمون أفكارا سوداء فيما بينهم فلقد رأيناهم مثلاوهم مختلفو المدارك والمفاهيم حول تحركات وسكنات السياسة السوفيتية ، وكذلك وجدناهم مختلفين فى وجهات النظر حول الخطوات التى يجب أن يتخذوها فى مناوراتهم المختلفة ولكنهم وجدوا أخيرا انه يجب عليهم الاعتراف بأن الغرب كله يجب أن يحتضن المنهج الذى تسير عليه منظمة حلف شـــمال الاطلنطى والذى اتخذته هدفا للدفاع عنه ، والواجب عليه كذلك أن يحتضنها أكبر وقت ممكن .

التوقف

ان ماتشير اليه نظرية التوقف بالضبط هو « التزام المكان » وهذا هو ماقاله الحلف ومن المحتمل انه لم يقل شيئا غير هذا .وهذا الكلام سابق على النتائج التى كان يرمى اليها الحلف ولكننا رأينا انه فى سنة ١٩٤٧ قد عرض المستر جورج كينعان لسياسة الحلف موضحا

ففي اعادته النظر للشئون الخارجية ارتأى وضع الأسس الآتية للعلاقات الامريكية السوفيتية يجب أن تكون العناصر الأساسية التى تقوم عليها السياسة الامريكية المواجهة للاتحاد السوفييتى على أساس توقف طويل المدى، يجملها السعيد ، ولكن يصونها الثبات واليقظة لجميع الاتجاهات الروسية نحو التوسع ..

ولقد رأوا انه من الواضح جدا ان الضغط السوفيتى ضد الدساتير الحرة من العالم الغربى هو شىء يجب أن يحد منه بتطبيق الخدمة واليقظة على قوة معارضة له تقوم على عدة مواقع جغرافية وسياسية تتغير باستمرار تبعا لتحركات ومناورات السياسة السوفيتية .. »

واليوم أصبحت نظرية التوقف التى دفعت الولايات المتحدة الى اتخاذ بعض الخطوات الحاسمة فى اليونان وتركيا ، والى اتخاذها خطة الماريشال أصبحت موضوع نقد كثير من النقاد وعلى وجه الأخص المستر جيمس بيرنهام الذىأصبح فى نظر الأمريكيين رسولا . وكان يعتقد انه بمجرد اعلانه « الهزيمة للشيوعيين » انهم سيتبعون نصائحه . ولكن لسوءالحظ كتب أحد مقالاته عن «التوقف» فى جريدة التحرير قائلا فيها لقد نجحالشيوعيون فى تضامنهم وبلورتهم لذلك الذى حصلوا عليه ».وعلى ذلك فان نصرهم العالمى التام مؤكد كل التأكيد .. وكان قد كتب هذا المقال بعد أن علم بقليل أن المستر خروشوف قد أصبح رئيسا للوزراء .

ولكن هل سيؤدي تبني سياسة نيرنهام الى احداث تغييرات في مجرى التاريخ ؟ فلقد شجعت حلوله التي رفضت فيها التصديق رسميا على الحالة الراهنة على زيادة حركة المقاومة والى عدم قبولها أي تهديد يوجه ضدها ، ولم يتركوا — أي فرصة حتى ييسر الحلف الطريق أمامهم أو يعرقلهم ذلك الحلف الذي يسلك دائما الطريق الاصوب — ولم يتأثروا كذلك بموقف المعارضين الامريكيين تجاه الديمقراطيين الذين كانت في يدهم السلطة حينذاك ، الذين كانوا متهمين دائما باتباع سياسة التهدئة وجها لوجه مع الكرملين .

الجذب الى الخلف

بين القادة الجمهوريين في خلال مدة الانتخابات التي تمت سنة ١٩٥١ — في خطبهم العديدة الطريق نحو « التوقف » فهم يقولون ان هذه العملية تحتاج الى قدرة عظيمة ، وبما أن السلطة ستكون في أيديهم فسيكون في استطاعتهم «جر» الشيوعيين الى « الوراء » وأخذت أوروبا بأكملها هذا البحث على محمل الجد فلم تخف أبدا مخاوفها من الأخطار التي قد يجرها النصر التام « للحزب الكبير القديم » على السلم العالمي . ولكنها كانت خاطئة . لأن الناخب الأمريكي كان يرى بوضوح انه أعطى صوته « لايك » لأنه أراد أن يحصل على السلم في كوريا . ومنذ وصول المستر فوستر دالاس الى رئاسة مجلس الدولة وهو يطمئن العواصم المتحالفة الواحدة وراء الأخرى اذ قال لهم ، انهم اذا اعتمدوا عليه في المقاومة الجديدة ضد

الضغط الشيوعي اذن فلا يجب أبدا أن يتابهم الخوف اذا مارأوه يدخل العالم أجمع في مغامرة جديدة •

ومنذ تلك اللحظة ونزل اللعن على سياسة « الجر الى الوراء » وأصبحت لم تعد سوى مجرد ستار فقط يحمله الشيوعيون لمصلحتهم لاستنكارهم للأهداف التي يرمي اليها دعاة الحرب •

وكان في هذا الوقت قد بدأت الخطوات الاولى في التطبيق ولكن كانت معظمها تحت ستار وقائي • واذا كانت الولايات المتحدة مشغولة جدا بالشكوك القانونية التي أثارتها سقوط حكومة آربينز في جواتيمالا وحكومة مصدق في ايران لأنهم كانوا يشعرون بأنهم قد فتحوا أبوابهم على مصراعيها للنفوذ السوفيتي • وهذا السبب نفسه الذي حدا بالولايات المتحدة الى تدبير انقلاب في شرق الأردن في سنة ١٩٥٧ حتى تنتزعها من أنصار عبدالناصر الذي كانت تتشكك فيه حينذاك على أنه محب للشيوعية ، ومحاولتها اليائسة في ابعاد سوريا عنه • وفجأة أصبح الحزب اليساري المتطرف على مقاعد السلطة ولم يقم أي انتقام جدي ضده الا في سانت ـ مارين ـ قد حدث انقلاب سياسي قلب حكم الجبهة الشعبية . وذلك بالمساعدة السرية التي قدمها المستر آلان دالاس •

والآن لقد رأينا أن عملية « الجر الى الوراء » حينما تواجه الشيوعية وجها لوجه فهي تتلاشى كليا ومن هذا نرى انها ليست موجودة الا في الحديث وبعد حادثة المجر جاء البرهان على مدى

الضعف الذى وصل اليه الغرب حينما عجز عن تقديم مساعداته الى بعض الثائرين الذين أثارتهم دعايته على حمل السلاح ، وكان لابد أن تختفى تلك الكلمة من قاموس كلماتهم •

وحدث تطور مماثل فى خطة السعى الدبلوماسى ففى سنة ١٩٥٥ أثار الرئيس ايزنهاور فى مؤتمر القمة الذى اجتمع فى جنيف مشكلة « تنفيذ اتفاقيات يالتا » أى بمعنى آخر اعادة الحرية السياسية لشعوب أوروبا الشرقية التى اغتصبت منهم بالقوة والحقيقة انه لم يصمم على هذا القول ولم يستغرق وعد الشرف أكثر من ساعتين وكان يعرف كل واحد من قبل انه لن يصيبه الغرور أو الوهم وكان هذا ظاهرا عند استهلاله الحديث وكان يعمل كل جهده على ألا يثبط عزيمة ملايين الناخبين اللذين كانوا عبيدا فى البلقان • وبعد ذلك بمرور أعوام ثلاثة حينما أعاده الحديث عن مقابلات رؤساء الحكومات لم تجد باريس ولندن أى صعوبة فى ارجاع واشنطون عن عزمها فى وضع هذه المسألة على بساط البحث وفى سنة ١٩٥٩ لم يجرؤ أى فرد على أن يتحدث عنه •

اعادة توحيد المانيا

من قراءة اقتراحات ومذكرات الحلفاء نجد انهم يظهرون رغبة عظيمة فى مسألة اعادة توحيد المانيا التى اذا ماتحقق توحيدها فانها ستسجل فى ديوان المجهودات فى خطة « الجذب الى الوراء » اذ انها

سيعلن نهاية الحكم البيروقراطى السوفيتى على سبعة عشر مليون من الالمان • ولكن هل عقيدة الالمان أنفسهم اعظم من عقيدة الحلفاء •

اننا نرى كثيرا يؤمنون ايمانا عميقا بأنهم مسرورون من هـذا الانقسام فعلى أى حال يعتبر هذا التقسيم مضعفا لدولة يرون فيهـا « كلب أوروبا المسعور »والتى لايؤمنون بأبدية ايمانها بالديمقراطية• وهناك آخرون يؤمنون بالعكس اذا انهم يشكون فى أن الاحتفـاظ بدولتين متنافستين سيمنعهم من الدخول يوما من الايام فى حلقة من الصراع •

ولكن الذى يهمنا فى المبدأ هو وحدة المانيا وهـذه الوحـدة أعتقد الكثيرون فى عدم امكان وقوعها منذ زمن طويل ذلك لأنهم يفضلون بقاء المانيا منقسمة ذلك لأنهم يرون انه من الأفضل بقـاء ذلك الجزء الغربى من المانيا داخلا فى منطقة حلف شمال الاطلنطى يقولون نعم ان الموقف الحالى ليس محبوبا بأى حال من الأحـوال ولكنهم يعرفون على أى حال الى أى جانب يجب أن ينضموا • فهم يعرفون انه لو اجترأ جندى روسى واحد وسار خطوة واحدة على الخط الفاصل بينهم فهذا يعنى الحرب • ان هذا ليس بكثير ولن يكون بعيدا عن الحدوث • ان الحالة الراهنة تجمعنا الآن من أى اتفاق يسعى الى خلق موقف غامض فى قلب أوروبا النـابض قد يكون مصدرا للحوادث بعد ذلك •

ولما كانت الحالة هكذا فقد وجدنا الروس أنفســـهم يتحدثون عن الحالة الراهنة ، هل يسعون هم الآخرون الى التحدث عن الوصول الى اتفاق ؟ ان هذا سيعتبر بالنسبة لعملية « التوقف » تضحية بالنصر ولسوء الحظ يبدو أن هذا التغيير له معنى يختلف تماما بالنسبة للمستر خروشوف عن ذلك المعنى الذى يفهمه الغرب فقد لاحظ المستر والتر ليبمان فى احدى محادثاته الطويلة مع المستر خروشـــوف مايلى •

بينما نحن نفهم « الأوضاع الراهنة » على انها الحالة الموجودة فى لحظة معينة فهو يفهمها على أنها عملية التغيير الثورى نفســها فى ساعة حدوثها • فهو يرغب منا أن نفهم الثورة لا على ماهى عليـــه ولكن على ماستكون عليه » •

وتتعرض «نمبونوفو» فى احدى مقالاتها العظيمة الوضوح للنظرية الرسمية المضادة باسم اسحق ايرماشر « ان الاعتراف بالحالة الراهنة يتطلب أن نرمى الأمل الكاذب الذى يراودنا عندما نطلب من التاريخ أن يعود بنا الى الوراء الى العصر الذى كان فيه الاستعمار هو سيد العالم ان المعسكر الاشتراكى باق وســيبقى وسيتقدم انه القوى اليوم وسيقوى فى الغد • ان الدول الاشتراكية لاتنسى أبدا تحقيق مبادئها كما انها لاتسمح لأى فرد كان أن يعوق سيرها الى الامام •

ان اليوم الذى سيحصـــل فيه الغرب على دورة من التغييرات التاريخية فسيخلق قاعدة صلبة يقوم عليها التنظيمات السلمية ، من

أجل الاستقرار العالمى ، هذا هو بالضبط المغزى الذى ترمى اليه اليوم « الحالة الراهنة » .

وهزت هذه الافكار كل هؤلاء الغربيين الذين أرادوا أن يلصقوا صورة الانسان الطيب الذى يوجه أكثر فأكثر نحو سيد جمهوريات الاتحاد السوفيتي « صراع القرن » انه تحد اقتصادى كامل من جميع الوجوه موجه بطريقة خاصة وسينتهى بالنصر للمبادىء الأفضل والأكثر فاعلية .

فكل يوم يدفعنا المستر خروشوف الى وضع نهاية للحرب الباردة ولكن من ذا الذى تسبب منذ اجتماع الكرملين ولمدة خمسة عشر عاما متوالية برغبة من موجاته الفكرية ومصالحه الشخصية فى خلق فترات من الاسترخاء ، فترات من التوتر ؟ فاذا كانت الحالة العالمية قد تحسنت بعد موت ستالين فان السبب فى هذا لايرجع الى تغيير الغرب لموقفه ولكن لان روسيا قبلت فجأة الموقف فى كوريا والنمسا ، وهذا هو الموقف الذى رفضت أن تقبله لسنوات متتالية مهما كلفها من ثمن . ذلك لانها دفعت بربيبتها الصين وفيتنام الى الاتفاق فى جنيف على شروط تعتبر شبيهة بالشروط الاساسية بالنسبة للغرب .

ويمكن أن يذهبوا بعيدا فى القول ويقولوا أن السوفييت يتكاسلون ويتراخون فى الاوقات التى يريدون أن يثبتوا وجودهم فيها . فمجالات الدعاية والسياسة هى المجالات التى يمكن أن تحول

فيها الأرنب الى شبوط بسهولة • فيملك راديو موسكو المقـدرة الفائقة على أن يشكل على حسب رغبته مفهوم أى فعل تقـوم به الدول الغربية أو أى بيان سياسى تصدره منظمة شمال الاطلنطى سواء أكان ذا غرض بناء أو ذا اثارة هدامة • فمثلا قبل رحيـل المستر خروشوف الى الولايات المتحدة كان من المفهوم طبعـا أن رحلته يجب أن تقدم على أنها رحلة ناجحة ذات نتائج باهرة للعيان•

المفهوم اليوغوسلافى

ربما يعترف الاتحاد السوفيتى يوما ما بالنصر السـاحق للاشتراكيين ولكن فى صورة أخرى ، ولقد فتحت له يوغوسلافيا طريقا واسعا فى هذا الميدان مما سيعطى له الفرصة على الخروج من داخل سياجه السياسى دون أن ينظر خلفه الى الحتمية الماركسية وقيودها • وسيكفيه بعد ذلك أن يعترف مثلهم أن هذا الانتصـار ليس مجرد انتصار معسكر واحد ولكنه انتصار نتج من الاحـداث التقدمية على وجه هذه البسيطة ، ولكن على هيئة جمـاعات ذات أشكال مختلفة ومنظمات ذات شكل جماعى واليوم الذى ستعم فيه وجهه النظر هذه فى موسكو ، لن يكون مجرد هدنة مسـلحة ولكن سيكون السلم الحقيقى الذى نسعى اليه جميعا •

ولكن هل من الجنون أن نأمل فيما يمكن أن يكون لها يوما

ما تأثير عظيم في أرضنا ، ان الدراسة الموضوعية لسلوك المســـر بكيتا خروشوف منذ ارتقائه سلم السلطة تترك لنـــا مجالا لرؤية الناحية الاخرى من اليد : اذ أنه رجل يبحث باخلاص جعـــل انعلاقات بين بلده والبلاد الاخرى علاقة طبيعية ولكن ليس لديه الفرصة حتى يتكلم كثيرا في هذا المجال بوضوح أكبر وأعظم •

من هو في الحقيقة أعظم من ذلك المؤسس العظيم لمـــذهب «القرعة العسكرية» الذي أقيم على أساس الأسس الاخلاقيـــة لستالين ، تلك الأسس التي فرضها فرضا على جمهوريات الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له ؟ ومن هم هؤلاء الذين غيروا البلدان بدلا من بلدان مستعمرة مستغلة الى بلدان محمية ومساعدة ؟ من ذلك الذي فتح السجون ، ووضع نهاية للارهاب ورفع الســـتار الحديدي رويدا رويدا ؟ من هو الذي اعترف بأن مستويات المعيشة أعلى بكثير في الدول الغربيةوأن أول مايجب أن تحاوله الجمهوريات السوفيتية هو اللحاق بهذا القطار •

وقد أوضح هذا البرنامج علانية رضاهمبالموت الســـــياسي وعدم رضاهم للموت الجســـماني ، وفي الحقيقة فانه مازال يتهدده خطران عظيمان أولهما : تعطش الشعوب الشديدالى الحرية تلك الشعوب التي تقاد مثل العبيد فأصبحوا يشعرون باليأس والمرارة في أعماق نفوســـهم ، وثانيهما تيقظ أعـداثه وخصومه الذين كانوا على كراسي السلطة من قبله ، واستعدادهم للسير حتى ولو مـع

الشيطان • ألم يحدث ذلك في أماكن أخرى ؟ ألم تلق بولونيا ومن بعدها المجر نير الذل والهوان من على أكتافهم ولم يجد المستر خروشوف لنفسه مكانا آخر يمكن ان ينقذ مكانته فيه الا ان يتدخل في بودابست بطريقة وحشية ، وبين في أكثر من مناسبة ان الخطب التي يلقيها لم يقصد بها التأثير على الولايات المتحدة ، كما أنه أخفض أصبعه مرتين في يونيو الذي تلى ذلك • انه لولا أخلاقه التي ربيت على المنافسة والتي دفعته الى استدعاء اللجنة المركزية لاتخاذ قرارات عاجلة ولولا مساعدة الجنرال جوكوف الذي كان يشكره من وقت لآخر لاقناعه بالتراجع كان خروشوف اليوم في عالم النسيان • ولكن منذ ذلك الوقت وهو مواظب على القاء رماحه ، يلقي في كل مناسبة ببعض منها وخصوصا في خطبه قاصدا بذلك تهدئة المتيقظين ولكن القصد الذي يكمن وراء ذلك هو الاحتفاظ بحالة الخمول والاستكانة الداخلية والخارجية • ولقد وصلت به الحال بعد رجوعه من واشنجتون الى أن يعلن في بكين أنه سكون أقل واقعية ، اذ انه سيحاول أن يجرب بالقوة مدى الاستقرار في ظل النظام الرأسمالي •

يرد المتشككون بأنه لايوجد أي تغير في الحقيقة سوى ان سيد جمهوريات الاتحاد السوفيتي الجديد أصبح أكثر تفاؤلا من سابقه اللعين كما أن نجاح قذيفته قد اقنعه بأنه لن يخاطر بشيء كبير في الناحية العسكرية ، ذلك لانه لايشك أبدا في سيادة نظامه الذي يطبقه •

واليوم كالامس مازال الكرملين هو الذى فى المقدمة وان الجبهات الباردة هى مقاومة الجانب الآخر المعادى ، ولكن اذا عمل خروشوف معروفا فهومن الافضل له ان ينسحب من المغامرة ، فمعسكر الارهاب الذى وجه ضد تركيا فى خريف سنة ١٩٥٧ انتهى بنهاية طيبة دون أن يعرف أحد أسبابها . لانه كان فى ذلك الوقت مشغولا يضرب كيموى بالقنابل . ولقد رأينا أنه حينما يظهر الغرب علامات التردد والخوف يزداد قلبه فرحا وسرورا ، فهو يتفوق فى استخدامه بطريقتين خاصتين وهما :

الاولى منهما وتنصب فى أنه لايلوح أبدا باستخدام صاعقتـــه الا فى الوقت المناسب حينما يصبح من الواضـــح جـــدا أنه لالزوم لاستخدامها . فقد انتظر المستر خروشوف ثمانية أيام حتى أظهرت لندن وباريس ترددها فى مسألة السويس ثم تكلم بعد ذلك عن قذائفه ووجه انذاره فى مرة أخرى حينما كان متأكدا كل التـأكد من أن امريكا لاتطمع فى التدخل فى العراق أكثر ممـــالها وكان قد عبر ذلك بصوت حزين لم يتقاض أجره حتى الآن .

وقد كان فى كلا الحالتين يتقدم بحجة انقاذ العرب المسـاكين الذين هددهم الاستعمار .

أما الطريقة الاخرى فهى طريقة المقضم وقد استخدمها بنجاح

كبير وعلى وجه الأخص في جنيف ، فقبل رحيل المستر خروشوف وضع بعض الشروط العنيفة لمطالب لها اعتبارها . ولكن لكي يظهر عن بعض ميوله الى التوفيق اكتفى بأن يخفف من وطئها بعض الشيء وبالرغم من أن الحلفاء لم يطلبوا شيئا بالمرة ، الا أنه لم يكن أمامهم طريق آخر لاثبات حسن نيتهم الا التنازل عن بعض هذه المطالب وفعلا نجحت المناورة الى حد كبير ذلك لانهم قبلوا وجودهم في حالة مؤتمر وزراء الخارجية في دولة (جمهورية ألمانيا الديمقراطيـــة) حرموها من كل شيء حتى وجودها ولكن أعطوا لها بعض التعويضات التي أعادت كل شيء الى ماكان عليه ، بل وأعطوا لها بعض الامتيازات كذلك .

اخطار الاعتكاف

واليوم لانجد شيئا يحكمه حكما فاصلا بين هذين الموقفين. ولكن من الواجب أن نقول أن كلاهما له بعض الحقائق التي يعتمد عليها ويقوم على أساسها ، واذا ماسلمنا بهذا القول فاننا سنجد في هذين المعنيين الحاليين البديلين الذين توصل اليهمـــا الكرملين في تحليلاته الاخيرة للاحداث الجارية ، أي بمعنى آخر الطريق الذي سيسلكه الغرب . وقد فعل الغرب خيرا حينما اتخذ في حسابه أخيرا مناقشة الأفكار الخلقية للسياسة السوفيتية. ولقد أصبح رجال السياسة فيه وخبراؤه سادة في فن كشف الخدع والشباك التي دائما ماتشكلها الاقتراحات المتخذة في الكرملين . فهم لم يتعودوا على تقديم وجهات

نظرهم في هيئة مناقشات ولكنهم قادرون دائما على مقاومة أى نوع من أنواع الضغط • وكثيرا ماينسون السوفيتية ولكن من الصعب جدا اكتشاف عدم وجود أغراض لهم • وكانوا على حق بكل تأكيد حينما لم يرخوا أن يقللوا من ضررهم واحتياطهم طوال المدة التى لم يثبت فيها حسن نية العدو • ولكن لايجب عليهم أن يتمادوا في اتخاذ موقف الرفض أو ان يتخذوا موقف الشك مما سيعطي المعسكر المعادي القدرة على أن يلصق به سوء النية منذ ولادته ، ولذلك يجب عليهم أن يبحثوا دائما على البواعث والدوافع التى تزج بهم في صراع من أجل السلام لانهم بدون ذلك سيضطرون الى الانتكاس والرجوع خطوة خطوة الى الخلف •

وان ذلك الذى حدث في ألمانيا لملىء بالدلالات والمفاهيم ، ذلك لاننا رأينا جبهة متماسكة استمر بقاؤها عشر سنوات في وجه سياسة سوفيتية معادية ، ومع هذا فقيام هذه الجبهة لايرتكز على اساس قوى ، فمؤسسوها يراضون انفسهم بأن يؤكدوا أن الموقف في منتهى النضوج وأن حقوق الحلفاء غطاها «الغبار» وبعد أن أعلن الغرب انه لن ينسحب خطوة واحدة مهما عصفت به الرياح ، رأيناه يدرج دوابه وينسحب عديد المرات •

ومن ثم فاننا لانجد فقط استحالة في بقاء الحالة الراهنة الى الابد ولكن أيضا هناك سؤال نود أن نوجهه الى المستر دالاس وهو عما اذا كان من الممكن أن تبقى حالة التوقف هذه على قيد الحياة • ولقد

رأينا أن كل ماتمر به الديمقراطية الغربية من فترات عصيبة يرجع الى سوء استعمالها عن محاولة المنادين بها ان يقيموا منها سدا يحاربون به الأعداء • وسيصبح من المستحيل بمرور الزمن أن يتقدم الانسان خطوة واحدة الى الامام لانهم شعروا بالتمثيل يسرى في أقدامهم ، فارتفعت الاصوات من كل جانب منادية على هذا التوقف وتلك السياسة التى اكتنفت موقف الحلفاء • !

انه بدون شك سيكون يوما عظيما ذلك الذى تصحح فيه الاوضاع • ولكننا قد عرفنا الآن مدى قوة الاتحاد السوفيتى الروسى وعلمنا أنه قد أصبح من الناحية العسكرية سدا منيعا لايخترق • اذ ان روسيا قد وضعت على الاقل أسلحة مدمرة على نطاق واسع مساوية لتلك الموجودة في الجبهة الاخرى أما من ناحية الاسلحة التقليدية فقد تفوقت فيها الى حد كبير فان ذلك الذى وصلت اليه الجبهة الاخرى ولا يبدو عليها أى علامات تدل على الانحلال الداخلى • ولو أن تلك الافكار والآراء التى تنادى بها كانت قد وردت على خاطر الدول الغربية لكانت تلك الدول حققت نصرا كبيرا في آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية • أضف الى ذلك أن الاسلام ليس ضد الجماعية وهو الدين الذى يعتقدون فى أنه القنطرة التى لايمكن تعديها • ولذلك فقد أخذت روسيا فى رسم حركة دائرية حول الغرب الغرض منها الحقد والضغينة أما الدوافع التى قوتها فهى مركز روسيا المدعم القوى •

فالنظام الديمقراطى نفسه ذو القدرة الفعالة على خلق المبررات

على رفض الشيوعية هو نفسه يعتبر فى نفس الوقت أحد العوامل التى تجعل من السهل على الشيوعية الدفاع عن نفسها. لان وجود المعارضة الدائمة يضعف من مقدرة المقاومة . اذ أنها تبسط أمام أعين العـــدو كثيرا من الاسرار التى كان من الافضل أن يجهلها .

واليوم نرى أن فكرة الزيادة فى الاسلحة تشعر يوما بعد يوم بثقل وضخامة التهديد الموجه اليها . ان موقفنا اليوم يشبه فى كثير من نواحيه موقف أثينا حينما وقفت فى مواجهة اسبرطه او موقف البيزنطيين حين حاصرهم الاتراك . ولكن على اقل تقدير فاننا نعرف تمام المعرفة أنهم لن يستطيعوا كسب الحرب الباردة ، ونحن نعتقد أنه من المحتمل جدا أن يفقدوها .

الفصل الثانى عشر

لاقاهرين . . . ولامقهورين

اننا نرى شيئا •• فى التاريخ السياسى يمكن اعتباره عظيما جدا • اننا نرى •• السياسيين يعبرون المحيط الأطلنطى ليقــولوا « نعم » أو يعبرون ليقولوا « لا » •• ويقضون سنة من الخير أو ســـنة من الشر على ضوء عشرات المؤتمرات العالمية التى يعقدونها • ولقد وضعت هيئة الامم المتحدة تحت أرجل محبى السلام سجادا من العجـــم يسيرون عليه • وفى نفس الوقت تولد عالم جديد من الخبراء من الذين لهم خاصة يتحدثون بها وتقاليد يسيرون عليها ، وهم يحاولون التدخل والتصرف على مايحيط ببعض المشاكل الفنية المعقدة من غموض ، ولذلك فهم لايحاولون الاكثار من مناقشاتهم ومفاوضاتهم مهما كانت الحال ، ولكى يظهروا أهمية الدور الذى يقومون به أعطيت لهم السلطة المطلقة التى يتمتع بها الوزراء مثلما كان يحدث فى الماضى •

وفى الحقيقة لم تعط مجهودات هؤلاء الخبراء أى نتـائج تذكر حتى الآن •• فالمشكلات الضخمة مازالت حتى الآن على حالها لم تتغير وعلى وجه الأخص تلك المشاكل التى مازال الغرب والشرق

يتصارعان ويتعارضان فيها • ومثل هذه المواقف تجعل الانسان لايجرؤ أبدا على التفكير في أنه في الامكان أن يمضي وقت طويل دون أن تنشب الحرب ويشتعل اوارها ، وتمتد في هذا الإشتعال في خمس سنوات على الاقل فالمانيا وكوريا وفيتنام وفلسطين والصين كلها دول انقسمت الى نصفين، ولكن الدول الاخرى ترفض الاعتراف بالحكومات السياسية التي في يدها السلطة منذ عشر سنوات ويعللون ذلك ببساطة اذ أنهم لم يتفقوا بعد على أصلهم أو على ميولهم •

فعندما ابتدأ قيام الحرب الباردة امتلأت روح الشر بأجساد جميع الحراس المتيقظين وأخذ كل فرد منهم يبين مدى ضعف موقف الآخرين • أما اليوم فاننا نجد أن الآراء أصبحت تسكن الحوارى الضيقة حتى أن الحكومات تدخل اليها لكي تأخذ دورها فيها •

ولكن مهما يكن الامر فان الامور ستتغير قريبا كان ذلك أو بعيدا • فسيأتي يوم لن نجد فيه أشباح حرب في الجزائر ، لأن الحرب ستزوى وتموت وسيأتي يوم ستختفي فيه المشكلة الالمانية من الوجود ان الأشياء تتغير لأن طبيعتها هي التغير •

مذهب المستر خروشوف

يبدو أن المستر خروشوف يمتلىء بالافكار المحددة الجوانب المرسومة جيدا عن التغيرات التي يمكن أن تحدث • فاعتقاده الراسخ في النصر العام للشيوعية لايبرهن فقط على أن هذا مجرد اعتقاد

فلسفى او اعتقاد فلسفى او اعتقاد غامض فى تفوقه الخارق على النظم التى يقوم عليها المعسكر المناوىء بل يبرهن على أنه يعتمد على نظرة واضحة فى مستقبل جعله العلم مضمونا بالنسبة له ، بل ومؤكد بين يديه . وهذا الادراك يعوز اليه لسوء الحظ قادة حلف الاطلنطى .

واليك المثل الاول : ألمانيا ، امامن جهة ألمانيا فاننا نجد أن وجهة نظر الحلفاء الخاصة بها بسيطة ومنطقية وتتفق وقوانين الشعب الذى هو واقع تحت ادارتها فيجب اعادة توحيدها بعد اجراءات انتخابات حرة يتقرر بعدها اى اتجاه تتخذه فى سياستها الخارجية ، فاما ان تتحالف مع الغرب واما ان تتحالف مع الشرق واما أن تبقى على الحياد .

ووجهة النظر هذه معقولة وجميلة ، ولاتوجد أى عقبة تحول دون تحقيقها سوى عقبة واحدة وهى استحالة تطبيقها الا بعدموافقة المعسكر المضاد . وهذا بدون شك عقبة كبيرة ، ذلك لانه ليس له أى مصلحة فى ذلك كما انه لايوجد الوسائل أو الطرق التى تجبره على ذلك ، كما ان السبب الذى يرونه لايستهوى نفوسهم .

ولم تكن وجهات النظر بالكرملين أكثر بساطة من ذلك،فهى تنحصر فى نقطتين أولهما ، تقوية النظام القائم فى ألمانيا الشرقية وفصل بون عن الغرب بكل وسيلة ممكنة .

ومن ثم خلق موقف ديلوماسى متشابك جدا يرمى الى :

١ ـ الاعتراف بالحكومة القائمة فى بانكو .

٢ ـ القضاء على رأس الجسر الغربى القائم فى برلين .

وتتقدم الجمهوريات السوفيتية خطوة خطوة نحو هذا المضمار بينما جمهورية ألمانيا الديمقراطية تسير الى الامام نحو اظهار شخصيتها العالمية . ويعترف الرئيس ايزنهاور «بشذوذ» الحالة الموجودة فى برلين اذ أن الخلفاء يقبلون التقليل من حقوقهم هناك كما أنهم لم يعودوا الى الاهتمام برجال السياسة فى بون الذين قاموا برحلة الى موسكو .

ويأمل المستر خروشوف فى أن يثبت يوما ما على قدرة فاعلية النظام الذى يطبقه فى ألمانيا الشرقية وبذلك يدفع الغرب الى تعديل حكمه الجماعى المعادى لنظامه هناك ، ولكننا لانعتقد أن المستر اديناور سيقبل أن ترتبط دولته بالدول الغربية التى هو نفسه يشك فيها . ولكن من المحتمل أن تابعيه لن يكون عندهم نفس صلابته أو نفس اعتقاداته . ومن ذلك فاننا نشعر فى أحيان كثيرة انه من الواضح جدا بالنسبة لالمانيا أنه من الصعب جدا على حماتها ومن غير المستطاع لهم البتة تنفيذ الوعد الذى أخذوه على أنفسهم ويعيدون توحيد ألمانيا .

ولكن سينبثق جيل جديد وسينسى هذا الجيل الاحتقار والحقد والقسوة التى خلقتها الحرب ومن بعدها الاحتلال الروسى ، وبذلك تزول تلك الأشياء من بين نفوس الالمان والروس ، وبعد ذلك تندلع

في المحيط الالماني أزمة اقتصادية فتضع نهاية للمعجزة الالمانية بأن يسير ملايين العاطلين نحو الطريق الذى يقود الى الشيوعية ويطالبون بها رأيهم في ذلك أنها هى التى ستقودهم الى التقدم وهى الطريق الذى سيفضلون السير فيه ، ومن المحتمل أن هذه الفكرة قد جاءت الى الطريقة السوفيتية ولذلك فهم يزيدون من تقديرهم للفرصة التى ستحين لهم أكثر من اللازم • ولكن على كل حال إننا نرى أنهم ينظرون الى المستقبل نظرة طويلة الأمد اللازم ، وهذا هو بالضبط نقطة الضعف الفظيعة التى يتألم منها حلف شمال الاطلنطى •

واليك مثال آخر : فلنقل اليك شيئا عن البلدان التى قيل عنها متخلفة اقتصاديا أن هذه الدول لاتعرف لها عدوا أكثر عداء من الاستعمار ، والقضاء عليه يعطيهم كل الحق فى قبول المساعدات السوفيتية ، ولكن اذا ماحصلوا على استقلالهم وضمنوه فانهم سرعان مايتبينون انهم لم يتغيروا فى شىء لانهم قد حصلوا على استقلالهم السياسى فى حين انهم مازالوا يعتمدون فى خططهم الاقتصادية على الغرب ، ومن ذلك نجد أن الصراع قد تحول من صراع ضد «الاستعمار» الى صراع ضد «الاستعمار» ومن العبث أن نقول أن المساعدات والتشجيعات لاتقل أبدا من جهة جمهوريات الاتحاد السوفيتى • فهى تتقدم بها الى بعض الشعوب الذين ينظرون اليها باعجاب وكبرياء •

ولكن في الحقيقة فانها لاتغير في داخليتهم شيئا ، فمن المفهوم جدا أنها لاتغير شيئافي ظروف الكتلة المتكتلةمن الشعوب التيأوحى اليها الاستقلال وأوحت اليها الحضارة التي سرت في عروقها بالأمل في حياة أفضل في حين أن السوفيت ليس عندهم لا النواة ولا البناء ولا الطرق المالية اللازمة لمواجهة هذه الاحتياجات الضخمة .

وهذا هو السبب في أن الفراغ أصبح يغمر سريعا القوانين الديمقراطية لصالح دكتاتوري الحرب . ذلك لان الخطب الشعبية والقوميين المتعصبين يعطون الفرصة لهؤلاء الدكتاتوريين أن يردعوا كل المطالب الشعبية عن هذا الطريق ولكن يجب أن نعرف انه من اللازم أن يبقى هذا الردع لمدة طويلة ومن ذا الذي يستطيع اذنأن يقدم في برنامج دقيق كل الدقة مدحاأو اطراءعلى البراهينالسوفيتية التي جاءت عن طريق الصراع والاضطهاد ، ومن ذا الذي يستطيع أن ينادي بالمركز الأعظم للاتحاد السوفيتي والصين لنجاحهما في هذا المجال .

انه لن ينادي بهذا الا الشيوعيون أنفسهم ، ومن جهة أخرى نجدهم أنهم يتحاشون طرق أجنحة الطيور قبل أوانها . الا انهم يتدخلون بطريقتهم الخاصة في داخل الدولة ، فلننظر بامعان الىذلك الذي يحدث في جاكارتا وبغداد ، وانظروا ماذا يفعل الغرب تجاه ذلك . انه يقدم الحسنة والصدقة على هذا يوجد أمامنا وجهتان مختلفتان ، أوروبا من جهة والعالم الباقي أجمع من جهة أخرى .

ولكن يجب أن تأخذوا في حسبانكم أن هذا العالم يكون الجزء الاكبر من الكرة الارضية ولكننا نرى ان قادة المعسكر الغربي قد اعدوا خطة محكمة وواضحة جدا للغرض الذى تنتظره في المستقبل وبعد كل ماعنده حتى تؤتى ثمرها .

ولكن الحقيقة أنها خطط خاوية وبعيدة كل البعد عن التصديق بل قد تكون عكس مايتصورون اذن لامكان عندنا حتى نعجب من تفاؤل مستر خروشوف المتزايد ولا الانهزامية التي يعترف بها قادة الغرب دائما .

ابتداء التفاخر والتباهي

يوجد ضد كل تهديد مباهاة مضادة له، ومن ثم يجب على الجانب الآخران يجدها ، فقوتنا الدفاعية قد أظهرناها فعلا ، ولكنها غير كافية . ويستنكرون هذه القوة الموجودة في الجبهة الاوروبية لبطء حركتها . أما في خارج أوروبا فهى غير قادرة على تفادي المفاجآت غير اللطيفة التي تتطلب الوصول اليها استخدام قوة الذراع ضد المعسكر المعادى ، بعد قيام هيجان أو ثورة لعدة ساعات في بلد للغرب ضد المعسكر المعادى ، بعد قيام هيجان أو ثورة لعدة ساعات في بلد للغرب فيه مصالح مثل العراق مثلا التي تعتبر قوة وحصنا للمعسكر الغربي ، ولكن الهجوم الذى اختاره المستر خروشوف في هذا المجال لم يكن يرمي الى أي أمل ولا يمكن أن يحمل أى معنى

الا اذا استخدم من طرف من طرفي الجيوش المتكافئة ولكننا وجدنا أن رفض الجيوش الجماعية بالادلاء بأى رأى هو الذى يبنى مجد وشرف الجيش الغربى ٠

واليوم نجد ان السياسة الغربية دائما ماتعتمد على تخيل خطط نظامية جماعية ملفقة لانظار المولعين بالمنطق والفلسفة ، فى حين انها فى الحقيقة بعيدة كل البعـد عن جذب هذه الأنظار لأن غرضـها هو لفت أنظار السوفيت أنفسهم أو نجدها تتخـذ قرارات وتعقـد اتفاقات محدودة وهذه الاتفاقات تبين التواضع فى مجموعها ، ولكن لايجب أن تطعن فى مجموع هذه الاتفاقات لانه بالرغم من تخيلات هؤلاء الخبراء الا اننا وجدناهم يشربون الناحية السيئة من الاشياء ، فقد وضعوا مثلا نهاية للحرب فى كوريا والهنـد الصينية وحرروا النمسا من الاحتلال الاجنبى وعملوا على استقرار الامور فى الشرق الأدنى ٠ ولكن لم يفعلوا شيئا عظيما فى الشرق الأدنى لان عمليتهم كانت عبارة عن وضع بلسم لتهدئة الجروح ، وأصبح الصوت الوحيد الذى نسمعه من الغرب هو ذلك الصوت الذى يريد أن يبين عدم فائدة الحرب الباردة ٠ ونادى بوجوب قيام هدنة طويلة ينادون فيها على الانسانية من جميع أطراف العالم ويدعونها الى التراضى والاتفاق وتكريس نفسها الى المشاكل الحقيقية التى تعترض الحياة والتى تعتبر السد العظيم أمام الكثير منهم ، لانه ليس من الضرورى أن يتحامل معسكر على معسكر آخر ، وسيكون الحل سهلا جدا لان المـلايين البشرية ستجد نفسها تستعد للحرب العظمى لن يعتقد فيها أى انسان

انه يضحي بنفسه فقط من أجل لاشيء بل سيشعر فيها كل فرد بأنه جزء من خطة عالمية انسانية تسعى الى تقدم البشرية .

ومثل هذا التغيير الشامل لايمكن أن يتم بقوة الذراع والحل الوحيد هو أن يستعد السوفيتيون انفسهم الى تقبل هذه الفكرة ولكن يبدو أنهم بعيدون كل البعد ولكن اذا ما اتخذت منظمة حلف شمال الاطلنطى خطوة ايجابية ومعقولة من جهتها تكون نتائجها الاولى لها التأثير الانفعال على البشرية أجمع فبدون شك لن تموت أهمية هذه الخطة وتأثيرها على الدول المحايدة .

ولكن الشيء الاهم من هذا هو عملية تجميع جميع العناصر الداخلة فى سياسة ايجابية ثم تشكيلها تشكيلا مبسطا ودقيقا بحيث أن تصبح طبيعتها مفهومة لكل فرد يتحدث عنها جديا فعلا ، وبهذاالعمل سيكفون عن انتظار وقوع معجزة بعد صراع طويل ومرير لانهم قادرون على ايجادها الآن .

وعلى هذا يجب عليهم أن يقوموا باتخاذ قرار مزدوج يقضى باقامة مصلحة للاستعلامات وباقامة منظمة للاستهلاك السياسى . وستقوم مصلحة الاستعلامات بغرض توضيح ماهية العالم الغربى ، وهل يجب أم لايجب أن يشترك هذا العالم فى منظمة حلف شمال الاطلنطى وان تحاول على وجه الاخص أن تبين ذلك لقادة الاتحاد السوفيتى ، انه من السهل جدا أن تستنكر الحرية التى يستخدمها هؤلاء فى تناولهم للحقائق ، ولكن لايقل عن تلك الحقيقة وضوحا هو أن استخدام هؤلاء الحقيقة وتناولهم لها يختلف اختلافا كبيرا عن

تناولنا نحن لها ، ووجه الاختلاف الاساسى هو انهم أكثر اخلاصا منا نحن انهم لايكذبون ولا يخدعون لانهم يعتقدون أن نظامهم القائم يتفوق كثيرا على النظام الرأسمالى ، فخروشوف نفسه كان ابنا لمملكة رثة الحال ، وشاهد عيان للسنوات الاخيرة لحكم القياصرة أصبح الآن أحد السيدين العظيمين اللذين يحكمان أعظم امبراطوريتين فى العالم ، بل ومركزه أقوى من الاخر لانه هوالذى صنع أعجوبة التغيير فى داخل روسيا .

ولكن ماذا يعرف هو عن العالم الحر ؟ فجميع الدول الغربية التى قابلته وجها لوجه أجمعت على كذب المزاعم التى يعرضها فى مواضيعه ، وكانوا يحاولون بهذا أن يلقى على الاقل بعض الافكار عند عودته للولايات المتحدة وهذه هى الخدعة التى رأيناها فى عالمنا خلال الزيارات القليلة جدا الى جنيف أو لندن بعد اتصالات عبر المحيط بين السفراء والشخصيات الهامة فى موسكو والتى لم يكن لها سوى الصورة الهزلية التى تشبه ماكان يحدث فى الماضى وهو أبهة وفخامة الزيارات الرسمية ، والامتيازات المعطاة للرؤساء مع تقطيع أوصال الشعب فهل يعلمون أن المناصب الاجتماعية لها تأثير فعال فى الدول الكبرى الحديثة ، وهل يمكنهم أن يعرفوا دون أن يتعكر صفوهم أن الاتجاه نحو التوحيد العقلى ونحوالتقدم الاقتصادى ليس له حدود فى تلك الدول التى يسمونها ديمقراطية شعبية ... لقد سمعنا المستر خروشوف وهو يخطب فى كاتويس فى يوليو سنة

١٩٥٩ بين المنجمين البولونيين قائلا لهم : حينما كنت شابا عملت فى أحد المناجم التى كانت مملوكة لبعض الرأسماليين الفرنسيين ، وكانت الاحوال لاتطاق بالمرة ، وبعد ذلك قرأت «النمو» لزولا وقد فهمت منها ان الاحوال فى جميع المناجم الرأسمالية تدل على أن الاستغلال واحد .

ولكننا نظن أن كثيرا من كتابه كانوا يعملون فى مناجم فرنسية وهم فى استطاعتهم أن يقولوا له أن المقارنة بين المناجم الرأسمالية وبين المناجم البولونية الشيوعية الكافرة على الدوام بالدول المشتركة فى حلف الاطلنطى ويعربون عن استعدادهم على المزيد من مسئوليات الامم المتحدة أكثر قليلا على أساس عقد اتفاق مع المعسكر السوفييتى .

وفعلا سار الغرب نحو هذا الاتجاه وحقق نجاحا فيه . ذ نشروا برنامجهم الذى ينادى بالذرة من أجل السلام الذى قاد الى تأسيس وكالة ذرية عالمية فى فيينا وهى فرع من «بنك التجارب» الذرية وكانت المؤتمرات التى انعقدت بعد ذلك تمتلىء بهذه الروح ومن أمثال هذه المؤتمرات مؤتمر السنة الجغرافية الطبيعية العالمية ومؤتمر المنطقة الجنوبية ، وكانت ترمى هذه الروح الى تبديل مشاركة الدول فى حلقات المنافسة القائمة على القارة السادسة فى العالم ، فقامت الولايات المتحدة وحلفاؤها بدعوة الدول المشتركة فى الامم المتحدة على قدم المساواة حتى يكونوا نواة لشركة واحدة يشترك فيها المعسكران من أجل اكتشاف الفضاء الذى قد يمنح استخدام

أنواع من الاسلحة فيه ، ولكن الاتحاد السوفيتي لايوافق ولكن ليس هذا سببا كافيا حتى يمنعنا من التصميم على هذه الفكرة •

نزع السلاح

لقد عقدت الامم المتحدة اجتماعات عديدة بشأن نزع السلاح بطريقة لم نعتدهافىأى مشكلةأخرى ، وأظن أن مجرد ذكر هذه الكلمة كاف جدا لاثارة كثير من الشكوك والتكتمات • لأنه بالرغم من المؤتمرات العديدة التى حققتها الامم المتحدة لهذه المشكلة منذ خمسين عاما لم تنجح لافى الحرب العالمية الاولى ولا الحرب العالمية الثانية •

ولكن لايجب أن نجعل من فشلنافىالماضى مقياسا لنا فى المستقبل فلم يوجد شخص فى الماضى لم يشعر فى قرارة نفسه بمصائب الحرب• ولذلك يجبأن نجد الوسائل للقضاء على أهدافها والوسائل على منعها • فكثير من الناس لايفكرون اليوم فى الالتجاء اليها ، ولو حتى قدر وحدث تغيير مفاجىء فى الأفكارالانسانيةولكن يبدو أن الفرصة التى امتلأت بهاالقلوب فى عصر الذرة هى التى تنير شمعتهم فى هذا الطريق •

ان النفقات على الأسلحة ليست كبيرة اذا مااعتبرناها كضمان ضد وقوع خطر ذى قيمة أكبر ولذلك فان ضخامتها لاتتناسب أبدا والخطر العظيم الذى تحفظنا منه ، ولكن لايستطيعون أن يفهموا

هؤلاء الذين يعيشون فى الجبهتين انهم يجب أن يتخـــذوا قرارا مشتركا للتقليل من النفقات عليها فهذا هو ماقاله رئيس أركان الحرب المستر ديفيد للمستر ايزنهاور وخروشوف وهذه هى نفس الفكرة التى كان يمتلىء بها المستر ادجار فور حينما اقترح فى جنيف فى سنة **١٩٥٨** تحديد نسبة مئوية متساوية للميزانيات الحربية • وكان من الطبيعى أن يصيحوا فيه جميعا قائلين : ميزانية ، ان من أســهل الاشياء فى هذا العالم هو أن يغش الانسان فى الميزانية ، ولذلك فمن الافضل أن تجعل من النفقات العسكرية شيئا منفصلا عن الميزانيــة ولكن من المحتمل انهم لم يكتشفوا الاتجاه الذى كان يرمى اليــه انا نرحب بكل الافكار والآراء التى ترمى الى التقليل من نفقــات الحرب وخصوصا اذا كانت تلك النفقات ستحول الى مساعدات • فبدون شك مثل هذه الاقتراحات ستقابل بدوى عظيم •

ان الشيء الوحيد الذى يشمل عملية المناقشة حــول نزع السلاح هو الخوف ذلك لان كل انسان يريد أن يراعى مصــالحه بأى شكل كان ، فمن جهة الغرب فهم يقفون على الموقف الحقيقى فى الكرملين ويشكون فى أنهم يريدون دائما أ أن يتخرقوا جميــع الممنوعات • أما السوفييت فهم أقل خوفا من المخالفات الطـــارئة الفجائية التى قد يرتكبها شركاؤهم فى محادثاتهم ، لانهم يميـــلون دائما الى تسليح أنفسهم بالجاسوسية والدعايات ، وهذا هو الذى قاد رئيس مجلس الوزراء على التصميم على اتخاذ الضمانات التى تضمن

التنفيذ والتى تعطى للآخرين الفرصة فى الحصول على ميزة. الاقتراحات التى تبدو من الظاهر أنها اقتراحات بناءة •

ونجد على ذلك أن مشكلة نزع السلاح ستصبح مشكلة فنية فى مثل هذه الظروف وعلى هذا فنجد ان السؤال الآن أصبح موجها الى الخبراء عما اذا كانت هناك أى وسيلة فعالة تضمن العهود الموقع عنها بدون ارغام الكرملين على قبول نظام رقابة يكون بالنسبة لها حملا ثقيلا عليها • وهذا هو سبب الفشل الذى قابله ممثلو الدول الكبار الثلاثة فى محاولتهم تسجيل سبعة عشر مادة فى معاهدة واحدة تمنع التجارب الذرية •

ولقد كان فى البطء الذى سارت عليه هذه المحادثات معنى عميقا اذ أن الاقطاب الثلاثة كانوا فعلا قد اوقفوا التجارب الذرية وعلى ذلك كان كلما مر وقت أطول كلما أصبح من الصعب على أى منهم استئنافها خوفا من المسئولية التى ستقع على عاتقهم .

لقد كرسوا لهذه الفكرة وقتا كانت تتطلبه مناقشات أخرى خاصة بمشاكل أكثر تعقيدا من تلك ، ولن تكرر منظمة حلف الاطلنطى مرة ثانية انها تأمل فى الوصول فى المستقبل الى نزع سلاح عام وشامل • كما انه من العبث أن يعتقد الانسان فى أنهم سيستطيعون الوصول الى حل نهائى للمشكلة اذا ما خلطوا بين جميع خيوط المشكلة وينادون كما كانت تفعل دائما الحكومة الفرنسية بأنه لن يمكن أن يكون هناك نزع سلاح الا اذا كان نزعا شاملا وموضوعا

تحت الرقابة لانهم فى الحقيقة لن يحصلوا على هذا الهــدف الذى أعرب المستر خروشوف عن تعضيده له فى جديثه الذى ألقــاه فى الامم المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٥٩ اذا مااكتشفوا جميع الطرق الحساسـة التى تقـود اليـه الصـبر والأناة وعـلى وجـه الأخص تلك الطرق التى تسمح باقامة رقابة لتمنع حدوث أى هجوم مفاجىء ، حيث انها ستقود بدون أى تعب القاذفات الحربيـة الى أهدافها ، وقامت محاولات من أجل الوصول الى مفاوضات بشـأن هذا الموضوع تبعا للوسائل الفنية البحتة التى نجحت بالنسبة للتجارب الذرية فى خريف عام ١٩٥٨ . ولكنها بعرعان ماانزوت وبالرغم من هذا فيبدو اليوم أمامنا وجود بعض الوسائل للاسترشاد بواسـطة الرادار وهى كفيلة لاقامة رقابة محكمة .

تجربة اقامة الرقابة

ان التعقيدات التى تكتنف مشكلة الرقابة وأهمية هذه المشكلة بالنسبة لنا فى تقليل الأسلحة الى الحد الأدنى ، جعلت من حـل هذه المشكلة أمرا مستحيلا قبل اجراء تجربة على منطقة محدودة فى نطاق ضيق ، وهذا هو احد الاهداف التى حدت بحكومة منديس فرانس الى اقتراح اقامة وكالة للرقابة على الاسلحة فى داخل نطاق اتحاد غرب أوروبا . وكان يعتقد أن نجاح مثل هذه المحاولة سيكون برهانا ودليلا واضحا بالنسبة للشرق تجعله يقبل اتساع منطقـة الرقابة . ولكن لسوء الحظ كما عرفنا لم يكن لتلك الوكالة وجود الا وجودا نظريا .

ان فكرة تجربة الرقابة كانت موجودة منذ زمن بعيد وكانت تلجأ أليها بريطانيا من وقت لآخر لاقامة رقابة على المنطقة الأوروبية وكان المستر ماكميلان هو آخر المدافعين عنها ، وكانت صيغتها الممثلة سببا فى أن جعلت الحلفاء يعارضونها ويرفضونها وقتيا وقد خلقت بهذا فى أوروبا فى الدول القائمة على جانبى الستار الحديدى جوا ساهم فى ابقاء تقسيم ألمانيا كما هى مما حدا به أعضاء حلف منظمة شمال الاطلنطى الاصرار على عدم الرجوع فيه • ومن المحتمل أن النقاش لم يكن نقاشا فاصلا كما كان يبدو وعلى الأخص حينما فكرنا فى بعض التنازلات التى نعطيها لأشياء أكثر تعرضا للخطر ولكن من المحتمل كذلك انهم رأوا فى ذلك الوقت الوجه الآخر من التجربة التى مرت بها أوروبا ولكن لايمكن أن يكون الشرق الادنى ذلك الشرق الذى يخضع لرحمة الاحداث التى تقع بالحدوث أن يكون هو الارض الاولى التى تقام عليها التجربة •

ففى الحقيقة أن فى هذا الجزء من العالم دلالات تلقائية على أنه هو الجزء الذى يمكن أن تسميه بالدول غير الداخلة فى النزاع وبمعنى آخر أنه جزء خارج تماما عن حقل الحرب الباردة فالقرب هو الذى وضعه خارجها وفى نفس الوقت يبدو أن الاتحاد السوفيتى أنه قد أوضح لنا بجلاء أنه ليس فى حاجة الى خدمات الشرق الأدنى • وهذا هو المعنى الذى نفهمه من القرار الذى اتخذه مجلس جامعة الدول العربية فى شهر أغسطس فى سنة ١٩٥٨ والذى وافقت عليه الامم المتحدة بالاجماع •

وما من شك أن الدول الغربية ستستهل هذه العملية لانها ليس عندها أى نية فى الوقوف فى وجهها ، وتستطيع اليوم أن تساهم بتضامنها بأن تقيم حاجزا تحت رقابة فصائل الجيش حتى تمنع بذلك قيام أى اعتداء بين العرب واسرائيل .

وكلمة عدم الاكتراث أو عدم الاشتراك هى كلمة أخطا الغرب فهمها حينما ترك الكرملين يستغلها بمفرده اذ كانوا على حق حين أظهروا أن عملية (نزع الذرة) ماهى الا غش وخداع وانها لن تؤدى الى أى أمن اضافى بالنسبة للانسانية او حتى لتلك الدول المتمتعة بها ولكن يجب عليهم أن يساندوا المبدأ الذى ينادى بالقليل المتزايد للاعضاء الداخلين فى حرب باردة . على أن يظهر كل عضو رغبته بصراحة فى وضع نهاية لهذه الحرب الباردة .

وستكون هذه مجازفة على ورقة لعب جميلة تتمتع بها أوروبا الوسطى ، واليوم سمعنا من أحد الاشخاص بعد وقوع عدة حوادث انه لو رغبت الدول السوفيتية فى فرض الحياد عى ألمانيا لأمكنها ذلك لأنه سيكلفها بعد أن تقبل اعادة توحيدها عن طريق انتخابات حرة أن تضع شرطا عند التوقيع بعقد معاهدة سلم تقضى بانسحاب جميع القوات وتعلن فى نفس الوقت بحياد مشابه لذلك الذى حصلت عليه شرط يقضى بأن ألمانيا المعاد توحيدها يجب أن تكون منزوعة السلاح كما يمكنهم فى نفس الوقت أن يتخيلوا ماذا سيحدث لو أن ألمانيا رغبت فى اقامة بعض المنظمات الاقتصادية والسياسية الغربية على از

يأخذوا ضمانا من حلف شمال الاطلنطى على عدم التدخل وبجلاء قوات الحلف عن أراضيها . ولما كانت ألمانيا الغربية أكبر بكثير من حيث المساحة وأغزر من حيث السكان من ألمانيا الشرقية فسيمكنهم بعد ذلك أن يحدوا ذلك الحياد العسكرى الى وسط أوروبا بأكملها بحيث تشتمل ألمانيا وبولونيا .

وتشيكوسلوفاكيا (أى المنطقة التي اقترحت روسيا نفسها أن تتركها طبقاالخطة راباكى) وأن البدء فى فكرة كهذه والتى فكر فيها كثير من الخبراء الغربيين فى جنيف لكفيل بأن يثير عجب العالم وان يقنعهم برغبة الغرب البناءة ولكن تلك الفكرة لم يتمسك بها أحد وخصوصا لأن الخبراء العسكريين لمنظمة حلف شمال الاطلنطى حكموا على أرض معركة الحرب الأوروبية بأنها ضيقة جدا لدرجة تصيب الدفاع عنها اذا مااحتلت ألمانيا .

وبما أن الحالة هكذا فقد أصبحت الاستراتيجية المرسومة أى استراتيجية الدفاع عن جميع أراضى الدول الاعضاء هى احدى المواد التى يقوم عليها ايمان منظمة حلف شمال الاطلنطى .

ووجهة النظر هذه هى وجهة لها قيمتها بكل تأكيد واذا ما أضفناها الى أفكار أخرى فانها ستساهم فى ايقاف جميع المحاولات الجدية التى ترمى الى الخروج من المأزق الحرج والتى تعطى الحرية للشعوب التى تستنكر العبودية دون أن تعمل على وضع نهاية لها

فالبرنامج الذى سيحاولون تحقيقه سيشتمل على أفكار كانت

قد سار على نهجها الكثيرون ولكن على مدى محدود • اما من جهه الروس فهم لن يتضايقوا اذا . ماأخـذوا يكررون للابد نفس الاسطوانة فهذه ليست هي المرة الاولى التى تستولى فيها فكرة على الشعور العام • فدائما ماتعتمد الحرفة على محترفيها لانه يجب جذب الانتباه على وجه الاخص ، وان يعطى للاقتراحات المقدمة شـكلا يمتلك اللب ، ومقنعا بقدر الامكان ، وان تطبع فى النفوس شـعورا بأن ذلك البرنامج الذى تحتويه يمكن تطبيقه بسهولة فائقة وانه من المستطاع لكل فرد أن يساهم فيه ويعتبره ملكا له ، وانه اذا ماوضع فى طريق النفاذ البطىء الجزئى ستؤدى طبيعته الى أن يخرج العالم من الحرب الباردة المملة بدون قاهر أو مقهور •

واليوم الذى سيقتنع فيه العالم أجمع بهذه الفكرة فانه لن يعتبر منظمة حلف شمال الأطلنطى فى هذه اللحظة عبارة عن نقابة لهـا ميول استعمارية ولكن سيعتبرها الحارس الأول فى صراعه من أجل السلام . ومن الممكن أن السلام الذى سيحصل عليه حينذاك يكون سندا نهائيا له فى بحثه من أجل هدنة دائمة •

خاتمة الكتاب

ماالذى يبين فى ميزانية حلف الاطلنطى مواطن القوة ومواطن الضعف ؟ لقد حانت الفرصة الى تلخيص ماتشتمل عليه فى كل من الناحيتين •

ناحية القوة •• الاسلحة النووية •• الانجلو أمريكيــة التى وضعت لعدة سنوات فى مخابىء الطوارىء فى الدول الغربية •

الشـــعور بالخطر : الذى يدفـع الدول الى التغلب عـلى الخلافات التى تنشأ بينهم لأنهم هم فى الحقيقة الذين يصنعونهـا وذلك لانهم يجب أن يمثلوا أمام الدول الشرقية جبهة متحـــدة ومتضامنة •

– وجود روح اطلنطية •• وهى التى تسمح لهم بالوصـــول الى حدثها فى جميع أوجه الصراع الذى ينشأ بين أعضاء الحلف ، وهذا يعنى أن حلف الاطلنطى لايلعب مجرد دور ثانوى فقط لانه يجد شيئا فشيئا الحلول للمشاكل التى تعترض أعضاءه مثل مشكلة تريسته مثلا ، أو مشكلة لاسار ، أو قبرص ، ومشكلة فرنسا وألمانيا اللتان أحاطتا بشبح الحرب لمدة طويلة •

ـ المصادر المادية والمقدرات الفنية: التى أدت الى امتزاج الحلف والى الوحدة الجغرافية السياسية القوية التى لم يوجد مثلها أبدا على وجه البسيطة •

ـ الاحتفاظ بالميزان السياسى والاقتصادى والاجتماعى لدول الاعضاء والاحتفاظ فى كل منها بسياسة تقدمية تؤدى الى تقدم الدول رويدا رويدا حتى تصل الى اعماق مشاكلها الرئيسية • ففى أوروبا على الاقل يوجد ملايين من الناس لايشعرون فقط بتضامن أهدافهم وبوحدة مثلهم ولكن أيضا يبحثون على المكشوف عن تحيتهم عند تجاحهم ضد عزيمتهم •

نواحى الضعف

عدم كفاية الاسلحة التقليدية التى تضع الغرب فى حالة ضعف فى جميع التجارب التى يمر بها فى حرب الاعصاب بحيث انها لا تترك له سوى أن يختار بين طريقتين وهو اما أن يستسلم واما أن يهدد بالالتجاء الى الأسلحة الابادية الجماعية •

نقص الناحية التخيلية فيهم ودوران ديناميكية سياستهم دائما حول الناحية الدفاعية فقط •

ـ الصورة المحزنة التى أعطتها الدول الاطلنطية عن نفسها فى

العالم أجمع : قيام نقابة الأمن التي لاتفكر الا في حماية امتيازاتها بالرغم من دعوتها الانسانية •

ـ عدم المقدرة القانونية بالنسبة للديموقراطيين في التغلب على المصاعب التي تواجهها وان يمنعوا كليا غريمهم من استغلالهم •

ـ استمرار بقاء المشاكل الاستعمارية التي تعوق الحلف فيمن يتصارع بجيوش متكافئة مع جيوش جمهوريات الاتحاد السوفيتي الذي يتصدره الشباب القوميون •

الانعدام الدائم لاى نظرة كاملة الى المستقبل ، وكذلك انعدام وجود الوسائل العملية للخروج من الحرب الباردة التي عدلت عن السير فيها والعمل على كسبها وبعد التوقيع على الحلف بعشر سنوات توازنت هذه القوة وهذا الضعف على وجه الاجمال ، أما اذا كان هناك شيء فسيكون من السهل ادراكه ، أما اذا كانت النتيجة نتيجة ايجابية ففي هذه الحالة سيبين الحلف قوى طبيعية تدل على نجاح مختلف الوجوه • اما اذا كانت النتيجة سلبية فانه سيتحلل في هذه الحالة وسيجد أعضاؤه فوائد أكثر لهم في أن يكونوا جزءا فيه وفي الحقيقة فانه من المهم جدا أن يفرق أن منظمة حلف شمال الاطلنطي قد عارضت في مشكلة السويس ، وهذا برهان على أن كل الدول تشعر بضرورة وجوده •

ولكن الذي نريد أن نعرفه هو كم من الوقت سيستغرق ذلك

الشعور ان هذا لايعتمد على شيء الا عليه هو نفســه • ان المرونة الحالية في السياسة السوفيتية اذا مااستمرت على ذلك لمدة طويلة ، فستؤدي بدون شك الى تخاذلها اكثر من أي تأثير معسكر قوي • فأي فشل سياسي فانه يترك لنا برهانا واضحا جدا على أن الولايات المتحدة لاتنظر في أي حالة كانت أن تخاطر بأي مخاطرة لان النتيجة ستكون واحدة في جميع الاحوال •

ولكن ماالذي سيحدث ، لانه من المحتمل أن الضغط السوفيتي سيستمر تحت نفس الشكل الذي يمثل : التماسك والعزم وبعض الضوضاء المفاجيء ونعتقد أن الاحداث التي وقعت في الاشهر الاخيرة قد تسبب في اضطرابات كثيرة وسيعتمد المستقبل الى حد كبير عـلى المقدرة التي ستظهرها منظمة حلف الاطلنطي أو عدم المقدرة عـلى اعادة تكوين نفسه • ومعنى ذلك أنه يجب على الحلف أن يعالج بعض الضغط الذي أشرنا اليه آنفا ، وعلى وجه الاخص في مجال الاسلحة التقليدية ولكن المشكلة فهي سيكولوجية أساسا •

وأول كل شيء يجب على حلف شمال الاطلنطي أن يكف عن أن يعتبر نفسه كفاية ، ويعد نفسه بشيء يشبه الأبدية ، ويجب أن يكون هدفه الأساسي هو السلام أو على الأقل عقد هدنة في الحرب الباردة التي لاترى شيئا فيها يدل على الانسانية ولكن لايمكن أن يتنازلوا عنها •

كما يجب عليه كذلك أن يضع مسئولياته فى القمة ، لانه لايمكن ان يحد نفسه ببيئه جغرافيه محددة ، وان يعمل فى جميع الظروف على حنق معسكر لايكل عرضه التوفيق بين الدول ويقوم بعمله فى مجال الامم المتحدة والمؤتمرات الدوليه وان يفعل مثلما فعل المستر نيكسون حينما زار الاتحاد السوفيتى • وعليه ان يكرر فى جميع المناسبات انه يجب على البشر اجمع ان ينقذوا جنسهم فى هذا النصف الثانى من القرن العشرين من الاف التهديدات التى تجسم على صدرهم مثل الحرب والعبوديه والجوع والمرض والفقر وليدعو الدول الاخرى على الدوام وعلى الا خص الداخلة فى المعسكر الاشتراكى ان تتحد معه لتحقيق هذا البرنامج الذى ليس امامه اى فرصة للنجاح الا باتحاد أهل الارض جميعا ، وليصمم على رغبته فى أن يعطى للامم المتحدة الفرصة فى وضع نهايه للصراع الحالى واظهاره للسمولية الأساسية التى تؤدى الى الا من الجماعى، وعليه كذلك أن يقترح نزع السلاح نزعا كليا خاضعا للرقابة • وان يقام مجلس للأمن يستحق هذا الاسم ، وأن يكون بوليسا دوليا ويضع أمام هيئة الامم المتحدة كذلك خططا تحمل هذا المعنى •

ويجب بعد ذلك على الدول الاطلنطية أن تعطى مثلا على الوحدة بأن تعذف عن المشاجرات التى بينها وعن المشاعر الخاصة ، ومن أجل ذلك المجتمع الذى وعدت ببنائه والذى وضعت دول أوروبا الست نواته • ولن يكون فى ذلك اليوم أى وجود لمشاكل المساواة أو مشاكل الادارة ، وليضع حدا كذلك لعمليات النقص التى كثيرا

مانحدث بين شروطهم ومبادئهم التي ينادون بها ، فكثيرا من التردد يحمل نتائج ابعد مما لنا تصورها ، وان وقف حزب شـيوعي هنا او هناك انما لايبرهن الا على شيء واحد ، هو خوفهم ، او عدم ثقتهم في الشعب او عـدم احترامهم للحقـوق الديمقراطيـة

ولا يوجد أي نظام في العالم يمكنه ان يتنازل عن البوليس ، ولكن يمكنهم ولو مرة واحدة ان يضعوا ابطالا بشريين ويلجاون الى الطرق التقليدية التي ورثوها عن الجستابو ، وفي الحقيقة فان هذا المطلب بعيد جدا • حتى يتم الغاء الامتيازات المعطاة للعدد الكبير من الاغنياء البيض على هؤلاء الفقراء الذين يعتقدون (بدون وجه حق) بانهم مخلوقون لخدمة اجناسهم • وذلك بنشر مبادىء الحرية بينهـم ونشعرهم بان الديمقراطية تحتفظ لهـم بمركز احسن وعيشـة افضل وذلك بتقسيم الثروات بينهم تلك الثروات التي لهم فيها حق امتلاكها •

ولكن ان مايهمهم (الدول الغربية) على وجه الأخص هو وحدة مصائرهم وفهمهم بأن هذا المصير مصير مشترك بينهم • ان التفوق لايقاس في ساحة المعركة أو في باقات الزهور • (ان تفوقنا هو تفوق طريقتنا في الحياة وفي حريتنا الفكرية والعملية وفي قوة كفايتنا وقدرتنا على تغيير وجه البسيطة دون أن تحوله قبل ذلك الى معسكرات تركيز) •

وهذا الموقف ليس نتيجة لحضور بعض الجنسيات ، ولكنه هو

الحل الوحيد الذى يتصف به العقل الواعى • أنه نتائج الأيام الطويلة التى جعلها المفسرون ضرورة واجبة علينا • ان الحرية السياسـية يجب أن تتوج •

ان السبب الحقيقى لوجود منظمة حلف شمال الاطلنطى هـو حفظ مستقبل الحرية ليس فقط بالنسبة لهؤلاء الذين ينعمون بهـا فعلا بل كذلك للآخرين وعلى ذلك لايجب أن يكون الحلف من المحافظين كما كان يبدو فى كثير من الاحيان بل يجب أن يكون من المتحررين المتقدمين • فهذه هى فرصته الوحيدة فى الرد على التحدى الموجه ضده وامامه طريقان محـدودان اما النجاح واما الفشل •

هيئة قناة السويس

تعلن هيئة قناة السويس « ادارة الاشغال » عن طرح أعمال الصيانة والتشغيل السنوية المبينة فيما يلى ، ويمكن الحصول على نسخة من مستندات كل عملية من مكتب المناقصات والعقود بادارة الاشغال بالاسماعيلية نظير دفع الرسم المقرر قرين كل عملية : وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلى منهما بالشمع الأحمر ويذكر به اسم العملية وتاريخ فتح المظاريف ويعنون المظروف الخارجى باسم السيد / رئيس وعضو مجلس الادارة المنتدب ـ هيئة قناة السويس (ادارة الاشغال) بالاسماعيلية .

* عملية أعمال الصيانة وتحسينات بسيطة بمبانى الهيئة ـ تاريخ فتح المظاريف ـ الأربعاء ٦٢/٥/٣٠ وثمن المستندات ١٠ جنيهات ومصاريف البريد ٧٥٠ م وقيمة التأمين الابتدائى ١٠٠٠ ج .

* عملية صيانة التكسيات والجسور والضفاف بمنطقة بورتوفيق ـ تاريخ فتح المظاريف الثلاثاء ٦٢/٦/٥ وثمن المستندات ٢ ج ومصاريف البريد ٣٠٠ م وقيمة التأمين الابتدائى ٢٠٠ ج .

* عملية استخراج وشحن رمال خشنة وناعمة من محاجر الهيئة ـ تاريخ فتح المظاريف الاربعاء ٦٢/٦/٦ وثمن المستندات ١ ج ومصاريف البريد ١٠٠ م وقيمة التأمين الابتدائى ١٠٠ ج .

طبع بمطابع
الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد بروض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥ ـ ٢١٦٢٥



١٥٧ شارع عبيد — روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ — ٤٥٤٠٥ — ٣١٦٢٥

العدد ٢٦٤ (ممتاز)